

Hans-Jörg Ronsdorf

تغير الجانب

من الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد



تغيير الجانب

من الإنسان العتيق إلى الإنسان الجديد

Hans-Jörg Ronsdorf

Christliche Literatur-Verbreitung e. V.

Postfach 11 01 35 · 33661 Bielefeld

الطبعة الأولى 2011

© 2011 by CLV · Christliche Literatur-Verbreitung

Postfach 11 01 35 · 33661 Bielefeld

الإنترنت: www.clv.de

تصميم الغلاف: أندرياس فيت (Andreas Fett) ، typtop، Meinerzhagen

التضييد: CLV

الطباعة والتجليد: GGP Media GmbH، Pößneck

ISBN 978-3-86699-310-5

المحتويات

12	مقدمة
14	1. الجولة الجوية
24	2. هبطنا، فكيف نتابع الطريق؟
24	2.1 حرية أو عبودية - ولكن ليس الاثنان معاً
25	2.2 وصايا الحرية
26	2.3 الهرب والمقاومة
26	2.4 المشاعر
27	2.5 السفينة ذات الربّان القديم والربّان الجديد
28	2.6 إلى الأمام بكامل القوة!
29	2.7 أبونا
29	2.8 ما يريد الله
30	2.9 ينبغي أن ذلك يزيد وأنا أنقص!
31	2.10 الحياة الجديدة في رسم توضيحي
34	2.11 كل شيء معاً في لحظة واحدة
35	2.12 جولات سيراً في الجبال
36	2.13 من آدم إلى المسيح
36	2.14 ما الذي كان يجب أن يحدث أولاً لأجل خلاصنا؟
38	3. رومية 5: 12-21: من آدم إلى المسيح
39	3.1 الآية 12: كيف بدأ كل شيء
39	3.1.1 الخطية والخطايا
40	3.1.2 الخطية والموت
40	3.1.3 السقوط والخطية الأصلية
41	3.1.4 وصية بسيطة
43	3.2 الآية 13: الخطية قبل إعطاء الناموس
43	3.3 الآية 14: آدم، مثال الآتي
44	3.3.1 آدم والمسيح
45	3.4 الآية 15: بالمسيح يُعوّض الضرر بأكثر مما كان
45	3.5 الآية 16: نتيجة التعدي ونتيجة هبة النعمة
46	3.6 الآية 17: ملك الموت يبطل بالمسيح
47	3.7 الآية 18: الديونة وتبرير الحياة

48	3.8 الآية 19: المكانة القانونية للخطاة والمقام الخلاصي للأبرار
49	3.9 الآية 20: الناموس يكشف كل الخطايا
50	3.10 الآية 21: من الموت إلى الحياة الأبدية
51	3.11 نظرة شاملة على رومية 5: 12-21
52	4. رومية 6: أحرار من سلطان الخطية
52	4.1 تغيير الجانب: من آدم إلى المسيح
53	4.2 الآيات 1-2: هل النعمة رخصة لارتكاب الخطية؟
53	4.2.1 لقد متنا عن الخطية وعن سلطانها!
54	4.3 الآيات 3-4: اعتمدنا للمسيح ولموته
55	4.3.1 المعمودية للموت
57	4.4 الآية 4: أقننا لنسلك في جِدَّة الحياة
58	4.5 الآية 5: صرنا واحداً معه في موته وقيامته
59	4.6 الآية 6: الإنسان العتيق صلب معه
60	4.6.1 الإنسان العتيق
61	4.6.2 صلب الإنسان العتيق
62	4.6.3 بدن الخطية
63	4.7 الآية 7: مُبرَّأون من الخطية
64	4.8 الآيات 8-9: نشارك المسيح موته وحياته
65	4.9 الآية 10: المسيح مات للخطية
66	4.10 الآية 11: أن نحسب أنفسنا أَمْوَاتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله
67	4.11 الآية 12: سلطان الخطية على البدن يكسر
68	4.12 الآية 13: أن نقدم ذواتنا الآن لله
68	4.13 الآية 14: لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة
69	4.14 ملخص
70	4.15 صليب الجلجثة والخطية
70	4.16 رومية 6: 15-23: محرون يعيشون تحت النعمة
70	4.17 الخلاص بصيغة الخبر والخلاص بصيغة الأمر
74	4.18 الآية 15: هدف النعمة
74	4.19 الآية 16: عبيد للخطية أم للبر
75	4.20 الآية 17: طائعون من القلب - لم نعد عبيداً للخطية
76	4.21 الآية 18: عبيد للبر
76	4.22 الآية 19: أن نضع أنفسنا في خدمة برّ الله وقداسته
77	4.23 الآيات 20-22: من العقم إلى الحياة الأبدية

79	4.24 الآية 23: حياة أبدية بدلاً من دينونة أبدية
80	5. الناموس في الرسالة إلى رومية
82	6. رومية 7: أحرار من الناموس
83	6.1 معنى رومية 7 وموقعها
83	6.2 صراع الروح ضد الجسد؟
84	6.3 أبرار وخطاة في آن واحد؟
84	6.4 مولود من جديد أم لا؟
85	6.5 رومية 7: اختبار لا بد منه؟
87	6.6 من هو الإنسان في رومية 7؟
87	6.7 رومية 7: 1-6: متنا للناموس
87	6.7.1 الآية 1: الناموس لا يسري إلا على الأحياء
88	6.7.2 الآيات 2-3: الطريق الوحيد للإفلات من الناموس
88	6.7.3 الآية 4: من ننتهي إليه الآن - المسيح
89	6.7.4 الآية 5: الناموس لا يعزّز البر، بل الخطايا
90	6.7.5 الآية 6: عبادة جديدة خارج نطاق الناموس
91	6.8 رومية 7: 7-14: الناموس الكامل
92	6.8.1 الآية 7: معرفة الخطية تأتي بالناموس
93	6.8.2 الآية 8: الناموس يعزّز الخطية
93	6.8.3 الآيات 9-11: اللقاء بالناموس يقود إلى الموت
95	6.8.4 الآية 12: ومع ذلك فالناموس صالح
95	6.8.5 الآية 13: مرة أخرى - وظيفة الناموس
96	6.9 رومية 7: 14-25: اختبارات مسيحي تحت الناموس
96	6.9.1 الآيات 14-15: الإرادة الصالحة والجسد الضعيف
96	6.9.2 الآية 16: الموافقة على الناموس
97	6.9.3 الآيات 17-21: الخطية الساكنة فيّ
98	6.9.4 الآيات 22-23: ناموسان وأثرهما
99	6.9.5 الآية 24: اليأس
99	6.9.6 الآية 25: الدرس المستفاد من رومية 7
102	7. رومية 8: 1-11: أحرار أخيراً!
103	7.1 منذ الآن - وليس بعد
104	7.2 الانطلاقة الحاسمة
105	7.3 الآية 1: براءة - لا حكم دينونة بعد الآن
107	7.4 الآية 2: محررون بناموس روح الحياة

107	7.5 الآية 3: الله يحلّ مشكلة الخطية على الجليشة
108	7.5.1 الله يصير إنساناً
109	7.5.2 الجليشة
110	7.6 الآية 4: ناموس الله يُتمّ الآن رغم كل شيء
111	7.6.1 الناموس الموسوي وسريانه
113	7.7 الآية 5: أن نكون حسب الجسد أو حسب الروح
113	7.8 الآيتان 6-7: الموت والحياة، العداوة والسلام
114	7.9 الآيتان 8-9: أن نكون في الجسد وأن نكون في الروح
115	7.10 الآيتان 10-11: روح الله وخلاص بدننا
115	7.10.1 مقامنا الخلاصي - الخلاص بصيغة الخبر - «منذ الآن»
116	7.10.2 أن نحيا وأن نموت
117	7.10.3 روح الله والبدن
117	7.10.4 لماذا لسنا خالدين منذ الآن؟
119	8. رومية 8: 12-17: الخلاص بصيغة الأمر - الحياة في النصرة
119	8.1 الآية 12: لم نعد مدينين للجسد
120	8.2 الآية 13: حياة أو موت
120	8.2.1 المواعيد والتحذيرات والخلاص الأبدي
123	8.2.2 أن نُميت بالروح أعمال البدن
124	8.2.3 «أن نحسب أنفسنا أمواتاً» أم «أن نُميت»؟
125	8.2.4 الإمامة - كيف تتم؟
127	8.3 الآية 14: أبناء الله المتقادون بالروح
129	8.4 الآية 15: روح التبيّن يصرخ فينا: «أيها الأب الحبيب!»
130	8.5 الآية 16: نحن أولاد الله!
130	8.6 الآية 17: نحن ورثة مجد المسيح
132	9. رومية 12: الذهن يتجدّد!
133	9.1 قصد الله لنا
133	9.2 رومية 12: 1-2: العبادة - أمر منطقي!
134	9.2.1 أبداً لكم!
135	9.2.2 العالم: صديق أم عدو؟
137	9.2.3 التغير بالتفكير الجديد
138	9.2.4 التحوّل الكامل (الميتامورفوز)
138	9.2.5 لماذا التجديد؟
139	9.2.6 كيف يتم التجديد؟

140	9.2.7 عالم الأفكار ساحةً للمعركة
141	9.2.8 كيف نربح المعركة؟
142	9.2.9 أحلام اليقظة والتمنيات
143	9.2.10 مشيئة الله - مُخْتَبَرَةٌ وثبت صلاحها!
144	9.3 رومية 13: 13-14: البسوا المسيح - ولا تصنعوا تديراً للجسد
145	9.4 خلاصة القول
146	10. القديم والجديد - نظرة شاملة
148	11. ما هو الجسد؟
149	11.1 الخطيئة والجسد
150	11.2 الجسد والإنسان غير المؤمن
151	11.3 الجسد والمسيحي
154	12. الجسد ضد الروح
154	12.1 ما الذي كانت عليه المشكلة؟
155	12.2 عمل الجسد
156	12.3 المسيحي في الرسالة إلى غلاطية
157	12.4 الناموس والجسد - ترسان في جهاز تروس واحد
158	12.5 الصراع الكوني القديم والصراع الشخصي الحاضر
158	12.6 عيشوا واسلكوا بالروح!
159	12.7 عمل الله وعملنا - هل هما متناقضان؟
160	12.8 مدعوون للحرية - ولكن أي حرية هي؟
161	12.9 الروح يحارب لأجلنا
161	12.10 في وسط المعركة
162	12.11 الفيروسات واللقاح
163	12.12 ما هي أعمال الجسد؟
164	12.13 ثمر روح الله
166	12.14 مكان الجسد هو الصليب
167	12.15 مَنْ يكون الإنسان بعد أن صُلب مع المسيح؟
169	12.16 حمل الصليب كل يوم
169	12.17 الحياة والسلوك بالروح: أن نكون أو لا نكون
170	12.18 السلوك بالروح - كيف يكون ذلك؟
171	12.19 التعرّض والنهوض
172	12.20 العودة إلى الطريق المستقيم
172	12.21 معيننا في السماء

173	12.22 ماذا لو أخطأنا؟
175	12.23 الاعتراف
176	12.24 المسيحي الروحي والمسيحي الجسدي - هل يوجد ذلك؟
177	12.25 جوهر الصراع بين الروح والجسد
179	13. الإنسان الجديد والإنسان العتيق: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً
180	13.1 الإنسان الجديد في الرسالة إلى أفسس
181	13.2 الإنسان الجديد في الرسالة إلى كولوسي
182	13.3 الإنسان العتيق في الرسالتين إلى أفسس وكولوسي
183	13.4 قصة خلق الإنسان الجديد
185	13.5 الكثيرون إنسان واحد جديد
186	13.6 الشخصية الفردية تصير إنساناً جديداً
188	13.7 ما هو الإنسان الجديد؟
189	13.8 الخليقة الجديدة
190	13.9 ما الذي خلق جديداً؟
191	13.10 هل يحتاج الإنسان الجديد إلى تجديد؟
192	13.11 الإنسان الجديد: نلبسه كالثوب
194	13.12 ملخص - صورة
194	13.12.1 الشجرة القديمة
195	13.12.2 شجرة جديدة
197	13.12.3 الجذر القديم الذي لا يزال حياً
197	13.13 بالإيمان وحده
198	13.13.1 البستاني الكسول
199	13.14 مستقبل الإنسان الجديد
200	13.14.1 أن نعيش حياة المستقبل منذ الآن
201	13.15 نداء
202	14. مولودون ثانية لحياة جديدة
203	14.1 ما هي الطبيعة إذن؟
204	14.2 شركاء الطبيعة الإلهية
205	14.3 الحياة الأبدية هي حياة المسيح
205	14.4 كيف نصير شركاء في الحياة الإلهية؟
206	14.5 الولادة الثانية - مولودون من الله
206	14.5.1 مولودون من الماء
207	14.5.2 مولودون من الروح

208	14.5.3 نبوة حزقيال: قلوب جديدة وروح جديد
209	14.6 مُنْقَذُونَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ: أَحْيَيْنَا
210	14.7 سِرُّ النُّشْوءِ وَالنَّمُو
211	14.8 النَّمُو - الْحَيَاةُ تَنْمُو
213	14.9 الاستصلاح والزراعة
214	14.10 هواية أم واجب؟
214	14.11 الخلاص بصيغة الخبر عند يوحنا
216	14.12 الخلاص بصيغة الأمر عند يوحنا
217	14.13 الحياة الأبدية - نوعاً وكماً
217	14.14 علامات الحياة
219	14.15 المولود من الله لا يخطئ
221	14.15.1 أربع مراحل في تاريخ الخلاص: الإنسان والخطية
221	14.15.2 ألا نخطئ بعد: ممكن أم مستحيل؟
223	14.16 الكمال - ما هو؟
223	14.16.1 كمال مقامنا الخلاصي
223	14.16.2 الكمال (النضج) في حياتنا: أن نصير بالغين
224	14.16.3 الكمال الشامل في الاكتمال الآتي
224	14.17 مسؤولون عن أفعالنا، لا عن كينونتنا
225	14.18 الطبيعة الجديدة والطبيعة القديمة فينا في آنٍ واحد
225	14.19 خلاصة القول
227	15. المزاج والطبع
228	15.1 الكآب المقدس ونظرية الأمزجة
230	15.2 الطبع وتغيره
232	16. كلمة ختامية
	17. ثبت المراجع

إلى أولادنا: فيليكس (Felix)، ولاورا (Laura)، وأليكس (Alex)، وبيتر (Peter)،
وأنّه ماري (Annemarie) - مع رجاء القلب أن يمسكوا بالمسيح وأن يمسكهم هو.

مقدمة

يشغلني موضوع هذا الكتاب منذ أيام شبابي. فهو قلب الحياة المسيحية. فلا تكون الحياة الحرة ممكنة إلا انطلاقاً من خلاص أمسكنا به إمساكاً كاملاً وفهمناه. ونضج المسيحي يقوم أو يسقط بما فهمناه من الصليب.

أن يكون المرء متحرراً من الخطية ليس نظرية، بل حقيقة عملية. قبل نحو 30 سنة ساعدني كتاب «Das normale Christenleben» (الحياة المسيحية الطبيعية) لواتشمان ني (Watchman Nee) على تحقيق انطلاقة حاسمة. فع أنني كنت مؤمناً، كنت محبطاً، لأنه لم يكن لدي ما أواجه به سلطان الخطية. وقد فتح لي هذا الكتاب، كما فتح لكثيرين غيبي، العينين على التحرير الذي كان لي في المسيح منذ زمن طويل، ولكنني لم أكن أعرفه حقاً بعد. ليس الأمر أمر درجة أعلى من التقوى، ولا أمر مسيحية على مستوى الخبراء، بل أمر فهم لكيف يرانا الله، ولما وضعه بين أيدينا.

الموضوع شائك، ولا سيما لمن يكتب عنه شيئاً. هل أستطيع أن أفعل ذلك لأني بلغت المئة في المئة؟ أبداً. وأنا أدرك أنه لا ينبغي أن نكون معلمين كثيرين، لأن المعلمين سيأخذون دينونة أعظم، فإننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا. ولكن من دون التعليم الكثافي وتكراره المستمر لا تكون لنا أي فرصة لأن نحفز الآخرين، أو لأن نعالج الأمر نحن أنفسنا كما ينبغي. وكل جيل عليه أيضاً أن يواجه هذه المواضيع بنفسه. لن يكون في هذا الكتاب شيء جديد، أو يكاد لا يكون، مما لم يكتبه آخرون قبلي. ولكنه يريد أن يحفز على إحياء هذا الموضوع المحوري وعلى طرحه للنقاش.

وقد استعنت بسرور بمساعدة آخرين. وأشكر قبل كل شيء توماس يتل (Thomas Jettel) على التدقيق وعلى أفكاره المحفزة التي جعلت أموراً كثيرة أوضح. وأشكر يوشع وبريجيته كيلر (Josua und Brigitte Keller)، المرسلين بالقرب من نيس، على تبادل الآراء البناء. وأشكر أيضاً هربرت بريم (Herbert Briem) وبيتر شترايتنبرغر (Peter Streitenberger) وهاري غراف (Harry Graf) على مراجعتهم النقدية. وذكر هؤلاء

الإخوة والأخوات لا يعني أننا متفقون في كل المسائل، ولذلك فأنا وحدي المسؤول عن المحتوى.

استخدمت، مع استثناءات قليلة، ترجمة إبرفلد للكتاب المقدس (Elberfelder، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس) طبعة 2003 (Edition CSV Hückeswagen). والاستثناءات مُشار إليها في العادة.

Hans-Jörg Ronsdorf، زولتسبرغ (Sulzberg)، نوفمبر 2010

إنما هو صخري وخلاصي، ملجائي.

مز مور 6: 62

حينئذ تعيشون في أمان، ويكون لكم فيض من الخلاص والحكمة والمعرفة.

إشعيا 6: 33 (NeÜ، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

1. الرحلة الجوية

اصعدوا واربطوا أحزمة الأمان! سنقوم برحلة جوية رائعة. هدفنا سلسلة جبال عظيمة. نريد أن نشاهد من منظور الطائر كتلة جبلية مهيبه. أنا أسكن مباشرة عند حافة جبال الألب، وأستطيع من مكنتي أن أنظر إلى داخل الجبال. وأكثر من مرة تمنيت أن أطلع وأتأمل هذه الخليقة البديعة من فوق مطوّلاً. وحتى الآن لم يتعد الأمر جولة جوية قصيرة، لكنها أثارت فيّ الشوق إلى المزيد.

واليوم أودّ أن أدعوكم إلى مثل هذه الرحلة. إنها رحلة لا تكلف شيئاً. فهي تجري في خيالنا. ما رأيكم: أيّ جبال هي المقصودة؟ تخيلوا أن هذه الجبال هي الخلاص العظيم، أو بالأحرى النجاة العظيمة، التي صنعها الله الأزلي القدير. تخيلوا أن هذا الجبل يجسد ما صنعه الله في يسوع المسيح بموته على الصليب وبقيامته وبصعوده إلى السماء. الأمر لا يتعلق بشيء عادي، بل يتعلق بـ **الخلاص**! لا يستطيع المرء في رحلة واحدة أن يرى كل شيء دفعة واحدة، لكنه يقدر على الأقل أن يبصر الكثير. وفي كل رحلة أخرى سيتمكن أيضاً من أن يعاين شيئاً جديداً.

أعدكم أن هذه الرحلة لن تكون مملة، وليس ذلك لأن الطائرة صغيرة ولا تتسع إلا لراكبين. صحيح أن طائرة خفيفة كهذه يمكن أن تهتزّ هزّاً شديداً، لكن ما سنراه سيكون عظيماً إلى حدّ أننا سننسى كل ما عداه.

طيارنا هو أعرف الجميع بالطريق. إنه يعرف أفضل المسارات، وأفضل الواجهات، وأجمل المناظر، والارتفاعات والانخفاضات الصحيحة، ويعرف الطقس، ويستطيع أن يعيدنا إلى البيت بأمان. لذلك نستطيع أن نترك الخوف من الطيران على الأرض مطمئنين.

الجبل الذي نريد أن نصل إليه هو إلبروس، أعلى جبل في سلسلة جبال القوقاز، بارتفاع 5642 متراً. هذا ارتفاع كبير، ولا بدّ للطائرة أن تجاهد فعلاً لكي تبلغه.

ما المميّز في هذا الجبل؟ بالطبع يميّزه أنه أعلى جبل في القوقاز، لكنه أيضاً بركان خامد. له فوهة كبيرة قدّفت منها قبل زمن طويل حمم متوهّجة. والبراكين، كما نعرف من زماننا الحاضر أيضاً، قوى طبيعية هائلة لا يمكن السيطرة عليها. ومثل هذه القوى الطبيعية

انفجرت أيضاً حين أغرق الله العالم في أيام نوح. فقد انفجرت، كما يقول الكتاب المقدس، ينباع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء (تكوين 7: 11)، لكي تُورّع على الأرض كميات من المياه لا يمكن تصوّرها. وربما أدّت التغيّرات الجيولوجية الهائلة المرتبطة بهذا الطوفان العالمي إلى أن تنشط البراكين. وعلى كل حال ارتفعت المياه آنذاك فوق قمم الجبال: فتغطّت جميع الجبال (تكوين 7: 20)، ولم يعد يرى إلا الماء.

كان الناس في ذلك الزمان أشراً جدّاً. لقد تجاوزوا نقطة اللاعودة، وابتعدوا عن الله، أو بالأحرى عمّا كان قد قصده للخلقة. ابتعدوا إلى حدّ أن الله وضع حداً نهائياً. لا أعرف بماذا كان يقوم المدى الكامل لذلك الشر، لكن الله رآه (تكوين 6: 5). ويقول يسوع إن أياماً مثلها تماماً ستأتي ثانية (لوقا 17: 26). كان على الطوفان أن يهلك جميع البشر ما عدا نوحاً وعائلته. ومن هذه الديونة يمكن أن تبين جيداً ماذا تعني الخطية لله. نحن في الغالب لا نرى في الخطية مشكلة، مع أننا نواجه باستمرار عواقبها السلبية والوخيمة. ولكن كيف يفكر الله فيها؟ الله يبغض الخطية، لأنها تُهلك البشر، خلاصته، كمرض مميت عضال، وتفصلهم عنه. والخطية تغيّر الإنسان إلى حدّ أنه يصير عدواً لله. الله يبغض الخطية لأنه يحبنا. إنه يمقت الخطية لأنها تناقض كيانه كله، ومحبه وقداسته. ويقول الرب لأبناء شعب إسرائيل إنه يذرف الدموع في الخفاء على حالتهم الخاطئة (إرميا 13: 17؛ 14: 17). الخطية تمسّ قلبه هو، وهو لا يقف منها موقف اللامبالاة. كل خطية يعرفها هو ويشعر بها حتى أعماق قلبه. إنها تفصل البشر عن الله، وتفصل البشر بعضهم عن بعض. إنها ما يهاجم الله ويستخفّ بوصاياه. إنها تقطع شريان الحياة الممتد من الله إلى الإنسان، ولذلك لا يمكن أن تقود إلى شيء غير الموت. قد يكون للخطية وجه ودود، لكن ذلك ليس إلا قناعاً: إنها قبيحة، وتدمر حيثما ظهرت. إنها منتشرة انتشاراً واسعاً. فحيثما وجد بشر وجدت. الجميع مصابون بها. وهي تلتصق بالجميع كالقُرادة، سواء أرادوا الاعتراف بذلك أم لا. إنها كامنة كالبدرة في كل إنسان منذ ولادته، وإن كانت قد نمت عند بعضهم أكثر وعند بعضهم أقل.

الله يبغض الخطية، لكنه يحب الخاطئ! وهذا هو خلاصنا! غير أن الخطية والإنسان متشابكان أحدهما بالآخر، ويشكّان وحدة لا يمكن فصلها بأي وسيلة في مقدور البشر. فلو أهلك الله الخطية، لأصابنا حكم الإهلاك في نهاية المطاف نحن أنفسنا! لقد وجد طريقاً

وحلّ المشكلة! لم يكن البشر هم الذين عاجلوا المشكلة، لأنهم يتكرونها **مرض الخطيئة** الذي فيهم. فالخطيئة في نظرهم لا تشمل ما هي عليه في نظر الله.

حين خلق الأزييّ الكون، كفت كلماته القديرة: «ليكن!» أما حلّ مشكلة الخطيئة فلم تكفِ الكلمات. بل كلفه ذلك كل محبته. الله لا يتغير، إنه كالنور النقي، إنه المحبة، وهو قدوس وعادل، طاهر وبلا خطيئة على الإطلاق. وحين يدور الحديث عن الخطيئة، علينا أن نفكر في صفات الله هذه، وذلك بمقياس إلهي! فليس الأمر متعلقاً بتصورنا المتسامح والقابل للتكيف في كثير من الأحيان. على الجلجثة، موضع إعدام يسوع، تستطيعون أن تروا مدى الجدّة التي لا يمكن تصوّرها التي يعامل بها الله الخطيئة. لا يوجد مكان آخر يظهر فيه بوضوح أشدّ أن الله يحب الخاطئ، لكنه يبغض الخطيئة بغضاً لا حدود له. الله يقدم ابنه ذبيحة نيابةً عنا نحن البشر. لماذا كانت ذبيحة دموية ضرورية؟ لأن الخطيئة ليست مجرد هفوة بسيطة، بل هي أمر يستاء منه خالقنا ويهينه. لذلك يطالب بحقّ بالكفارة وبجبر الضرر الذي ألحقناه بالله. وسيبقى الأمر دائماً هكذا: أن الله سيعاقب الخاطئ على خطيئته. يرى كثيرون أن كون العقاب يتبع الظلم ليس إلا اختراعاً دينياً. كلاً البتّة! فهذه الحقيقة هي مثلاً أساس نظامنا القضائي. إلا أنه علينا أن نتصوّر ذلك عند الله أنقى وأعدل بكثير. إنه كلّ العلم ويقرأ كل الأفكار. إنه كلّ الحضور، ولذلك هو نفسه شاهد على كل ما يفكر فيه البشر ويقولونه ويفعلونه. لا يفوته شيء. لو كان أحدهم وحده في العالم ولم يرتكب إلا خطيئة واحدة، لكانت ذبيحة يسوع ضرورية مع ذلك. فحتى خطيئة واحدة لا يمكن أن يقبلها الله. إنه أقدس وأجود من أن يتغاضى ولو عن خطيئة واحدة.

الله لا يعامل البشر كتجربة خلق فاشلة. إنه لا يتخلّى عن الإنسان. إنه يريد أن يُشفق على الخاطئ وأن يخلّصه. ولكنه يحتاج لذلك إلى شخص **يستطيع** أن يدفع الدين. هل يوجد إنسان يستطيع أن يسدّد الحساب؟ نعم! هذا الواحد يصير الذبيحة البديلة. إنها تدفع ديننا. يسوع، «حمل الله»، يصير بديلنا. إنسان يصير - بالمعنى المجازي - ذلك الحمل البديل المقدم ذبيحة. على الجلجثة وقف ابن الله طوعاً ومعه خطيتنا في القرب المباشر من الله، لكي يتحمّل إدانتنا وعقوبتنا. والله يقبل استعداد ابنه لتقديم نفسه ذبيحة، ولا يشفق عليه في هذه الديونة العقابية. هل كنّا نسلم ابننا لكي نفتدي أعداءنا من مشكلة جلبوها على أنفسهم بذنبهم؟ ألم نكن، بدلاً من أن نعاقب ابننا أو ابنتنا، نفعل كل شيء لكي نشفق عليهما؟ أما

الله فلم يفعل ذلك. نعم، لكي يفدينا كان لا بدّ أن يحدث أكثر بكثير من مجرد أمرٍ أو كلمة خلق.

لنعد إلى نوح: لقد غطّت مياه الدينونة آنذاك أعلى قمم الجبال. لقد تعامل الله مع الخطية بجديّة، بجديّة بالغة! - وكم بالأحرى على الجلجثة: هل لدينا أدنى فكرة عن الدينونة التي نفذت هناك، وعن الحمل الذي حمله يسوع؟ ربما تفكّرون الآن كيف نكلّوا به أشدّ تنكيل، وضغطوا على رأسه إكليلاً من الشوك وسمّروه على الصليب. لكن لنتنظر لحظة. تلك لم تكن الآلام التي دفع بها ثمن خطايانا. البشر هم الذين فعلوا به ذلك. وهؤلاء لم يسهموا بشيء في الخلاص. ما فعلوه برهن مرة أخرى على مدى فساد البشر. أما دينونة الله وتنفيذ الحكم المترتب عليها على الخطية فلم يبدأ في يوم الجمعة العظيمة ذاك إلا في الساعة السادسة، أي نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً. حينئذ، والشمس في كبد السماء، حلّ ظلام دامس. لقد جاء وقت تصفية الحساب عن ذنوبنا. وسقطت دينونة غضب الله بكل قوتها على الحمل البريء المقدّم ذبيحة. ثلاث ساعات أسلم ربنا يسوع نفسه لغضب الله على الخطية (وعلى خطيتي أنا أيضاً)، وحمل على نفسه ما يقود جميع البشر إلى الهيم إلى الأبد. هذا هو الظلام بأصدق معاني الكلمة وأعماقها. لم يشهد أحد ما جرى بين الآب والابن لكي تُحلّ مشكلة الخطية إلى كل الأزمنة.

ننظر من نافذة الطائرة إلى أسفل، إلى هذا الجبل الذي كان يوماً بركاناً يقذف النار. الحمم المتوهّجة حمرةً تذكّرني بالبحيرة المتقدّدة بنار وكبريت، بالجحيم الأبدي. نعم، لقد احتمل مخلصنا بنفسه، عوضاً عنا، كل ما يشعر به الله إزاء الخطية، مضغوطاً في ثلاث ساعات! وقد استخدمت كوري تن بوم (Corrie ten Boom) في هذا الصدد المثل التالي: في حريق الغابة يوجد دائماً موضع لا تعود النار تجد فيه ما تلتهمه - ذلك الموضع الذي اجتاحتته النار من قبل. والجلجثة هي الآن الموضع الذي يجد فيه الخاطئ الأمان، لأن نار دينونة الله على الخطية قد مرّت هنا من قبل.

ويبدو أن كاتب المزمور، الذي يتكلم نبوياً عن دينونة الله هذه على الجلجثة، يفكّر في الطوفان: «كل تياراتك ولججاً طمت عليّ» (مزمور 42: 7؛ قارن 88: 7). إن هدير القوى الطبيعية في أيام نوح (كل المياه، والعواصف، والزلازل، والبراكين وغيرها) ليس

1. هذه التيارات والجيح ترمز إلى الغضب الإلهي.

إلا رمزاً باهتاً لما احتمله الرب يسوع المسيح على الصليب، وأكثر من ذلك في ساعات الظلام الثلاث - مصلوباً في ضعف، في جسد معذب، وتحت آلام شديدة. لقد كان ذلك الترك الكامل من الله! الله دان ابنه. ابن الله بين السماء والأرض - مرفوضاً من البشر ومردوداً من السماء! لقد مضى لأجلنا إلى الظلمة الخارجية. يا لها من ذبيحة! خذوا وقتاً لتأملوا فيما فعله لأجلكم. صدّقوني، إن أردتم أن تختبروا أيّ تغيير في حياتكم، فإنه يبدأ بأن تدعوا محبة يسوع تؤثر فيكم. إنها عظيمة إلى حدّ أنها تفوق معرفتنا. وهذا ما يقوله بولس أيضاً (أفسس 3: 19). إنه يتكلم عن عرض هذه المحبة وطولها وعلوها وعمقها. اكتشف جنود فرنسيون في إسبانيا زنازة مهجورة من زمن محاكم التفتيش. ووجدوا هيكلاً عظيماً لا يزال مربوطاً بالسلاسل إلى جدار الزنازة. وعلى الجدار كان صليب محفور. وعلى أطراف الصليب الأربعة حُفرت بدورها كلمات من أفسس 3: في الأعلى **العلو**، وفي الأسفل **العمق**، وعلى اليسار **العرض**، وعلى اليمين **الطول**. والشهيد الذي يعود إليه هذا النقش كان مملوءاً بمحبة يسوع، ولا سيما في أصعب أيام نهاية حياته المليئة بالآلام. لقد فهم معنى الصليب - محبة المسيح الفائقة المعرفة! وكان شهيد محاكم التفتيش هذا مستعداً، لأجل هذه المحبة، أن يسلك الطريق نفسه، وبذلك أن يتمثل بسيدّه.

حتى الآن تكلمنا عن الذنب، وعن الخطية والغفران. يدان المرء على ما يفعله. ولكن ماذا عن مشكلة كياننا الشرير؟ هل يمكن أن يمنح لنا الغفران إزاء حقيقة أننا **خطاة** في كياننا؟

لماذا كان ما جرى على الصليب رهيباً إلى هذا الحد الذي لا قرار له؟ لأن الرب يسوع لم يمت لأجل ما فعلته فقط، بل أيضاً لأجل ما أنا عليه. تخيلوا أنكم تتحملون المسؤولية عن الذنب العظيم لإنسان ما. سيكون ذلك أمراً جديراً بالإعجاب. والآن تخيلوا فوق ذلك أن الناس لا يخلطون بينكم وبين هذا الإنسان الشرير فحسب، بل يساوونكم به عن قصد! ليس هذا إلا تشبيهاً باهتاً لما كان الأمر عليه على الجليشة. الكتاب المقدس يصف كياننا كله بأنه خاطئ. الخطية تسكن فينا، وهي حاضرة في كل ما نفعله. ولا يغيّر من الأمر شيئاً أن يكون البشر خطاة «كباراً» أو «صغاراً». صدّقوا أو لا تصدّقوا: يدرك المرء ذلك على نفسه خصوصاً حين يكون مؤمناً منذ زمن أطول. ليس المقصود أن المرء يظل عندئذ مضطراً إلى أن يعيش مع خطية غير مغفورة. ولكنه يتعرّف أكثر فأكثر على الخطية الساكنة فينا. وكلما طال عيش المرء في الإيمان، أدرك أكثر كم هي الخطية دنيئة وكريهة. ولا فرق في ذلك أيضاً إن كنتم تعيشون في وسط العالم أو في عائلة مسيحية حين أتيتم إلى الإيمان.

حين مات الرب يسوع المسيح، حلّ أيضاً مشكلة الخطية التي فينا. وعلينا أن نفهم جيداً أنه لأجل ذلك جعل خطية. لقد دانه الله كما لو كان هو المسؤول عن الخطية، لا عن الأفعال فقط، بل أيضاً عن الخطية المرتبطة بنا. لم تكن الثمار وحدها رديئة، بل كانت الشجرة كلها فاسدة وغير صالحة. هكذا وقف الرب يسوع المسيح لأجلنا في الدينونة. وبعد ساعات الظلام الثلاث صرخ: «قد أكل!» هذه هي أهم كلمات سمعها الكون في أي وقت! ولكي يتحمل حكم الدينونة تحملاً كاملاً، يموت الرب يسوع. أجرة الخطية، خطيتنا، هي الموت، موته هو!

تخيلوا أن الله يحسب لكم موت يسوع هذا كاملاً وقيده في حسابكم. أو بالتعبير الكافي: إنساننا العتيق قد صلب معه! حياتنا القديمة (كل ما فعلناه، وكل ما نحن عليه) أسلمت معه إلى الموت على الصليب قبل 2000 سنة. لقد مات لأجل ذلك. لأجل كل شيء! لم يعد هناك شيء علينا أن ندفع عنه أي ثمن. حكم دينونة الله لن يصيبنا بعد الآن! انظروا من نافذة الطائرة وتأملوا هذا الجبل العظيم جيداً! البركان خامد. وهكذا نحمدت نار دينونة الله الآكلة، لأن يسوع أخذها على نفسه. ماذا ترون الآن؟ جبلاً أبيض! كل شيء مغطى بالثلج. لو كان البركان لا يزال نشطاً، لما أمكن أن يوجد ثلج على القمة. أما ما يريد الثلج أن يقوله لنا فواضح. فلا يكاد شيء آخر يتكلم بوضوح كهذا عن الطهارة والبراءة من اللوم اللتين صارتا الآن حقيقة لنا في المسيح.

طهرني بالزوف² فأطهر. اغسلني فأبيض أكثر من الثلج.

مزمر 51: 7

هلمّ نتجاسج، يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالوددي تصير كالصوف.

إشعياء 1: 18

لقد غسلنا الله وطهرنا. ويمكننا هنا أن نعدّد أموراً كثيرة جداً أحدها عمل يسوع الهائل. أما هنا فلنكتفِ بهذه الكلمة من الكتاب المقدس:

ومنه أتمّ بالمسيح يسوع، الذي صار لنا حكمة من الله وبراً وقداً وفداء.

2. الزوفا نبات ذو أوراق كان يُستخدم لرشّ الماء والدم.

1 كورنثوس 1: 30

كل ما لم يكن لنا في حياتنا القديمة، صار لنا الآن بالمسيح، لأن الله نقلنا إلى داخله. يبدو هذا غريباً، لكنه لا يعني شيئاً آخر سوى أن الله وحدنا بالمسيح وربطنا به بحيث إن كل ما عمله المسيح، وكل ما هو عليه الآن بوصفه ابن الإنسان المرتفع في السماء، يسري علينا. الله يرانا فيما عمله ابنه وفيما هو عليه الآن! أليست هذه حقاً قبة النعمة والخلاص؟ إن الهدوء والسكون على هذا الجبل، الملتف بثوب أبيض كالثلج، يبينان لنا أن لنا الآن سلاماً مع الله، وأتينا في المسيح قد نقلنا من الآن إلى السماء. نعم، نحن في المسيح! لذلك لم يعد هناك أي حكم دينونة علينا - لا لأجل ما فعلناه، ولا لأجل ما نحن عليه منذ الولادة. لم يرد الله أن يحسننا، بل صنع بداية جديدة. ولكن لكي يبدأ من جديد، لا بد أولاً من إزالة القديم من الطريق. وبما أن الأمر لا يتعلق بشيء، بل ببشر، يطرح السؤال: كيف يمكن أن يحدث هذا؟ كما قلنا من قبل: لم يكن ممكناً أن تنتهي حياتنا إلا بالموت. المسيح مات لأجلنا (ونحن متنا معه). لم نمت حرفياً، بل حسب لنا موت شخص آخر. فبناءً على برّه الذاتي، وفي توافق تام مع مطالبه العادلة متاً، نقل الله إلى حسابنا (من الناحية القانونية البحتة) موت ابنه النياي نقلاً كاملاً. وهذا يُعتبر كما لو كنا قد متنا فعلاً. على الصليب حكم على كياننا القديم بالموت، ونفذ الحكم في المسيح.

يبين لنا الجبل العظيم عظمة برّ الله، وفي الوقت نفسه حقيقة صغرنا نحن: لقد فعل كل شيء ليحررنا من خطيتنا، من دون أن يتخلّى ولو عن ذرة من برّه:

عدلك مثل جبال الله، وأحكامك لجة عظيمة.

مزور 36: 6

قد نشعر أحياناً من جديد ببعض الخوف: هل ينطبق هذا كله حقاً علينا نحن شخصياً؟ ألسنا ربما نتجراً أكثر مما ينبغي؟ قد نتقاذف الطائفة الرياح أحياناً يميناً ويساراً، وقد يصيب المرء الفزع أحياناً. ولكن حتى لو هزتنا عاصفة المشاعر، يبقى هذا الجبل كما هو. لا تستطيع أي عاصفة أن تزعج جبل الخلاص هذا. جبل الخلاص هذا جبل النعمة، وهو يشبه جبل صهيون:

جبله المقدس يرتفع جميلاً، فرحُ كل الأرض؛ جبل صهيون، في أقاصي الشمال،
مدينة الملك العظيم.

مزمو 48: 1-2 (ER)، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس؛ قارن عبرانيين 12: 18-
(20)

وما دمنا نتكلم عن الجبال، يخطر ببالي شيء آخر، كأنه جبل بالمعنى السليبي. الغراند كانيون (Grand Canyon) أخدود هائل، واد هائل. إنه لأمر مؤثّر حقاً أن يقف المرء أمام هذه الهاوية وينظر إلى العمق. وهذا أيضاً صورة عتّا: لم نكن شيئاً. نحن تراب، وإلى التراب نصير، لأن الخطيئة دخلت حياتنا. قلوبنا تشبه هاوية من الشر. ولكننا الآن ننظر إلى فوق، إلى «جبل الخلاص» الذي قام عليه صليب. الصليب نهاية، ولكنه بداية أيضاً:

إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا
الكل قد صار جديداً.

2 كورنثوس 5: 17

يخفّض الطيّار ارتفاع الطيران ببطء، بحيث نستطيع الآن أن نتبيّن مناطق أدنى من هذه الكتلة الجبلية الهائلة. فبسبب ضخامة الجبال لا يستطيع المرء أبداً أن يرى كل شيء دفعة واحدة. وبينما نفقد من الارتفاع، يقترب الطيّار أكثر من الجبل. نتبيّن شلالاً عظيماً، ثم شلالات أخرى أصغر. يا له من مشهد عظيم ينكشف أمامنا! ما أجلّ المياه الغزيرة وهي تندفع إلى الوادي! وفي الأسفل تتحدّ هذه الشلالات في نهر. كتل الثلج والجليد تخزن ملايين الأمطار المكعّبة من الماء. وعلى سفوح إلبروس يوجد أكثر من 70 نهراً جليدياً يجري منها الماء. إنه يجري نازلاً إلى الوادي ويغذي المروج والحقول والغابات. والزراعة كلها تعتمد عليه. ومن دون هذا الماء لما كان هناك نمو يُذكر في تلك المناطق. بالطبع تمطر هناك أيضاً، ولكن في أثناء ذوبان الثلوج تحديداً ينسكب نحو الوادي الماء الذي تحتاجه النباتات لنموّها في الربيع.

إن تيارات المياه العظيمة التي تندفع من الجبل ثم تتجمّع في الأنهار ترمز إلى الروح القدس. والرب يسوع نفسه استخدم هذا التشبيه. لقد قصد عطش الإنسان العميق - السؤال عن المعنى والأمان والمحبة والبحث عنها - حين قال إن كل عطشان ينبغي أن

يأتي إليه ويشرب. من يأتي إليه يروي عطش حياته، وذلك إلى الأبد! القلب العطشان يمكن أن يجد عنده الراحة.

يتكلم الرب يسوع عن ماء حيّ (أي ماء جارٍ)، عن ينبوع هو نفسه. يحقّ لنا أن نأخذ كلمة الله بجديّة، فهي يقين: روح الله الأزلي القدوس القدير قد منح لنا بغنى. إنه يحيا فينا. إنه ينبوع دائم لا ينضب للحياة، وللقدوة، وللقيادة، وللتنزية. الله وحده يستطيع أن يكون فينا ينبوعاً يفيض دائماً.

لا بد أن أفكر في جبل آخر كان فيه يسوع مع ثلاثة من تلاميذه. لقد صعدوا عالياً، ربما حتى خط الثلج في ذلك الجبل.³ وحقبة تغيرت هيئة يسوع أمام أعينهم، وأضاء كالشمس. وصار ثوبه أبيض من الثلج الذي كان يحيط بهم. لقد أعطوا لمحة مسبقة عن الهيئة التي سيكون عليها الرب يسوع حين يأتي ثانية إلى الأرض. لكنها في الوقت نفسه تعبير عن الكيفية التي يمكننا أن نتصور بها الرب يسوع الآن عن يمين القوة. وبالمناسبة، لم يكن ممكناً للروح القدس، كما يقول يوحنا، أن يأتي إلا بعد أن تمجد يسوع، أي بعد أن اتخذ موضع الكرامة هذا عن يمين الله. فقد كان على روح الله أن يرسل تحديداً من ابن الله الممجد المتوج، لكي يشهد لانتصاره ومجده ويرتخهما في قلوبنا.

الروح لا يريد أن يكون مستأجراً ثانوياً في حياتنا. لا، إن قصد الله هو أن يملأنا هذا الروح، وأن يعظم يسوع فينا، وأن يقودنا، وأن يهبنا نصرّة حياة الغالبين. هذه هي الحقائق! أما السؤال لماذا لا يبدو الأمر هكذا في كثير من الأحيان، فسننتبه بالتأكيد فيما بعد.

لنتمتع بهذا المشهد البانورامي! جبل عظيم، قوّته في بياض ساطع يهر الأبصار، وجداول من الماء المتدفّق تندفع من فوق إلى الوادي. وديناميكية النمو تبدأ حيث توجد تربة جيدة.

الرحلة تقترب ببطء من نهايتها. في الحقيقة لا نريد أن نهبط بعد، لكن الوقود يوشك أن ينفد. ولا يزال يكفي لبضع دورات فوق الخصرة التي تزداد كثافة وخصوبة كلما اتجهنا نحو الوادي. في البداية لا نرى إلا شجيرات وبعض البقع الخضراء، ثم بعض الأشجار، وقبل أن ندري نكون فوق غابة كثيفة. ثم نرى في الوادي الحقول والمزارع والبساتين.

3. يرى بعض المفسرين أن جبل حرمون، الذي تغطيه الثلوج فوق ارتفاع 1800 متر لعدة أشهر في السنة، كان جبل التجلي.

هل تعلمون أن ماء روح الله قد أطلق في قلوبكم أنتم أيضاً نمواً روحياً، ولكنه حقيقي؟ صحيح أن الخلاص أمر كامل في ذاته، لكنه فيكم في الوقت نفسه بداية. في قلوبكم نبئت بذرة جديدة. لقد ولدت من جديد. لم تعودوا كما كنتم من قبل. هذا لا يرى بالعينين. فن الناحية الخارجية البحتة (وزن الجسم، طبقة الصوت، إلخ) كل شيء فيكم كما كان من قبل تماماً. ومع ذلك حدث أمر عظيم. لقد ولدت من جديد، ومن الله نفسه. تستطيعون أن تبدؤوا من جديد من البداية.

هذه البذرة هي كلمة الله الأبدية. لقد غرس فينا حياة أبدية، وهذه الحياة تنمو. وسنتعمق في هذا الموضوع أكثر في الفصل التالي. وحين نرى كل هذه الخسرة في الحقول والأشجار والبساتين، ندرك: إنها تشهد على مدى قوة القدرة التي وضعها الله في الحياة النباتية. حين تشرق الشمس، وتكون التربة جيدة، ويأتي الماء من الجبال، فلا يمكن إيقاف النمو. فهل نظن أن النمو الروحي في البشر أقل قوة، مع أن الأمر لا يتعلق بنباتات، بل بالإنسان، «تاج الخليقة»؟

بعد هذه الرحلة المثيرة نهبط. ونحن لا نزال تحت تأثير عظمة هذا الجبل وما حوله وجماله. نتذكر ما نحن عليه: أولاد الله. ذنب الخطية رفع إلى الأبد. ما كنا عليه بوصفنا أناساً عتقاء صار من الماضي. لقد أزيل بالصليب وطُرح وراء ظهر الله. وفي موضع الإنسان العتيق وضع الله إنساناً جديداً خلقه على صورة يسوع المسيح. هذا الإنسان الجديد له حياة أبدية. والمسيح نفسه هو حياته - ذاك الذي فيه الماء الحي الذي يجعله ينمو، لكي يصير ناضجاً وقوياً في الإيمان.

يهبط الطيار هبوطاً خشناً، ونحن على الأرض من جديد. هل كنا نحلم فقط، أم أن كل ما رأيناه حقيقي؟ نعم، إنه حقيقي. هكذا تقول كلمة الله.

ربما أثارت هذه الرحلة الجوية فضولكم. في الصفحات التالية ستجدون المزيد عما لم نفعل سوى أن نحلق فوقه، بأصدق معاني الكلمة. وإن كنا حتى الآن قد طرنا فقط، فأنتم مدعوون الآن إلى جولات سيرا في الجبال ستقودكم إلى أماكن جميلة.

2. هبطنا، فكيف نتابع الطريق؟

بعد هبوط متعثر نعود إلى أرض الواقع. إن كان خلاص الله شاملاً إلى هذا الحد، وليس مجرد تذكركي إلى السماء، يُطرح السؤال: كيف يمكن أن يغيّر حياتي؟ الله نفسه يريد أن نحيا في الحرية. إنه لا يحمينا من الدينونة فحسب، بل يريد أيضاً أن يفدينا من عبودية الخطية ومن دكتاتورية حياة الأنا القديمة فينا. الخلاص ليس قضية نظرية. خلاص الله هو كلمة الصليب - الإنجيل الذي هو قوة للخلاص، وبالتالي للحياة، وذلك لكل من يؤمن!

2.1 حرية أو عبودية - ولكن ليس الاثنان معاً

كان بنو إسرائيل قديماً في عبودية لا ترحم. بلا مخرج ولا رجاء في الحرية. ولكن الله رأى البؤس، وتحنّن، وتدخل. لم يكن خروف الفصح الذي حماهم من الدينونة هو التحرير بعد. فهذا لم يختبروه إلا حين تركوا مصر وراءهم. ماذا يريد هذا أن يقول لنا؟ بشكل ملموس تماماً: نحن أيضاً تحت حماية دم يسوع، ولكننا فوق ذلك مفديون ومحررون لحياة جديدة.

والحدث التالي من التاريخ الحديث يوضح بالمعنى المجازي ما هو الأمر الجوهري. فالتعديل الثالث عشر لدستور الولايات المتحدة⁴ عرض على الولايات للمصادقة في 31 يناير 1865، ودخل حيز التنفيذ في 18 ديسمبر 1865. وقد ألغى العبودية نهائياً في كامل أراضي الولايات المتحدة.

وحين وُقعت هذه المادة في جميع الولايات، صار هذا القانون نافذاً فوراً بلا قيد ولا شرط. تخيلوا الآن العبيد الكثيرين في الولايات الجنوبية وهم يمارسون عملهم في ذلك اليوم. مع أنهم صاروا الآن أحراراً بحكم القانون، ولهم الحق في أن يتركوا أسيادهم، فإن كثيرين منهم لم يفعلوا ذلك. كان عليهم أولاً أن يعرفوا هذا القانون. ثم كان عليهم أن يصدقوا أنه حقيقي، وأخيراً كان عليهم أن يطالبوا بالحرية فعلاً وأن يعيشوا أحراراً.

⁴ The Thirteenth Amendment to the Constitution of the United States of America .

وهكذا الأمر معنا. «قانون التحرير» هذا وُقِعَ قبل 2000 سنة على الجلجثة. وهذا القانون (مثل القانون الخاص بإلغاء العبودية) لا يزال ساريًا حتى اليوم. يقول الكتاب المقدس إننا تحررنا من سلطان الخطية بأن صلب إنساننا العتيق مع المسيح، كما رأينا من قبل في جولتنا الجوية. وقد حدث هذا لأجلي من دون أيّ إسهام مني على الجلجثة، وذلك بموت يسوع المشهود له تاريخيًا. هذه هي رسالة الإنجيل: الحرية! بعض العبيد لم يعرفوا شيئًا عن هذا القانون الجديد مدة طويلة، وعاشوا كأنه لم يدخل حيز التنفيذ. إننا نرى العمل الاستعبادي غير المشروع أمرًا غير مقبول على الإطلاق، أليس كذلك؟ ولكن كم من المسيحيين يعيشون، عن وعي أو عن غير وعي، كأن التحرير بالمسيح غير موجود. كم منهم يفرحون بأنهم سيكونون يومًا في السماء. ولكن «قانون التحرير» هذا من الجلجثة يسري هنا والآن، لا في السماء فقط! لقد كسر الله سلطان الخطية. وهذا يعني أننا نستطيع أن نطالب بهذا التحرير لأنفسنا تمامًا بالإيمان. علينا أن نقبل حقيقة أننا متنا عن الخطية، أي أن إنساننا العتيق مات مع المسيح. احسبوا أنفسكم أمواتًا - القديم قد انتهى! هكذا يقول بولس، مستخدمًا مصطلحًا من المحاسبة المالية. فالأمر هنا يتعلق بمنطق الحقائق، لا بمنطق المشاعر المتقلبة.

2.2 وصايا الحرية

لا بدّ أن يستوضح المرء مبادئ الحرية في المسيح لكي يختبرها أيضًا. فالأمر يتعلق أولاً بحقائق الخلاص، التي نستند إليها في الإيمان بوصفها أمورًا سارية علينا، وليس بشعور إيجابي بالحرية.

والأمر الثاني ينتج عن الأول: حين أقع في التجربة، وتكون الخطية رابضة عند الباب، وحين يجب عليّ أن أختار بين الخطية والله، فعندئذ يسري هذا: لستم مضطرين أن تخطئوا، أنتم أحرار! ذكروا أنفسكم بهذه الحقيقة. اطلبوا من الله أن يذكركم بها. لا داعي لأن تتجمّد خوفًا أمام الخطية، بل العهد الجديد يدعونا إلى أن نتصدّى بنشاط للخطايا في حياتنا. علينا أن نستأصل هذه الأمور الخاطئة بكل حزم. وهذا ما فعله الله على الجلجثة حين دان الخطية في ابنه.

ربما كانت أكبر مشكلة في زماننا هي الفردانية. نحن أنفسنا في المركز، وندور حول ذواتنا. وهذا لا يساعدنا على التقدّم في الحياة مع الله. لنحوّل أنظارنا عن أنفسنا لكي ننظر إلى

المسيح. هذه هي نصرتنا!

- ثقوا بخلاص الله الذي يحرّر بوصفه حقيقة تاريخية!
- ذكّروا أنفسكم مرة بعد مرة، حين تريد الخطية أن تملك، بأن سلطانها قد كُسر!
- لا تتجمّدوا في التجربة، بل ارفضوا الخطية رفضاً فعالاً!
- لا تتركّزوا على الخطية وعلى الصراع معها، بل على المسيح وعلى قوة الروح القدس!

2.3 الهرب والمقاومة

ولكن لا يجوز لنا في هذه الصراعات أن نبالغ في تقدير أنفسنا. هناك مواقف علينا فيها أن نبادر بالعمل، ومواقف ينبغي أن نكون فيها هجوميين. فالأمور الخاطئة علينا أن ندينها ونزيلها أو نتخلّص منها. أما من التجربة إلى الخطية ومن محيطها المباشر فعلينا أن نهرب. ولا سيما حين يتعلق الأمر بالإغراء الجنسي، وكذلك بالطمع وعبادة الأوثان. يوسف يجسّد مثال الهرب في اللحظة المناسبة. لم يكن شيء سوى الهرب يستطيع أن يحفظه من أن يدخل فراش امرأة فوطيفار، التي كانت قد هيّأت كل شيء لارتكاب الزنى.

2.4 المشاعر

يقول الكتاب المقدس ما معناه: احسبوا ذلك، وانطلقوا منه، وطالبوا به لأنفسكم: أنكم ممتّ عن عبودية الخطية! لقد أعطيتكم الحق في أن تعيشوا محرّرين! كان العبد في الولايات الجنوبية سينظر إليكم مستغرباً لو قلتم: «أنا لا أشعر بهذا التحرير». كان سيقول لكم إنكم لستم بحاجة إلى أن تشعروا به أصلاً، لأن القانون الموقع نافذ قانونياً. فهذا القانون لا يبالي بما تشعرون به. إنه ساري المفعول دائماً - بغضّ النظر عمّا أشعر به. ويقدم واتشمان ني (Watchman Nee) مثالاً مُصيّباً: «على سور ضيق كان يسير يوماً الحقيقة والإيمان والاختبار الواحد وراء الآخر. لم تلتفت الحقيقة لا يميناً ولا يساراً ولا إلى الوراء، بل مضت قُدماً بثبات. وما دام الإيمان، الذي خلفها، يُبقي نظره مثبتاً على الحقيقة، سار كل شيء على ما يرام. ولكنه حين بدأ يقلق بشأن الاختبار والتفت ليراه، فقد توازنه، وسقط عن السور، وسقط الاختبار المسكين وراءه.»⁵

5. واتشمان ني (Watchman Nee)، Das normale Christenleben، ص. 47.

بالطبع يؤدّي الشعور دوراً مهماً في الحياة المسيحية. فالشعور جزء ضروري ورائع من كوننا بشرًا، الفرح يُختبر شعوراً (عاطفة)، والله يريد أن نفرح، بل إنه يأمر بذلك. والفرح الذي يهبه هو نتيجة للخلاص. إنه يُختبر ويُحسّ وهو حقيقي. ولكن الإيمان والثقة لا يتضمّنان شعوراً، لأن المشاعر عرضة للتقلّبات. فبالنسبة إلى الإيمان، ما يعده به الكتاب المقدس هو الحق والواقع. والإيمان يطالب لنفسه برصانة - مع شعور أو بدونه - بما يعده الله به. متسلّق الجبال يجب أن يثق مئة في المئة بمواصفات الشركة المصنّعة لجبال التسلّق حين يكون معلّقاً فوق الهاوية. أما شعوره فلا يؤدّي أيّ دور.

2.5 السفينة ذات الرّبّان القديم والرّبّان الجديد

لنشبه حياتنا بسفينة. قبل ولادتنا الثانية كنّا نحن الذين تحدّد المسار والوجهة. ولكن تغيّراً كبيراً حدث. لقد اشترت السفينة، ولم تعد ملكاً. والنتيجة أن هناك ربّاناً جديداً. من هو؟ إنه لا يزال أنا، ولكن الله وهبني حياة جديدة وروحه. لقد صرت في المسيح إنساناً جديداً.

الرّبّان القديم ذو خبرة كبيرة ومراس. في الماضي كان الجميع يطيعونه. وكانت هناك عادات كثيرة تعبّر عن الطريقة التي كان الرّبّان القديم يقود بها السفينة. ولكن الآن تمّ شراء السفينة رسمياً أمام كاتب العدل، ونُظّم تغيير الملكية بعقد. ومهما كان الرّبّان الجديد شاباً وقليل الخبرة، فقد صار بحقّ هو الرّبّان الجديد. أما الرّبّان القديم - ولنشبهه بالخطية، أو بجسدنا، أو بالطبيعة الخاطئة القديمة - فسيبقى على السفينة حتى يأتي يوم فداءنا الكامل. هذا وضع يصعب فهمه. لكنه واقع حياتنا المسيحية. الرّبّان القديم لا يزال على السفينة، لكن عليه أن ينسحب إلى قمرة. ولم يعد يحقّ له أن يتدخل في قيادة السفينة. غير أن على الرّبّان الجديد أن ينتبه إلى أن يبقى القديم حيث ينبغي أن يكون، وأن يركّز في الوقت نفسه على مسار السفينة: فهو الآن يقف عند الدفّة. إنه على منصّة القيادة، حيث تُتخذ القرارات. ومالك السفينة الجديد هو المسيح فيّ، الذي يعمل بروح الله. يقول العهد الجديد إن هذين الاثنين، أي الجسد والروح، يقاوم أحدهما الآخر، ويطالب كلاهما على حدّ سواء بالسيادة على الحياة. وبينما يطالب الجسد بذلك بغير حق، فإن مطالبة روح الله مشروعة، لأننا قد اشترينا من الله.

الربّان القديم يريد بحكم العادة أن يتدخل مرة بعد مرة في شؤون الربّان الجديد. ويودّ لو يستولي على السفينة من جديد ويُعيد الربّان الجديد إلى القمرة التي هي مكانه هو. وهكذا يبقى توتّر قائماً على السفينة. ويكون أقلّ بكثير حين يستند الربّان الجديد ببساطة إلى العقد - بغضّ النظر عن شعوره. وعليه أن يعيد القديم إلى القمرة مرة بعد مرة. فإن لم يفعل ذلك وترك الربّان القديم يتجول على السفينة، فقد تنتهي الأمور نهاية سيئة. وكلما نال الربّان القديم اهتماماً وانتباهاً ومراعاة أكثر، وقف عند الدقّة مرات أكثر.

2.6 إلى الأمام بكامل القوة!

شعار الربّان الجديد هو: إلى الأمام بكامل القوة! لقد تسلّمنا القيادة على سفينة حياتنا. في المسيح ينبغي لنا ونستطيع أن نملك في الحياة. أن يقرّر المرء أخيراً مصيره بنفسه، يعني أن يعيش حياة يقرّها الله ويملؤها المسيح. وفي ذلك نبدل طاقتنا، وتركيزنا، واهتمامنا، وأهدافنا. إنها الآن ملك للمالك الجديد. السفينة تسير في مسار جديد، ولها معنى جديد يملؤها، وهي تسير عكس التيار. ستكون هناك عواصف، ونكسات، وتسرب للمياه، لكن ذلك لن يوقفنا.

كل رسائل العهد الجديد تتكلم عن حركة مستمرة وعن ديناميكية التغيير التي هي جزء من الحياة المسيحية:

- اركضوا
- أميتوا
- انموا
- اسعوا وراء
- طهّروا أنفسكم
- امتثلوا
- تجدّدوا
- ازدادوا بوفرة
- اخلعوا والبسوا

هذه الدعوات وغيرها توضّح أنه لا شيء يحدث من تلقاء نفسه. فالله لا يُحضر «بالسحر» إلى حياتنا ما ينبغي أن نفعله نحن أنفسنا (مع أن كل شيء طوع أمّره). قوة الله في

متناولنا، والثقة به هي القناة التي نتدقق إلينا من خلالها هذه القوة. لا يحدث شيء ما لم يفعله المرء! هذه كلمة صادقة، وأيضًا فيما يتعلق بتقديسنا. الله يريد التزامنا الكامل. خلاصنا محاط بهذه النداءات، وهي والعمل بها جزء منه كما أن التنفس جزء من الحياة. هذه النداءات هي ببساطة «منطقية بمنطق الخلاص».

2.7 أبونا

الحياة بالتزام كامل لا تنجح في كل يوم. ونحن واقعيون بما يكفي لنعرف أننا نواجه يوميًا إخفاقات صغيرة أو كبيرة. لكن حياتنا في يد أبينا السماوي. إنه ليس طاعية يترصد أخطأنا. نحن أبناءه وبناته، الذين اشتراهم بالثمن الغالي بلا حد، أي بحياة ابنه نفسه. ومن علاقة النعمة هذه نحيا. لسنا تحت ناموس يطالب بلا رحمة، بل تحت نعمة أبينا السماوي. إنه يشجع ويساعد، ويحفّزنا ويحثنا مرة بعد مرة. إنه يعطي ما نحتاج إليه لحياة لمجده. في الصلاة نقول له: «أبا» (أيها الآب الحبيب). إنه لا يوبخنا حين يفشل أمر ما أو تظهر نقاط ضعف في حياتنا. له نعتزف بخطايانا التي لا تزال تحدث للأسف. وكل خطية نرتكبها ولا نعتزف بها تضعف الشركة مع أبينا السماوي ومع ابنه يسوع المسيح. لذلك ينبغي أن نزيلها من الطريق. وإن خانتكم الشجاعة وشعرتم بأنكم غير مستحقين، وإن ظنتم أنكم فاشلون، فدعوا كلمات الله هذه تشجعكم: «قصة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خادمة لا يطفئ» (إشعيا 42: 3).

الخطوة عائدين إلى ذراعي الآب ممكنة دائمًا. عنده الغفران والنعمة والإصلاح وبداية جديدة. عنده يمكن للمرء أن يتعافى من جديد، حتى لو كان الإيمان ضعيفًا والتكريس قد كاد ينطفئ. شمشون انحدر إلى الحضيض، لكنه استعاد مكانه. فقد بدأ شعره ينمو من جديد، مع أنه للأسف لم يستعد بصره. واحتاج الأمر إلى وقت حتى بلغ ذلك، لكن يوم أعظم انتصاراته جاء، مع أنه كان قد اختبر قبل ذلك هزيمة كبيرة بسبب الخطية.

2.8 ما يريده الله

الله لا يطلب منّا شيئًا لا نستطيع بلوغه! إنه يريد قلبنا، ويريد الفرح والتأثر الداخلي حين نفكر فيه. الله يود أن يجعلنا سعداء. لا يريد أن يستغلنا، ولا أن ينزع منّا فرح الحياة. أحيانًا يعطي المسيحيون هذا الانطباع. كيف نصير سعداء كمتسبحين؟ نجد ذلك في حياة مسلمة له، ولا نجده في أي مكان آخر. أقتبس من جاي آدامز (Jay Adams): «لدى

كثير من المسيحيين يلاحظ المرء نقصاً محسوساً: إنهم يفتقرون إلى المثابرة، إلى الثبات. ولعل المثابرة هي مفتاح حياة منظّمة ترضي الله. لا أحد يتعلّم التزلّج على الجليد، أو التزلّج على الثلج، أو العزف على الناي، أو ربط حذائه، أو القراءة، أو الكتابة، أو قيادة السيارة، ما لم يحاول مدة كافية. يتعلّم المرء بأن يواصل بثبات، رغم الارتباك والفشل، حتى يكتسب المهارة المنشودة. يتعلّم المرء بأن يفعل مرة بعد مرة ما يريد أن يتعلّمه. والكتاب المقدس يقول لنا إن الأمر هو نفسه بالنسبة إلى نمط حياة مقدس.

ولا يجوز أن نسيء فهم كون الكتاب يضع مثل هذا التشديد على الجهد الشخصي؛ فهذا الجهد متأصل في النعمة، وليس "عملاً من أعمال الجسد". لا نستطيع أن نكتسب المثابرة إلا بالروح القدس. لكن عمل الروح ليس "صوفيّاً". فالروح القدس يقول لنا كيف يعمل: الكتاب يشهد أنه يعمل من خلال الكتاب.

وحين نطيع دعوات الكتاب المقدس بإرادة وصلاة وثبات، تصير أنماط الحياة الكّائبة جزءاً منا. نقرأ الكتاب المقدس ونطلب في أثناء ذلك من الله أن يساعدنا على تحويل ما قرأناه إلى عمل. ولهذا أعطانا الروح القدس. لكلمة "نعمة" معنى متعدّد الجوانب. وأحد جوانبه "العون". الروح القدس يعين الذين يقرؤون كلمته ثم يجرؤون بالإيمان على أن يفعلوا ما يقوله. إنه لا يعدنا بالقوة سلفاً. بل كثيراً ما تأتي (فقط) حين نفعل ما هو مطلوب منا.⁶

2.9 ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص!

كان هذا هدف حياة يوحنا المعمدان، الذي كان سابقاً للرب يسوع. إنها عملية نريد أن نتبناها من يوحنا، عالمين أنها ستستمر طوال حياتنا! يوضّح الرسم ما نقوله عبارة يوحنا هذه البسيطة والصعبة في آن: علامة الناقص تخصّ حياتنا القديمة وأهدافنا ومصالحنا الخاصة، بينما علامة الزائد تخصّ ربنا بلا أدنى شك!

(رسم: منحنيان متعاكسان على محور زمني؛ المنحنى المتناقص معلمّ بعلامة الناقص، والمتزايد بعلامة الزائد.)

- خلع الإنسان العتيق -

6. جاي إي. آدامز (Jay E. Adams)، Grundlagen biblischer Seelsorge، ص. 255.

- لبس الإنسان الجديد +
- مشابهة للمسيح تزايد وتصير قريباً كاملة
- ميدان سباق الإيمان
- عملية النمو طوال الحياة كلها
- الولادة الثانية
- مجيء يسوع والقيامة

2.10 الحياة الجديدة في رسم توضيحي

تمثل الرسوم التالية (مربع، دائرة، مثلث) أناساً مختلفين. يبين السطر الأول كيف يولد الشخص المعني، والثاني تطور حياته الشخصية، والثالث الولادة الثانية. ويوضح السطر الرابع والخامس كيف ينمو في الإيمان أو يعيش حياة جسدية، بينما يمثل السطر السادس الهدف، أي الكمال عند المسيح.

الأشكال الثلاثة تُستخدم للتمييز بين أيّ أناس كانوا، كما يولدون. وقد يكمن الفرق في الأصل والخلفية الاجتماعية، وفي الطابع الخاص للشخص، وفي الأمزجة المختلفة والمواهب الطبيعية. وفي المحصلة يتعلق الأمر بالشخص الفرد كما يختلف عن غيره من البشر. وفي هذا قامت هويته عند الولادة، من دون أن يكون قد أسهم في ذلك بشيء. إنه ما لا يستطيع الشخص نفسه، باستثناءات قليلة، أن يغيره: بنيته. وهذا ما تمثله الأشكال الفارغة في السطر الأول.

لا تبقى الأشكال فارغة. فالإنسان يولد خاطئاً ويخطئ. وتشكل بنية شخصيته بالخطية في الاتجاه الخاطئ. وتنشأ عادات خاطئة تكون بدورها طبعاً رديئاً. وهذا ما يرمز إليه ما يملأ الأشكال الآن. وحتى لو كان في الإنسان خير أخلاقي، فإنه مع ذلك مطبوع بالخطية الساكنة فيه. الأشكال المملوءة تبين الإنسان قبل الولادة الثانية.

الله لا يصلح الإنسان، بل يخلق شيئاً جديداً. وهذا الجديد مفصل تماماً على مقاس الشخصية الفردية. فكما كانت كل أنواع الشخصيات البشرية موجودة في آدم، كذلك الأمر مع آدم الأخير، ربنا يسوع المسيح. لقد صار إنساناً، ولذلك يستطيع أن يحيا في كل إنسان فرد. ويشبه الكتاب المقدس هذه الحقيقة ببذرة تُغرس فينا: ينبغي أن تنمو من اليوم الأول، لكي يتغير كياننا إلى كيان المسيح. والبذرة الإلهية تطابق تماماً شكل الشخصية.

وهكذا لا تتغير صفات الإنسان المخلوقة معه (أي الموروثة) بالولادة الثانية. «علينا أن نفترض أن الله قادر بطريقة ما على أن يدخل في كل إنسان شيئاً جديداً تماماً يناسب شخصيته مناسبة كاملة، تلك الشخصية التي لم يقصد قط أن يهدمها.»⁷ فإلى داخل الشخصية الفردية لكل إنسان يدخل الآن كيان المسيح، فيصير بذلك تعبيراً فريداً عن كيان يسوع. وهذا تعبير عن التنوع والغنى في الخليقة الجديدة، كما هما موجودان من قبل في الخليقة الأولى.

(رسم من ستة أسطر، في كل منها مربع ودائرة ومثلث)

(السطر 1: الأشكال الثلاثة رمادية وفارغة)

أناس مختلفون كما يولدون بشخصيتهم الفردية

(السطر 2: الأشكال مملوءة بأشكال سوداء صغيرة كثيرة)

الشخصية الفردية تمتلئ قبل الولادة الثانية باختبارات الحياة اليومية. ويتكوّن الطبع. وإلى جانب السمات الحسنة في الطبع، كثيراً ما توجد أنماط سلوك تخرج من القلب الشرير، وتكون أحياناً مطبوعة في الغالب بالخطية. ومحتوى المربع والدائرة والمثلث يطابق ما صار إليه الشخص من دون الله.

(السطر 3: في وسط كل شكل يظهر شكل أبيض صغير من الهيئة نفسها)

في يوم الولادة الثانية تُغرس في الإنسان البذرة الإلهية، أي كلمة الله. والمسيح نفسه صار الآن الحياة الروحية الجديدة للمؤمن. وهذه الحياة الجديدة متكيّفة مع شخصية الإنسان. ويتّضح ذلك من تطابق الشكل الصغير مع الشكل الكبير (مثلاً المربع الصغير والمربع الكبير). الولادة الثانية لا تتغير الشخصية الفردية التي أعطاه الله ووهبها في الخلق، بل تملؤها بحياة المسيح الجديدة. وهدف الله هو تجديد الشخصية المولودة في الخطية وتغييرها إلى مشابهة المسيح.

(السطر 4: الشكل الأبيض ثماً، والأشكال السوداء قَلّت)

7. كستانس، آرثر سي. (Custance, Arthur C)، «Man in Adam and in Christ»، ص. 171.

منذ يوم الولادة الثانية تبدأ بذرة الحياة الإلهية بالنمو. ويتصور المسيح في الشخص أكثر فأكثر خلال عملية نمو مستمرة. والمحتوى القديم، ونمط الحياة القديم، وأنماط السلوك القديمة تتناقص وتختفي أكثر فأكثر. والبذرة تواصل النمو؛ أي أن كان المسيح يتخلل المولود ثانية ويملؤه ويشكله أكثر فأكثر.

(السطر 5: في المربع صار الشكل الأبيض أصغر من جديد والأسود أكثر؛ أما في الدائرة والمثلث فالشكل الأبيض يملأ كل شيء تقريباً)

حياة هذا المسيحي لم تتطور. لقد عادت الحياة القديمة إلى الواجهة.

هذان المسيحيان نموا في الإيمان. لقد حرصا على أن يُميتا أعمال الجسد، وأن يثقا بالمسيح بوصفه مضمون حياتهما وهدفهما، وأن يخدماه هو بالذات.

(السطر 6: المربع والدائرة والمثلث بيضاء بالكامل)

في الأبدية يكون لكل مؤمن جسد قيامة، أي جسد مجد. وفيه يكون مشابهاً للمسيح. وفي الوقت نفسه سيبقى إلى كل الأزمنة الشخص الفرد الذي جعله الله يصير إليه من خلال والديه، أو بالأحرى الذي خلقه هكذا. والخطية والجسد الخاطئ يصيران في الاكتمال نهائياً من الماضي والتاريخ.

البذرة المغروسة ينبغي أن تنمو، لكي يتخلل المسيح ويكانه الشخصية أكثر فأكثر. هذا هو هدف الله. وهو نفسه يهب النمو. لكن مدى النمو وسرعته يتأثران بنا. نحن مدعوون إلى أن نخلع نمط الحياة القديم، لكي يصير أسلوب حياة الإنسان الجديد مرئياً أكثر فأكثر لمن حولنا. الأشكال في الرسم تبقى دائماً كما هي، أما المحتوى فهو الذي يتغير. نحن مدعوون إلى أن نزيل بكل حزم كل البذور والنباتات الأخرى التي لا تأتي من الله ومن روحه، بل تنبع من الحياة القديمة، لكي تستطيع بذرة الله أن تنمو.

يوضح السطر الخامس أن الأمور قد تتراجع أيضاً للأسف، وأن البذرة، أي المسيح، لا تعود تؤدي الدور الأهم في مركز حياتنا. فتصغر البذرة، وتعود حياة الأنا القديمة إلى الازدياد.

أو يكون النمو مستمراً، كما هو مبين في الدائرة والمثلث، حيث تكون الشخصية قد أمسك بها المسيح فعلاً وملأها.

وفي النهاية لن يُرى إلا المسيح، في كمال المجد السماوي. سنبقى إلى الأبد نحن أنفسنا، كما خلقنا الله، ولكن حيثُ من دون أي خطية، ومع ذلك مشاهين للرب.
ما حجم بذرة الله في حياتي؟ إلى أي حدّ نمت؟

2.11 كل شيء معًا في لمحة واحدة

هذا الرسم⁸ تلخيص بسيط للعوامل الأساسية في حياتنا المسيحية، التي تتفاعل فيما بينها تفاعلًا مباشرًا ويعتمد بعضها على بعض. لقد قرنا الآن لنحجز الخلاص مجرد تذكرة لأبدية سعيدة. نريد أن نختبر الحياة التي من الله، ومحبه، وفرحه، وسلامه منذ الآن. وكما بذل الرب يسوع المسيح كل شيء لكي يقتنينا، كذلك نريد أن نضع حياتنا في تصرفه شكرًا له.

هذه ليست مهمة مستحيلة. الله يريد فرحنا الكامل ورضانا، ونحن لا نختبرهما إلا في حياة لأجل الله. ومثل هذه الحياة يكون المسيح مركزها، ومضمونها، وهدفها، ومستقبلها. سيملاً يوماً كل زاوية في الكون، وهو يملؤنا منذ الآن. وهذا الملاء يتخلل كياننا كله ويغيرنا يوماً بعد يوم أكثر إلى صورته. نحن أنفسنا أقل من يلاحظ هذا التغيير الإيجابي، لكن الله يعمل فينا.

في البداية يقف الروح القدس. إنه قوة كل عمل وأساسه. ويضاف إلى ذلك الاختبار اليومي الذي يشكّلنا ويحدّثنا إلى الخير، لكنه يجربنا أيضاً إلى الشر. هذا هو ميدان الإيمان، الذي تجري فيه دراما حياتنا، حين نطيع ربّ حياتنا الذي لا نراه، ونثق به ونحبه.

وفي كل شيء نحتاج إلى تكريسنا الكامل، وإلى التزامنا، وإلى إرادة الجدية. علينا أن نتبع يسوع بقلب غير منقسم ومملوء، وأن نأتي بالاستعداد والانضباط لكي نؤخر حياتنا الخاصة ورغباتنا ومصالحنا، لكي نرجح الحياة الحقيقية.

(رسم: مثلث فيه ثلاثة أسهم تشير من الأعلى ومن الزاويتين السفليتين إلى دائرة في الوسط؛ نص في الأعلى، وفي الدائرة، وفي أسفل اليسار، وفي أسفل اليمين)

عمل الله بالنعمة والقوة والعون بواسطة الروح القدس الساكن فينا والواقف إلى جانبنا دائماً. كلمته، الكتاب المقدس، هي الحكمة لحياتنا. إنه يريد أن يوصلنا بأمان إلى الهدف النهائي، ولكنه يريد أيضاً أن يحقق معنا هدفه الخاص لحياتنا الأرضية.

8. الفكرة مأخوذة عن دالاس ويلارد (Dallas Willard)، The Divine Conspiracy، ص. 347.

يُمكن يسوع المسيح وحياته هما مركز الحياة المسيحية ومحورها. ينبغي أن يتصور يسوع فينا. الله سيجعلنا مشاهدين صورة ابنه. وهذه العملية تكتمل عند مجيء المسيح، لكنها تبدأ من الناحية الأخلاقية منذ الآن على الأرض!

واقع الحياة، ميدان سباق الإيمان: الحياة اليومية بكل إغراءاتها وغواياتها الخاطئة، ولكن أيضاً بمحاربات العدو وهجماته، وبالامتحانات المختلفة في تأديب أبينا السماوي

إيماننا وإرادتنا، قرارنا والتزامنا، جهدنا وانضباطنا ومثابرتنا، لكي نواصل ونستمر في الركض في ميدان سباق الإيمان، رغم ارتباكنا، ورغم الأخطاء والنكسات والإخفاقات، لكي نبلغ الهدف النهائي السماوي

2.12 جولات سيرًا في الجبال

بعد أن ترك فينا التحليق انطباعاً قوياً، أدعوكم الآن إلى بعض الجولات الجبلية «الذهنية». أولادي لا يميلون كثيراً إلى المشي في الجبال، وأنا أيضاً أحتاج إلى أن أستجمع همّتي لذلك. لكنني لاحظت أمراً واحداً: حين أرى من غرفة عملي قمم جبال الألب في منطقة ألغوي (Allgäu) الكثيرة، أدرك أنها تجربة لا تُقدَّر بثمن أن يكون المرء قد صعد سيراً إلى إحدى هذه القمم واستمتع بالمنظر. هذه اللحظة بعد صعود شاق لا يمكن شراؤها، بل على المرء أن يتحرك بنفسه. أن ينظر المرء من طائرة شيء، وأن يذهب بنفسه إلى الجبال شيء آخر.

هذه الجولات الجبلية ليست نزاهات هيّنة على أرض منبسطة. ما أدعو إليه جولات جبلية مشوّقة، نصعد فيها بصبر، وأماناً مقاطع سهلة وأخرى صعبة، لكننا نبقى الهدف دائماً واضحاً أمام أعيننا: إنها حقائق الخلاص التي «حلّقنا فوقها» من قبل. أما الآن فسيكون الكلام عن تفاصيل مهمة يتضمّن التعليم الكتابي عن مقامنا في المسيح، وعن حقيقة ما يعنيه «المسيح فينا». الجولات الجبلية تستحق العناء. فأنا نفسي قتت بها حين كتبت هذه السطور، وكانت اكتشافات مؤثرة، ومثيرة للمشاعر، ومنيرة، ومحرّرة، ومحفّزة جداً.

ليكن دليلنا في الجبال الروح القدس، الذي التزم بأن يرشدنا إلى كل حق الله، حقّ الكتاب المقدس. إنه يركّز على أن يشهد له، للمحرّر يسوع المسيح، وأن يعظّمه في حياتنا.

الرحلة الأولى هي الأطول والأشق، لكنها في الوقت نفسه الأهم. فتى بلغ المرء هذه القمة مرة، لن تكون القمة التالية بالصعوبة نفسها. الرسالة التي كتبها بولس إلى أهل رومية توضح بـ الله، ولكن أيضاً نعمته في الإنجيل. هذه الرسالة ستشغلنا أولاً. فلا يوجد موضع آخر تُعالج فيه مسائل الخلاص الأساسية هذه بالنسبة إلينا بهذا الشكل. وهذا أيضاً هو السبب الذي لأجله نريد هنا أن نتكبد عناء الصعود آية بعد آية حتى القمة.

2.13 من آدم إلى المسيح

لا ندخل الرسالة إلى رومية من أولها، بل من «العربية» الخامسة في «قطار النعمة» هذا. ومع ذلك نريد أن نشير باختصار إلى ما نجده في الأصحاحات الأولى: بعد المقدمة في 1: 17-1 يتكلم بولس في 1: 18 - 5: 11 عن **خطايا** البشرية كلها، التي بسببها تقف مذنبه أمام الله (1: 18 - 3: 20). ومن جهة الله تُقابل هذه الحالة التي لا مخرج منها بحقيقتين من حقائق الخلاص:

- الفداء الذي يقدمه الله لنا مجاناً بدم يسوع المسيح المسفوك على الصليب (3: 21-31)
- قوة الله المُقيمة، التي أعادت المسيح إلى الحياة (4: 1-25).

الجزء الثاني من الرسالة يمتد من 5: 12 إلى 8: 39. وهنا يعالج بولس السؤال عما يفعله الله إزاء خطيتنا المستعصية على الإصلاح. فالأمر يتعلق بانخطية كبداء، كقوة شديدة موجودة في الإنسان. والسؤال هو: كيف يمكن للبار بالإيمان أن **يحيا** (1: 17)؟

2.14 ما الذي كان يجب أن يحدث أولاً لأجل خلاصنا؟

أليس من الضروري، ما دام الإنسان فاسداً إلى هذا الحد، أن يحدث شيء في الإنسان؟ «لن يكون هذا هو المنظور الصحيح. فلرسول بولس في الرسالة إلى رومية جواب مختلف تماماً: لم يكن من الضروري في المقام الأول أن يحدث شيء **في**نا، بل كان لا بد أن يحدث شيء **خارجاً** عنا، في المسيح. فإلى جانب عمل المسيح لأجل **خطايانا**، علينا أن نفكر أولاً في عمل المسيح لأجل **خطيتنا**، لأن هذا أيضاً حقيقة من حقائق الخلاص. وبعد ذلك، عندئذ فقط وليس قبل ذلك، يأتي دور عمل الروح القدس **في**نا. يجب أن نميز بوضوح بين عمل المسيح **لأجلنا** وعمل الروح القدس **في**نا. العمل الأول حدث خارجاً عنا تماماً، وقد أكمل، ولا حاجة إلى أن يُضاف إليه شيء. والثاني يجري فينا، وهو لم

يكتمل بعد زمن طويل، ولا يزال هناك الكثير مما ينبغي أن يُضاف. ولكن يجب أن يكون واضحاً تماماً أن حلّ مشكلة الخطية (سلطان الخطية، أصل الشر) ينتمي إلى حقائق الخلاص تماماً كما ينتمي إليها حلّ مشكلة الخطايا. وبعبارة أخرى أيضاً:

- التحرير من الخطية يحدث قبل كل شيء خارجاً عنا، وهو بذلك جزء من التبرير (قارن التعبير “مُبرَّر”⁹ في 6: 7)؛ وهذا هو عمل المسيح، الذي أكل مرة واحدة وإلى الأبد.
- بعد ذلك يتَّخذ التحرير شكلاً فنياً، وهذا جزء من التقديس الذي سيصبّ في تجيّدنا (8: 30)؛ وهذا هو عمل الروح القدس، الذي يتم تدريجياً على مدى حياتنا الأرضية.¹⁰

9. انظر الحاشية في ER.

10. إتش. بي. ميدما (H. P. Medema)، Romeinen 7 enzovoorts، ص. 44.

3. رومية 5: 12-21: من آدم إلى المسيح

حين أصغى أهل رومية بشغف إلى القارئ حتى 5: 11، استطاعوا - مع أنهم كانوا قد أتوا إلى الإيمان، وبالتالي إلى الخلاص - أن يتنفسوا الصعداء مرة أخرى. يبدو الأمر كأنه حدث للتو: كان لهم سلام مع الله، ولم يدانوا في هذه المحاكمة الإلهية مذنبين، بل أعلنهم ديّان الأرض كلها أبراراً. ويبدو أن موضوع التعديّات، وحقيقة أنهم لم يعودوا الآن خطاة بل أبراراً، قد اختتم في الواقع بالآية 11. فهل أُجيب إذن نهائياً عن كل الأسئلة المتعلقة بالخطية وببرّ الله؟ واضح أن الجواب لا. فالأمر يبدأ من جديد بقوة. ومرة أخرى يبني الرسول توتراً كالذي يشعر به المرء أيضاً في الأصحاحات الأولى من هذه الرسالة.

من أين جاءت الخطية؟ ومن أين جاء الموت؟ لماذا أُصيب جميع البشر؟ ما الدور الذي يؤديه ناموس الله؟ وبالطبع السؤال: هل يوجد مخرج من الحلقة المفرغة للخطية والموت والدينونة؟ ربما نظر بعضهم بعضاً في دهشة، فلم يكن بولس قد أسمعهم للتوّ هتاف الخلاص؟ فلماذا يبدأ الآن من جديد بالخطية والموت؟ الجواب: الموضوع لم يُعالج بعدُ معالجة كاملة. ومن يواصل الإصغاء يتّضح له سريعاً ما هو المقصود الآن. لم يعد الأمر متعلّقاً بما فعله البشر، الذي به أظهروا أنفسهم أثمة وخطاة. بل صار الأمر الآن متعلّقاً بالسؤال: لماذا هو الأمر هكذا؟ الموضوع الآن هو **ما هو الإنسان**، ولماذا يخطئ، وما هو سبب الخطايا. بولس يحفر الآن بحثاً عن الجذر، بعد أن عالج من قبل الثمار الرديئة. فالخطي لا يحتاج فقط إلى أن يبرّر من خطياه، أي أن يبرّر منها، بل أيضاً إلى أن يفدى من سلطان الخطية. فتحت سلطانها جاء بسبب ارتباطه بآدم، عن طريق شجرة نسب الحياة إن صحّ التعبير. هذه هي مشكلته، وفي هذا الارتباط هو محتجز، ولا يستطيع أن يحرّر نفسه منه. وإلى أن جاء المسيح لم تكن هناك أيّ فرصة للإفلات من هذا الارتباط.

يبين هذا النص كارثة السقوط وعواقبه. وفي الوقت نفسه يوضّح أيضاً، من خلال المقابلة والمقارنة بين الشخصيتين الرئيسيتين (أي آدم والمسيح)، كيف فتح الله الطريق إلى الحياة على مصراعيه.

في هذا النص يضع بولس الأساس للأصحاحات 6 و 7 و 8. فهذا النص يُستخدم فعلاً مقدّمةً وتمهيداً. ومن يقرأ هنا بدقة لن يجد الأمر في الأصحاحات التالية صعباً إلى هذا الحد.

3.1 الآية 12: كيف بدأ كل شيء

من أجل ذلك كأنا بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع ...

إنسان واحد فقط فتح الباب للخطية. لا إلى حياته **هو** فقط، بل إلى العالم. وهذا يعني أن كل ما يحيا في هذا العالم قد تأثر بها **هو** أيضاً: جميع البشر يموتون، لأنهم جميعاً أخطؤوا. وهذا الإنسان أدخل بذلك أيضاً الموت وكل البؤس المرتبط به. فكشارة أشعل فعل أول، تافه في الظاهر، حريقاً واسعاً لا يزال يستعر حتى اليوم أكثر من أي وقت مضى.

هذه الشخصية المأساوية هي آدم التاريخي، الإنسان الأول، كما يتّضح مباشرة. صحيح أن بولس كان يعرف أن الخطوة الأولى إلى العصيان لم تأت من آدم، بل من حواء (1 تيموثاوس 2: 14)، لكن آدم سكت وشارك. لقد تبع امرأته، مع أنه **هو** الذي تسلم الوصية قبل أن توجد حواء. ولذلك كان مسؤولاً عن كل ما حدث.

موضوع بولس هو التباين بين شخصيتين رئيسيتين، أي آدم والمسيح، يرتبط بهما كل «نسلهما».

3.1.1 الخطية والخطايا

كانت الخطية موجودة قبل آدم، لأن الشيطان يخطئ من البدء (1 يوحنا 3: 8). وقد تقدّم إلى الإنسان الأول ليغويه. أما المحرّب، الحية القديمة، فلا يُذكر هنا. فالإنسان تصرّف بمسؤولية ذاتية كاملة.

مصطلح «الخطية» هنا ليس مجرد صيغة المفرد من الخطايا. فالأمر هنا يتعلق بأكثر من ذلك بكثير. وكما يُستفاد من هذا الموضع ومن النصوص التالية، يتعلق الأمر هنا بالخطية بوصفها مبدأً معادياً لله، قوة تقف ضد الله ووصاياه. يتعلق الأمر بالخطية بوصفها مرضاً يهدّد الحياة، ينتهي بالموت، وقد أصاب جميع البشر. يقول الرسول يوحنا: «الخطية هي

الخروج على الناموس» (1 يوحنا 3: 4). وبذلك تشمل الخطية رفض سلطة الله (الفوضى)، في أي صورة كانت، مرئية أو غير مرئية.

يشبه واتشمان ني (Watchman Nee) الخطايا والخطية تشبيهاً بالغ الوضوح بالموقف التالي: إذا أراد المرء أن يحل مشكلة الكحول نهائياً، فلا يكفي أن يتعقب كل الكحول ويتلفه. بل لا بد من إيقاف مصادر الإمداد، أي أماكن إنتاج الكحول، وتدميرها. فالكحول نفسه يرمز إلى الخطايا، بينما ترمز المصانع إلى الخطية.

3.1.2 الخطية والموت

كان آدم وحواء يعرفان أن الخطية ستجلب الموت (تكوين 2: 17). فالله نفسه أعلن الموت عاقبةً لكونهما سيئاً كلان الثمرة المحرمة من شجرة معرفة الخير والشر. وقد بدأ الموت في اللحظة نفسها التي تعدياً فيها هذه الوصية. وهذا الموت قطع على الفور العلاقة الهادئة المفعمة بالثقة التي كان الخالق يرباها مع خلأقه.

الموت لا يعني محو الوجود أو إلغائه. بل يعني الانفصال وتغييراً في الحالة السابقة، أو بالأحرى تدهوراً لها. يتكلم العهد الجديد عن موت روحي. وهذا لا يتضمن محو قلب الإنسان أو روحه، بل عجزه عن الدخول في صلة مع الله. أما هنا فيتكلم بولس عن الموت الجسدي عاقبةً للخطية.

الموت هو العاقبة (المتأخرة) الحتمية التي لا مفر منها للخطية. لقد اجتاز الموت إلى جميع الناس، ولم يكن ممكناً إيقافه. كان يمكن أن ينجم ذلك لو أن إنساناً لم يخطئ، وبرهن بذلك على أنه ليست له طبيعة آدم. وهذا لم يحدث قط بين البشر؛ فلم يكن ممكناً حتى الآن أن تُشخص العصمة من الخطية لدى أحد. الجميع مصابون، ويدوقون الموت عاجلاً أو آجلاً.

3.1.3 السقوط والخطية الأصلية

لا يعني هذا أن سقوط آدم يتكرر لدى كل إنسان، بحيث يوضع، وهو بريء مثل آدم، أمام الاختيار بين أن يطيع أو أن يرتكب تعدياً. لو كان الأمر كذلك، لكان هناك احتمال أن ينجم إنسان ما ربما في ألا يخطئ، وبالتالي ألا يضطر إلى أن يموت. يريد بولس

أن يقول إن كل إنسان ورث كان آدم الخاطئ، ولذلك غيابه مطبوعة بالخطية. خط النسل لم ينقطع قط. وعلى ذلك برهانان: أولاً الموت، ثم أيضاً حقيقة أن كل إنسان قد أخطأ. ويختلف هذا عن وضع آدم من حيث إن الإنسان اليوم قد صار من قبل ضعيفاً أخلاقياً (بل فاسداً) بسبب طبيعة الخطية الموروثة من آدم، ولذلك يخطئ. وإلى هذا النص يعود المصطلح اللاهوتي «الخطية الأصلية»¹¹.

صارت الخطية بتعدي آدم رفيقاً دائماً لكل إنسان، إذ أصابت الإنسان في كل وجوده، بوصفها مبدأ معادياً لله، كمرض عضال. لقد استولت على الإنسان كله - روحه، ونفسه، وقلبه، وذهنه، وإرادته، وجسمه. والموت بوصفه عاقبة الخطية استولى على الجزء غير المادي من الإنسان - إنسانيته الداخلي - وأحدث موتاً روحياً «في ... الذنوب والخطايا» (أفسس 2: 1)، كما أصاب الجزء المادي (الجسم) أيضاً. فهذا أيضاً يسود عليه الموت: البدن ميت بسبب الخطية (8: 10).

لا يمكن فصل تاريخ أي إنسان عن أبيه الأول. فتاريخه لا يكتب من جديد بأن تُعطى له الفرصة ليبرهن أنه ليس مضطراً إلى أن يخطئ. إنه ابن لآدم بكل العواقب المأساوية. لا يحتاج أي طفل يولد إلى أن يتعلم الخطية. فالخطية موضوعة فيه منذ المهد، والتربية وحدها قادرة على كبح انفجار الخطية الكامل.

يفهم بعضهم هذه الآية كأننا أخطأنا (معه) في آدم، أي في تعديده. وفي هذه الحالة سنحمل المسؤولية عن فعل لم نرتكبه أصلاً. المقصود هو أن آدم بهذا الفعل أدخل الخطية إلى حياته، ونحن بوصفنا نسله ورثنا هذا الكيان بالضرورة. ولا نستطيع نحن أنفسنا أن نغير في ذلك شيئاً.

3.1.4 وصية بسيطة

التعدي الذي كانت له مثل هذه العواقب المدمرة لم يكن فعل خطية مروّعا، ولا جريمة قتل أو سرقة - لا، بل كان تعدياً على وصية بسيطة جداً. فالفعل لا يصير خطية فقط حين يكون مروّعا بشكل خاص. كل فعل (من أصله في الفكر حتى تنفيذه) هو خطية، متى رفض سلطة الله، التي تتجلى هنا في وصية بسيطة، أو حتى نسيها فقط.

11. بالإنجليزية original sin.

في هذه الأصحاحات لا تُذكر الخطية تقريباً من خلال الأفعال الخاطئة، بل تُذكر على الدوام تقريباً بوصفها مبدأ يقف وراء كل الأفعال الخاطئة - أي وراء الخطايا.

الخطية مبدأ يدفع الإنسان إلى أن يأخذ حياته بيده هو، وآلا يبالي بمشيئة الله، أو بوجوده أصلاً. وليس من الضروري أن ينتج عن ذلك خطايا «فضيحة». فحياة إنسان رفيع المستوى أخلاقياً، لا يسأل عن مشيئة الله، متخللة بالخطية تماماً كحياة قاتل أو زان. وعن هذه الخطية يدور الكلام في الأصحاحات التالية. لقد نبتت بذرة الخطية في كل إنسان، وإن لم تكن قد ثمت عند الجميع بالقدر نفسه.

السؤال الكبير الذي يعمل بولس للوصول إليه هو: ماذا فعل الله إزاء مشكلة الخطية هذه؟ لا يكفي لذلك الغفران أو المصالحة. فالله لا يغفر ما أنا عليه، بل ما فعلته. ففي النصف الأول من هذا الأصحاح الخامس يقول الرسول صراحةً إننا «كنا خطاة»، أي أننا لم نعد كذلك الآن. ماذا حدث بالضبط لكي يتحقق ذلك؟ وكيف سيضمن الله ألا تسود الخطية بعد في حياة المؤمن، كما لا يزال الأمر لدى جميع الذين ما زالوا في «عائلة آدم»؟

تنقطع الآية 12 بجملة اعتراضية طويلة، فيبدو أنها تتوقف في منتصفها. وبما أننا نعرف النص كله، فإننا نكملها هنا مرة بكلماتنا الخاصة لفهم أفضل، على غرار الآية 18، حيث تُستأنف الآية 12 هذه بعد الجملة الاعتراضية:

من أجل ذلك

كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم،

وبالخطية الموت،

وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس،

إذ أخطأ الجميع ...

... هكذا بإنسان واحد وبفعله البار (الجلجلة)

دخل البر إلى العالم،

وبالبر الحياة (الأبدية)،

وهكذا اجتازت الحياة إلى جميع الناس.

3.2 الآية 13: الخطية قبل إعطاء الناموس

... فإنه حتى الناموس كانت الخطية في العالم؛

على أن الخطية لا تُحسب

إن لم يكن ناموس.

هنا تبدأ جملة اعتراضية لا تنتهي إلا بالآية 17. يؤكّد بولس أنه لا مخرج من الارتباط بآدم - بغض النظر عن الحقبة في تاريخ البشرية، سواء أكان هناك ناموس أم لم يكن.

بدأ تاريخ البشرية بآدم، وكذلك تاريخ الخطية والموت في عالم البشر. وحتى التوراة، أي ناموس موسى، مرّ على الأرجح نحو 2500 سنة. الناموس يجعل الخطية ملموسة وظاهرة، لكنها كانت موجودة أيضًا في الزمن الذي لم يكن فيه هذا الناموس قد وجد بعد. وبذلك يدعم بولس قوله الرئيسي، وهو أن آدم هو الذي دخلت به الخطية إلى العالم وبقيت فيه أيضًا. كل نسله صاروا ما كان هو عليه: لقد أظهروا أنفسهم خطاة. منذ آدم سادت الخطية، حتى لو لم يكن ممكنًا أن تُسمّى باسمها وأن يُشار إليها بواسطة الناموس. وهذا لا يؤكّده موت جميع البشر في ذلك الزمن فحسب، بل أيضًا أحداث ذلك الزمن. ولعل الطوفان العظيم في زمن نوح هو أوضح مثال على ذلك. وليس أقلّ من ذلك أن بولس وصف في الأصحاحات الأولى من رسالته الحالة الفاسدة فسادًا ميؤوسًا منه لنسل آدم قبل زمن الناموس. ولو طبق المرء لاحقًا مقياس الناموس على الزمن الذي لم يكن فيه ناموس، لظهرت، إلى جانب شهادة الضمير، حقيقة أن الناس كانوا يخطئون آنذاك أيضًا، لأنهم كانوا خطاة.

3.3 الآية 14: آدم، مثال الآتي

لكن قد ملك الموت من آدم إلى موسى،

وذلك على الذين لم يخطئوا

على شبه تعديّ آدم،

الذي هو مثال الآتي.

(قارن هوشع 6: 7)

إن مُلك الموت، الذي لا يستطيع أيّ إنسان أن يفلت منه، أمر ثابت، ويبرهن على مُلك الخطية الذي لا يرحم بالقدر نفسه. وهذه إشارة أخرى إلى أن الخطية موجودة حتى من دون وصية محدّدة. بل أكثر من ذلك: هذه الكلمات توضّح بما لا يقبل اللبس أن الناس في ذلك الزمن لم يكونوا خطاة لأنهم أخطؤوا (مع أن هذا صحيح أيضًا)، بل لأنهم كانوا من نسل آدم. فحتى من دون تعدّد محدّد كان الناس يموتون، وبهذا يقدم البرهان على أن الارتباط بآدم هو المشكلة.

الرُّضْع الذين لا يخطئون عن وعي يموتون، لأنهم من نسل آدم.

المقصود، بكل تأكيد، هو أن الارتباط بجذنا الأول آدم لا يمكن أن يقطع بالنسبة إلى أيّ إنسان (بناموس أو بغير ناموس). الجميع يولدون خطاة، لأن أبانا الأول سقط في الخطية. لذلك فالعبارة التالية مهمة جدًا: لسنا خطاة لأننا نخطئ. بل نحن نخطئ لأننا خطاة، وولدتنا خطاة.

الخطية لم تدخل إلى العالم فقط، بل بلغت إلى قلبنا. يقول يسوع إن الأفعال الشريرة تخرج من القلب، من الداخل، من أعماق أعماق الكيان (مرقس 7: 21-23). إنها تنبع من حقيقة أننا «صرنا خطاة» (قارن رومية 5: 19؛ Luther 1912، ترجمة ألمانية للكاتب المقدس).

3.3.1 آدم والمسيح

يتناول بولس الآن مقابلة رائعة بين آدم و«الآتي». ومن الواضح أن الآتي هو المسيح - فله المستقبل. فآدم إذن «مثال» يشير إلى المسيح. ويمكن أن يسميه المرء صورة مقابلة، لأن التطابق قائم فعلاً في مدى أفعال كلّ منهما وأثرها، لكن هذه الأفعال متضادة تمامًا. آدم الأول يمثل الخطية والموت، وآدم الأخير (1 كورنثوس 15: 45) يمثل الحياة والبر. والتطابق بين الشخصين يقوم في أن كلّاً منهما يمكن أن يوصف بأنه رأس عائلة بشرية، أو أصلها، أو أبوها. كلاهما نائب عن نسله أو عن جنسه.

3.4 الآية 15: بالمسيح يُعوّض الضرر بأكثر مما كان

ولكن أليس كالتعدي هكذا أيضاً هبة النعمة؟

لأنه إن كان بتعدي الواحد

قد مات الكثيرون،

فبالأولى كثيراً

نعمة الله

والعطية بالنعمة،

التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح،

قد ازدادت للكثيرين.

يشرح بولس مثال آدم من خلال التضادات مع المسيح. تعدي آدم يجلب الموت إلى الكثيرين الذين هو أبوهم الأول. ولكن إله النعمة لم يدع الأمر عند هذا الحد. إنها فعلاً نعمة خالصة تلك التي تتولّى أمر عائلة آدم هذه. ولا يتعلق الأمر بالذين وصلوا من دون ذنبهم، بسبب تعدي آدم، إلى حالتهم الهالكة الموسومة بالموت والخطية فحسب، بل أيضاً بالذين يعيشون هم أنفسهم وفق شعار الخطية.

نعمة الله تُخرج عطية، أي إنساناً يُقابل بآدم. والعطية بالنعمة شخصٌ تتدفق به نعمة الله بحيث تنهار كل السدود، ويمكن أن يبلغ كل إنسان (أيضاً كان على هذا الكوكب). النعمة في شخص ابن الله، آدم الأخير، أقوى من كل ما دخل إلى العالم بآدم الأول. كثيرون هم الذين ماتوا، وكثيرون يمكن أن يكونوا الذين سيحيون. الله لم يترك بشريته للموت!

3.5 الآية 16: نتيجة التعدي ونتيجة هبة النعمة

وليس كما ب (ال) واحد

الذي أخطأ

هكذا العطية؟

لأن الحكم من واحد (زلة) للدينونة،

وأما هبة النعمة فمن تعدّيات كثيرة للبرّ (للتبرير أو لحكم التبرير).

قرار آدم البالغ العواقب يجلب الدينونة على الجميع - هذا هو الميراث الذي تركه. ومن الآية 15 يدور الكلام عن الله، ولذلك أيضًا عن الدينونة. الله ينفذ دينوته العادلة وحكمه على الخاطئ، ولا يمكن أن يعني ذلك إلا الدينونة. ولكن هبة النعمة في الإنسان يسوع المسيح تقود إلى تبرير الخاطئ، أي إلى عكس الدينونة. فهذه أصابت البديل عوضًا عنّا. والآن لا يقف في قفص الاتهام تعدّي آدم وحده، بل الأمر يتعلق أيضًا بالتعدّيات الكثيرة لنسله العديد. وزمن التاموس أيضًا مشمول الآن.

3.6 الآية 17: مُلك الموت يُبْطَل بالمسيح

لأنه إن كان بتعدّي الواحد

قد ملك الموت ب الواحد،

فبالأولى كثيرًا الذين

ينالون فيض (فائض) النعمة

وعطية البرّ،

سيملكون في الحياة (أي في قوة الحياة)

ب الواحد، يسوع المسيح.

نعمة الله فائضة، وهي تظهر في فيض لا يُقاس. وبها ينال نسل آدم برّ الله عطيةً. ويسوع المسيح، آدم الأخير، يُنتزعون من مُلك الموت. والآن لم يعد الموت يملك عليهم، لا، بل هم أنفسهم يملكون في قوة حياة ربهم القائم، كما سيبيّن الأصحاح التالي. يسوع المسيح يصيرون منتصرين - منذ الآن، وعن قريب بلا قيود في البدن الجديد، حين يكونون مثل يسوع.

هنا تنتهي الجملة الاعتراضية التي بدأت في الآية 13، والتي تناول فيها بولس الموضوع الخاص بوجود الخطية رغم غياب التاموس. لقد فنّد كل الحجج القائلة إنه قد توجد

استثناءات لم يؤثر فيها ما فعله آدم. جميع البشر مرتبطون بالضرورة بآدم، وواقعون تحت عواقب تعديده.

إنها حقيقة بالنسبة إلى كل إنسان أن الارتباط بآدم قائم. وهذا يسري أيضاً على من يُسمّى «الإنسان الصالح»، الذي يتميز بأعمال صالحة - يهودياً كان أم أمياً. ولا يستطيع أن يحرر نفسه من ذلك بنفسه. عليه أن يعترف بهذه الحقيقة، ولكنه، كما تبين الكلمات التالية، لا يحتاج إلى أن يبقى بلا رجاء: لقد فتح الله مخرجاً. فبنعمة الله لا يستعيد حالة آدم البريئة فحسب، بل ينال، من خلال ارتباط جديد بالمسيح، «ربّ عائلته» الجديد، أكثر بكثير مما كان لآدم في أي وقت مضى.

كانت مهمة آدم أن يتسلّط على الخليقة. أما الآن فقد صار هو وكل نسله تحت تسلّط الخطية والموت. ولكن الذين ينالون عطية البرّ سيملكون في الحياة. وهذا الملك يعني أنهم يستطيعون أن يعيشوا كما يريد الله - في الحرية ولحمداً لله. «أن تملك في الحياة» هو خلاصة ملء الحياة التي لنا الآن في المسيح. وبهذا الوضع الجديد نستطيع أن نكون البشر الذين يحققون الغاية التي خلّقوا لها، أي أناس الله الذين يحيون معه ومنه. لم يعودوا تحت تسلّط الموت والخطية بكل آثارهما على الإنسان، لقد تحرّروا من العبودية، لكي يكونوا الآن ما عيّنهم الله له. وهذا ما سيشرحه بولس لاحقاً بالتفصيل.

3.7 الآية 18: الدينونة وتبرير الحياة

فإذاً،

كما بتعدّ واحد

صار الحكم إلى جميع الناس

للدنونة،

هكذا ببرّ واحد

صارته الهبة إلى جميع الناس

لتبرير الحياة.

مرة أخرى يقف فعل آدم المأساوي، بمداه وأثره على جميع البشر، في مقابل الفعل الواحد للبار الواحد. الدينونة هي حكم الله العادل على جميع البشر الذين وجدوا والذين سيوجدون. ولكن البرّ الواحد، الفعل البارّ الواحد، يقف هناك بالفاعلية نفسها. إنه يشمل موت المسيح الطوعي المطيع ذبيحة. وهذا الفعل الواحد الفريد الذي لا مثيل له سيؤثر بالقدر نفسه على جميع البشر بلا استثناء. إنه يجلب تبرير الخطيئة. وقد عرض هذا من قبل في الجزء الأول من الرسالة. أما الآن فالأمر يذهب أبعد من ذلك. الآن يدخل **تبرير الحياة** مجال الرؤية. الحياة، التي هي أقوى من الموت، تدخل الآن في الصورة. لا يتعلق الأمر هنا فقط بحكمة يجب أن يبت فيها في مسألة الذنب، أي بما فعلته أنا. بل يتعلق الأمر هنا بالأحرى بأن لي، بوصفي إنساناً، بوصفي خاطئاً مبرراً، حياة جديدة تغير فيها شيء في داخلي. بوصفي إنساناً نلت برّ الله، لأنني أملك الحياة التي من الله، حياة القائم من الأموات. من خطايائي برّت، أي بررت. ولكن وجودي أيضاً، كإني الجديد في المسيح، يحمل ختم برّ الله. إن دينونة الله، أي حكمه عليّ، تصيبني بحق، لا لأجل ما فعلته فقط، بل أيضاً لأجل ما أنا عليه. أما الآن فأنا في المسيح وأملك حياة جديدة. وهذا النص يستخدم أساساً لما سيشرحه بولس فيما يلي بتفصيل أكبر.

التبرير يجلب معه عطية الحياة. التبرير يقود إلى الحياة الأبدية. وفي ارتباطي بالمسيح القائم أجد نفسي في مقام جديد تماماً، يحدده الآن بالكامل واهب حياة جديد، رأس جديد: المسيح. وفي هذه الحالة يكون كإني كله مشمولاً في التبرير الذي من الله.

3.8 الآية 19: المكانة القانونية للخطاة والمقام الخلاصي للآبرار

لأنه كما بمعية الإنسان الواحد

وضع الكثيرون في مكانة خطاة،

هكذا أيضاً بإطاعة الواحد

سيوضع الكثيرون في مكانة أبرار.

مكانة الخطيئة وضع يُرى له، وصل إليه بحكم الله: لقد أخطأت لأنني من نسل آدم؛ أنا خاطئ في كل وجودي، ويجب أن ينظر إليّ على هذا الأساس.

الإنسان يسوع المسيح، الذي كان، على عكس آدم، مطيعاً حتى الموت على الصليب، يستطيع أن يفتح لنا طريق الحياة. وثمر طاعته يعطيني الإمكانية لأن أتخذ المقام الثابت الأكيد للبار.

إنها مقابلة مجردة بين شخصيتين رئيسيتين: آدم والمسيح. لا يتعلق الأمر هنا بكيف أعيش أنا كمسيحي. أنا أعرف أنني أشغل مكانة البار. في بداية الأصحاح 5 أخرج من قاعة المحكمة مبرأ، إن صح التعبير. والآن تستمر الحياة. ماذا أنا الآن؟ قبل ذلك كان الأمر يتعلق بما فعلته، أما الآن فيتعلق بما أنا عليه.

لقد وضعني الله في مكانة البار، وهو يأخذ هذه المكانة التي أنشأها هو نفسه بجديّة. إنه يلتزم بأحكامه هو، إنه أمين.

في مكانة الخطاة يولد جميع البشر «تلقائياً». أما مكانة الأبرار ففتوحة للجميع. ولكنها لا تمنح إلا للذين يؤمنون («الكثيرين»، وللأسف ليس الجميع).

3.9 الآية 20: الناموس يكشف كل الخطايا

وأما الناموس فدخل إلى جانب ذلك،

لكي يكثر التعدي.

ولكن حيث كثرت الخطية،

ازدادت النعمة جداً ...

لم يستطع الناموس أن يغيّر شيئاً نحو الأفضل. لم يحسن حالة الإنسان، بل زادها سوءاً، لأن الخطية صارت بالناموس أكثر فيضاً. وبدلاً من أن تُكَبَّت الخطية وتُحصَر، ظهرت أكثر.

الناموس الموسوي (وفي جوهره الوصايا العشر) أوضح مدى قوة سيادة الخطية. ولكن الله لم يعلن مشيئته بالناموس لكي يقول به الكلمة الأخيرة ويترك الإنسان يهلك في طوفان خطاياهِ الفائضة. لقد أجاب بنعمته التي لا حدود لها. وبذلك لم تعد المقارنة بين الشخصيتين الرئيسيتين مجرد مقابلة، بل برهاناً على أن الله أعظم، لا في القدرة فقط، بل في النعمة أيضاً.

الناموس كشف ما كان موجوداً من قبل. فالتاس كانوا يخطئون منذ آدم. أما بالناموس فصارت الخطايا تُسمى بأسمائها. لقد أظهر الناموس بوضوح كم من الخطايا يرتكب الإنسان. وبهذا الناموس صار هناك مقياس إلهي ثابت لا يقبل الرشوة لما هو خير وشر.

3.10 الآية 21: من الموت إلى الحياة الأبدية

... حتى كما ملكت الخطية في الموت

(في قوة الموت)،

هكذا تملك النعمة

بالبرّ للحياة الأبدية

يسوع المسيح

ربنا.

بالنسبة إلى الذين هم في المسيح، صار مُلك الخطية حتى الموت الآن من الماضي. فبالنسبة إليهم تملك النعمة. ولكن النعمة أساسها برّ الله. إنها ليست نعمة رخيصة تتغاضى ببساطة عن كل شيء. لا، فكل شيء يجري وفق الحق. برّ الله هو أفضل أساس، وهناك يقين قانوني مطلق.

هذه الكلمة مكثّفة جداً وغنيّة المضمون في وصف ما أنجز الآن في «آدم الأخير» (المسيح)، إلى حدّ أن المرء لا يكاد يستطيع أن يستوعبها.

يمكن القول إن النعمة أيضاً تملك الآن كما ملك الموت قديماً - متعلّبة على كل العوائق، ولا تقاوم. فنحن لا نستطيع أن نفلت من عواقبها، كما لا يستطيع الخطي أن يفلت من الموت. ولكن حكم النعمة هذا نرضى به بسرور!

لأول مرة يدور الكلام في هذا السياق عن الحياة الأبدية، والمقصود هنا امتلاكها في المستقبل في قيامة الحياة. الحياة الأبدية تعدّ بمستقبل في المسيح لا نهاية له. والرسالة إلى رومية برهان على كيف يحارب الله لأجلنا، لكي لا نهلك، بل تكون لنا الحياة الأبدية.

3.11 نظرة شاملة على رومية 5: 12-21

نائب الخليقة القديمة ورأسها؛ نائب الخليقة الجديدة ورأسها؛		الإنسان	
الأول الإنسان		الثاني وادم الأخير	
المثال	المشير إلى آدم	يسوع	المسيح
الفعل	التعدي	البرّ	(فعل) البرّ
النتيجة	الخطية	والموت البرّ	الحياة
الأثر على كل النسل الحكم	المكانة أمام الله خطاة	والدينونة النعمة	وتبرير الحياة
المطالبة	القديمة مُلك بالعرش	للهموت مُلك النعمة بالبرّ للحياة الأبدية	والجديدة

4. رومية 6: أحرار من سلطان الخطية

جميع البشر الذين يولدون ينتمون «بالطبيعة» (أفسس 2: 3؛ رومية 11: 24)، سواء أرادوا الاعتراف بذلك أم لا، إلى سلالة آدم، أيهم الأول. وهم بالضرورة، بوصفهم كذلك، مصابون بعدوى الخطية. والبرهان على ذلك قاطع: إنهم يموتون، حتى من دون أن يكونوا قد تعدوا وصية محدّدة. ولكن نعمة الله لا يمكن إيقافها. لقد أرسل إلى العالم آدم «جديداً»، وهذا هو جواب الله على إخفاق آدم الأول والبشرية كلها. «آدم الأخير» هو يسوع المسيح، ابن الله نفسه، الذي كان، على عكس آدم، مطيعاً طوال حياته كلها في أصعب الظروف، حتى ذروة بذل نفسه طوعاً ذبيحة عن الخطية. وفعل البرّ هذا (5: 18) يفتح الباب المؤدّي إلى شجرة الحياة الذي أغلق بخطية آدم. وشجرة الحياة هذه هي الآن المسيح نفسه، وذلك بوصفه الذي مات وقام. وفيه ينشأ الآن جيل من البشر الجدد، الذين يُنقلون، بتدخل الله (1 كورنثوس 1: 30)، من آدم إلى داخل المسيح. يحدث تحوّل خلاصي، تغيير للجانب، يقطع الارتباط بآدم وينشئ ارتباطاً جديداً بالمسيح. إنهم يُقَطَّعون، إن صحّ التعبير، من شجرة آدم، وقد صاروا الآن متّحدين بالمسيح نمواً (6: 5)، وهم الآن «في المسيح يسوع» (6: 11). إنهم ينالون حياة آدم الأخير (1 كورنثوس 15: 45)، وينتمون إلى عائلة جديدة رأسها وبدايتها وأصلها الإنسان يسوع المسيح. إنه ليس آدم الثاني، بل آدم «الأخير»: فلن تكون هناك مأساة جديدة، ولا سقوط جديد، يمكن أن يدخل الخطية يوماً إلى هذه الخليقة الجديدة.

4.1 تغيير الجانب: من آدم إلى المسيح

كيف يتابع بولس الآن هذا الموضوع؟ المقطع الثاني من رومية 5 نوع من العمل التمهيدي للأصحاحات الثلاثة التالية. فالأمر يتعلق الآن بكيفية حدوث هذا الانتقال من سلالة إلى أخرى. كيف يتمّ هذا التحوّل من الموت إلى الحياة؟ ماذا يحدث لهؤلاء البشر؟ ما العواقب التي تترتب على ذلك في حياة هؤلاء البشر؟ ماذا يحدث للخطية؟ هل يصير المؤمنون الآن بلا خطية بالتوبة والولادة الثانية؟ هذه الأسئلة وأمثالها تقف وراء شروحات بولس في الأصحاح السادس.

4.2 الآيتان 1-2: هل النعمة رخصة لارتكاب الخطية؟

فإذا نقول؟

أبقى في الخطية

لكي تكثر النعمة؟

حاشا!

نحن الذين متنا عن (بالنسبة إلى) الخطية،

كيف نعيش بعد فيها؟

من الواضح أن المؤمنين (فإلى أمثال هؤلاء يتكلم بولس هنا) يمكن أن يقولوا في الخطية، وهذا يحسم السؤال عما إذا كان المؤمن لم تعد فيه خطية. إن فيض النعمة، التي ستفوق دائماً الخطية وعواقبها بفضل عمل المسيح، يمكن أن يُساء فهمه عن قصد أو عن غير قصد. فيستمر المرء في العيش كما كان دائماً، كأنه لا يزال ينتمي إلى عائلة آدم، مع أنه صار في المسيح. وهذا بالطبع، بلا أدنى شك، استنتاج خاطئ وتناقض يتصدى له بولس بحزم. ومع ذلك يبدو أنه كانت هناك مثل هذه الأفكار (وكانت على الأرجح حججاً تهويدية ضد إنجيل بولس)، وبعض المسيحيين يعيشون للأسف اليوم أيضاً وفق هذا الشعار. يقول بولس إنه لا شأن لنا بهذا الاستنتاج. ولذلك سبب قاطع:

4.2.1 لقد متنا عن الخطية وعن سلطانها!

لا ينبغي للمؤمن أن يعيش حياة تسود عليها الخطية. ما السبب؟ لقد مات بالنسبة إلى الخطية، وهذا لا بد أن تكون نتيجته المنطقية أن الخطية لم تعد تستطيع أن تسود على حياته. فالميت لا يستجيب لأي شيء.

يجب أن نقرأ بدقة: ليست الخطية هي التي ماتت، بل نحن الذين متنا. ولكنني أجد الآن أنني لا أزال حياً تماماً. فكيف يُفسر هذا الموت؟

التفسير لا نستطيع أن نستخلصه من هذه الآية بعد، بل يأتي في الآيات التالية. فهنا يتعلق الأمر، كمقدمة، أولاً بهذه الحقيقة في حد ذاتها: أما فيما يخص الخطية، فقد متنا.

بالطبع نحن نعرف من قبل أن هذا الموت هو موت يسوع المسيح، ولكن لتتبع بولس كيف يطور هذه الفكرة خطوة بعد خطوة. ومن المهم هنا منذ الآن هذا التنبيه: الموت الذي متناه لا ينهي وجودنا - لا وجود الروح أو النفس، ولا وجود البدن. إنه موت «خاص»، يتعلق بالخطية وحدها. فبالنظر إلى الخطية، في الصلة أو العلاقة بالخطية، قد متنا. المقصود هو موت يسوع، الذي أخذ على نفسه حكم الله بالموت على الخطية. لقد مات للخطية (الآية 10)، لأنه قدّم نفسه ذبيحة وجعل خطية لأجلنا.

4.3 الآيتان 3-4: اعتمدنا للمسيح ولموته

أم تجهلون

أنا كل من اعتمد ليسوع المسيح

اعتمدنا لموته؟

فدُفنا معه

بالمعمودية للموت،

حتى،

كما أُقيم المسيح من الأموات

بمجد الآب،

هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة.

لعل أهل رومية تساءلوا كيف ينبغي أن يفهم أمر «كوننا قد متنا» هذا. لذلك يذكرهم بولس بمعموديتهم. لقد اعتمدوا للمسيح يسوع. وبهذا العمل كانوا قد أتموا (لكي تتابع الخطي الأحمر في رومية 5: 12-21) تغيير الجانب من آدم إلى المسيح، اعترافاً علنياً. فالمعمودية في نهر أو بحيرة أعلموا كل من رآهم أن لهم رباً جديداً. ومع أنه لا يدور الكلام هنا عن الماء، فالمقصود هنا هو المعمودية بالماء. والمعمودية نفسها لا علاقة لها بالحقيقة الداخلية لـ«كوننا قد متنا». فالمعمودية بوصفها عملاً خارجياً لا تُحدث موتي، ولا تُحدث ولادتي الثانية أيضاً. إنها، إن صحَّ التعبير، الجانب الخارجي لحقيقة تحققت بالإيمان

وبالولادة الثانية.¹² المعمودية صورة لما حدث لي روحياً، وبالتالي في الحقيقة، حين اتحدت بالمسيح.

4.3.1 المعمودية للموت

لم نعتمد لاسم المسيح يسوع فقط، بل أيضاً لموته. المعمودية اعتراف بموت المسيح، أو اعتراف يتجه إلى موته. فالتفات المعتمد إلى المسيح حدث بالضبط بسبب حقيقة أن المسيح مات عوضاً عنه. ومع أننا نعجب بحياة يسوع الكاملة، ولا يوجد ما يقارن بها، فإن موته هو الذي يخلصنا، لا حياته المقدسة.

فنحن إذن نعرف في معمودية الماء بيسوع المسيح وبموته. وكلاهما، بالمناسبة، جهالة في نظر العالم.

«مرجع المعمودية» هو شخص يسوع المسيح وموته. ومرجع المعمودية يحدد الشخص الذي يلتزم المرء تجاهه بالمعمودية (مثلاً: اعتمدوا لموسى؛ 1 كورنثوس 10: 2). والشخص الذي يعتمد المرء له يتبعه منذ المعمودية.

رمزية المعمودية واضحة: ما يُصور في عمل المعمودية ليس عملية القتل. فالمعمودية ليست «إغراقاً». المعمودية ببساطة دفن رمزي، إن صحّ التعبير في قبر من ماء. وهذا يعني أن ميتاً هو الذي يُعمد (يُغطس). إنساننا العتيق قد صلب معه (أي قتل). فإذا اعترفت في المعمودية بموت المسيح خلاصاً شخصياً لي من حكم الله بالموت، فإن هذا يتضمن إقراراً العليّ بأنني استحققت حكم الله بالموت. فالمعمودية أعترف بأن حكم الموت قد نفذ فيّ في موت يسوع النيازي. الإنسان العتيق، الذي كنته حتى توبتي وولادتي الثانية، يُحمل في المعمودية رمزياً إلى القبر ويدفن. وأعترف بذلك بأن حياتي من دون المسيح لم تستحق إلا الموت، وفي الوقت نفسه بأنها انتهت إلى الأبد. هذه الحياة في سلالة آدم وفي شجرة نسيه قد انتهت الآن.

12. هذه ليست المعمودية بالروح القدس. فثلك تتمّ بالمسيح. إنه هو المعمّد الذي يهب الروح القدس للمؤمنين، وبذلك يضمّهم إلى الجسد الواحد، الكنيسة، أو بالأحرى يجعلهم أعضاء فيه (1 كورنثوس 12: 13). أما معمودية الماء فتتم على يد بشر: فالمسيحيون، الذين يسمون تلاميذ، يجرون المعمودية، ويتمون بذلك إرسالية يسوع. ومعمودية الروح لا تتم للموت أيضاً، بل هي بالأحرى علامة حياة. معمودية الماء شهادة علنية، عمل خارجي، أما معمودية الروح لحدث داخلي غير مرئي، يتم مرة واحدة بقبول الروح القدس، ولا يتعلق بمفهوم العهد الجديد إلا بالانتماء إلى الكنيسة.

وصورة حريق البراري توضح الفكرة: لكي أحمي نفسي من مثل هذا الحريق الواسع، لا أستطيع إلا أن أُلجأ إلى حيث اجتاحت النار من قبل. وهكذا أدخل، بوصفي معترفاً، بالمعمودية إلى الموضع الذي جرت فيه الدينونة من قبل، أي إلى الموت.

ومرة أخرى يُقال إن هذا الدفن حدث للموت. وما يتضمّن ذلك يشرحه بولس على الفور حين يصف حقيقة الإيمان. فقبل المعمودية تنشأ بالإيمان للشخص المعنيّ حالة جديدة - أي منذ الوقت الذي لم يكن قد اعتمد فيه بعد. والمعمودية ينبغي أن تشهد لما هو من قبل حقيقة داخلية، ولما حدث من قبل قبل 2000 سنة.

ولكن المعمودية لا ترمز إلى حقيقة روحية فحسب. فهي، بوصفها اعترافاً، تمّ خارجياً قطيعتي مع سلالة آدم (وبالتالي انفصالي عن العالم). فالمعتمد يفصل، إن صحّ التعبير، عن العالم بعمل المعمودية. وهذا لا يُنشئ حقيقة داخلية، لأنه ليس إلا عملاً خارجياً شكلياً. المعمودية لا تخلص للسماء، ولكنها «تخلص» من العالم. فبالمعمودية يتم انفصال خارجي جذري عن العالم، يطابق حقيقة الإيمان الداخلية للمعتمد المؤمن. وهذا ما يقصده بطرس حين يقول إننا نخلص بالمعمودية (أعمال 2: 40؛ 1 بطرس 3: 21).

إن التشديد على أن المعمودية تتضمن الاعتراف بحقيقة روحية ضروري إزاء فهم كنسي خاطئ للمعمودية يجعلها «سراً مقدساً»، ويعطي بذلك الانطباع بأنها ضرورية للخلاص. غير أن بولس لم يعرف هذه المشكلة التي صنعت منها في العالم المسيحي. ويخجل للمرء كأن الجانبين عنده (الجانب الخارجي للاعتراف والجانب الداخلي للإيمان الحقيقي) متشابكان، إذ يمثلان شيئاً يسند بعضه بعضاً، بل يشترط بعضه بعضاً. ولعل بولس ما كان ليفهم هذا الفصل بين الجوانب الداخلية والخارجية الذي نشدد عليه نحن بحق. فلم يكن عنده مسيحيون غير معتمدين (أي لا أولاد لله غير معتمدين نالوا الولادة الثانية)، ولا غير مسيحيين معتمدون.

لا أحد كان سيعتمد لو كان الاعتراف بالموت هو كل شيء، ولو كانت للموت الكلمة الأخيرة. فمع أن المعمودية «دفن»، فهي في الوقت نفسه علامة رجاء، وبرهان على الحياة الجديدة. فهي من جهة إقرار بحكم الله بالموت عليّ أنا الخاطئ، لكنها توثق أيضاً الخطوة إلى الحياة الجديدة بالقائم من الأموات:

4.4 الآية 4: أقمنا لنسلك في جِدَّة الحياة

... كما أقم المسيح من الأموات

بمجد الآب،

هكذا نسلك نحن أيضاً في جِدَّة الحياة.

المعمودية نتكلم أولاً عن الموت، ولكن بعد ذلك عن الحياة أيضاً. ف«كوننا قد متنا» مع المسيح يتبعه اتِّحادنا به في قيامته أيضاً. وارتباطنا بالمسيح يتجلى في أننا متَّحدون معه («ملتحمون نمواً» في رومية 6: 5 [قارن ER]) في عمله كله - في صلبه، ودفنه، وقيامته، بل حتى في صعوده إلى السماء وجلسه على العرش (أفسس 2: 10-1) - وإن كان هذا الأخير لا يتناول هنا (انظر أفسس 2).

كان لا بدّ لمجد الآب (وهي صيغة لا ترد إلا هنا) أن يستجيب لهذا البذل المطيع حتى الموت، الذي مات به المسيح لأجل آخرين لا لأجل نفسه. بالطبع كانت أيضاً عظمة الآب المحيطة وقوته هما اللتان أقامتا. ولكن هذه الترجمة أدق. فالأمر كان يتعلق بمجد الآب. لقد كان، إن صحَّ التعبير، أمام هذا البذل الكامل الفريد «مُلزماً» بأن يقيم ابنه الحبيب. ففي تاريخ الخلاص، ولا سيما في الخلاص نفسه، يتعلق الأمر دائماً بمجد الله. يجب أن يُصان ويبقى مصوناً لا يُمس. عندئذ فقط يمكن أن يكون هناك خلاص أبدي أكيد.

نحن لا نبلغ مجد الله (رومية 3: 23)، ولا نستطيع بأي حال، بوصفنا بشراً طبيعيين، أن نطابق هذا المجد الإلهي أو أن نتوافق معه يوماً. ولكن المسيح فعل ذلك. لقد مجد الآب بأن عمل مشيئته، وطلب مجده، وأخيراً عمل العمل الذي كلّفه الآب بإتمامه. لقد كان مجد الآب هو الذي أقامه، لأنه لم يستطع أن يسكت حين كان الموت يسود عليه (6: 9)، وكان الفريد، ابن محبته، في القبر.

فإذا كنّا الآن متّحدين به على هذا النحو، فلنا أيضاً نصيب في قيامته. وهذا ما يُقال هنا (وإن لم يكن حرفياً، فبشكل غير مباشر). الحياة القديمة للإنسان العتيق تنتهي. والآن نستطيع، في قوة قيامته، أن نملك حياة جديدة، وأن نتصرّف وفقاً لها في الحياة اليومية. «جِدَّة الحياة» تعني حياة مختلفة تماماً بالمقارنة مع الحياة السابقة. نستطيع أن نعيش حياة مختلفة عمّا كان من قبل، لأن حياة جديدة قد منحت لنا. إنها تختلف عن تلك التي كانت

لنا حين كُنَّا ننتمي إلى عائلة آدم. وهذا ما قاله بولس من قبل («سيعملون في الحياة»؛ 5: 17). الحياة الجديدة لآدم الأخير رفعتنا فوق الموت وفوق الخطية، وحررتنا للخدمة. والخدمة لله، بوصفنا الذين «يقدمون ذواتهم له» (قارن 6: 13)، تعني أن نملك في الحياة.

4.5 الآية 5: صرنا واحدًا معه في موته وقيامته

لأنه إن كُنَّا قد صرنا واحدًا معه (متَّحدين معه نمواً) بشبه موته،
نصير أيضاً (بشبه) قيامته ...

الطريق إلى حياة جديدة ترضي الله لا يمرّ إلا عبر الموت الذي يُنهي الحياة القديمة. وهذا لا يستطيع أن يصنعه إلا الله نفسه. لسنا نحن من ينهيها. بل هذا عمل الله، وهو فعله وحده. لا يستطيع أن يقوم في جدّة الحياة إلا من مات ودفن. وهذا أيضاً فعل الله، الذي يحسب لي بالإيمان بالمسيح.

يؤكد بولس أن اتحادنا بالمسيح لا يعني موتنا فحسب، بل قيامتنا أيضاً. فمن جهة يُختم تاريخ الإنسان العتيق وفقاً لمشيئة الله ولطبيعته القدوسة والعادلة، أي إن المطالب العادلة لقداسته تُستوفى في الدينونة. وهذا وحده، ولا شيء سواه، هو الأساس الذي يليق بالله لبداية جديدة. الاتحاد بالمسيح وثيق جداً - بل كُنّا قد نمونا معه نمواً واحدًا. ليس المقصود هنا عملية تربطنا بالمسيح خطوة بعد خطوة ربطاً أعمق، بل حدثاً وقع مرة واحدة واكتمل. ليس الأمر أمر نمو روحي لي فيه تأثير، بل أمر «فصل ختامي» يضمّنه الله. وقد حدث هذا خارجاً عني ولأجلي أنا (لا في) قبل 2000 سنة في موت يسوع التاريخي¹³ على الجلجثة.

قيامته هي قيامتنا. لا يفهم بولس هذه القيامة على أنها قيامتنا المستقبلية.¹⁴ فقد متنا موتاً روحياً - لا بالمعنى الحرفي أو الجسدي. ومن ثمّ فإن معنى القيامة يتعلّق أيضاً بحياتنا الروحية الجديدة التي نلناها في القائم من الأموات. يقول بولس: «فصير (بالتأكيد وقيناً)

13. «تاريخي» تعني هنا موت يسوع الفعلي على الصليب، المشهود له تاريخياً.

14. يرى بعض المفسرين أن الإقامة أو القيامة في هذا الأصحاب تتعلّق دائماً بالبدن. وهم يؤكدون عن حقّ أن الإنسان العتيق يُدفن، وأنه لا يقوم ثانية. ولكن المعمودية تربطني بمسيح مات، ولكنه قام أيضاً. وعن قصد تامّ تجري هذه المعمودية في الماء. نفروج المعتمد ثانية من الماء بعد التغطيس يوضح على سبيل الشهادة: إنه يدخل حياة جديدة تحت قيادة القائم من الأموات.

أيضاً بشبه قيامته».¹⁵ وهذا يتطابق تماماً مع ما يقوله بولس لأهل كولوسي: «... مدفونين معه في المعمودية، التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله» (كولوسي 2: 12؛ ER).
جدة الحياة (الآية 4) ليست شيئاً آخر غير أن نكون قد أقمنا مع المسيح. نحن أحياء من الأموات (قارن الصيغة التي ترد بعد ذلك بقليل في الآية 13).

4.6 الآية 6: الإنسان العتيق صُلب معه

... عالمين هذا:

أن إنساننا العتيق قد صُلب معه

ليُطَل بدن الخطية (يصير بلا فاعلية)،

كي لا نعود نُستعبد (كعبيد) أيضاً للخطية.

يصل بولس في هذه الجملة إلى جوهر الأمر. فهذا هو تفسير ما قاله في بداية الأصحاح: «قد متنا عن الخطية».

إنساننا العتيق دانه الله في المسيح على الصليب، ونفذ حكم الموت العادل الذي أصدره الله. لقد احتمل هو، ربنا، دينونة الله هذه نيابةً عنا. لقد أقام الله على الإنسان العتيق محاكمة على الصليب. لم يمت الإنسان العتيق ببساطة من ضعف الشيخوخة، بل الأمر أمر محاكمة قضائية ضد ما هو عليه الإنسان العتيق وما فعله. وكانت نتيجة هذه المحاكمة تنفيذ حكم الموت بلا هوادة.

إن مفترق الطرق في حياتنا المسيحية هو أن الأمر هنا يتعلق بشيء «نعلبه» أو «نعرفه». هنا حدث شيء خارجاً عني، نيابةً عني. كان لي في هذه الديونة ممثلي، المسيح، الذي وقف أمامي، لكي لا تصيبي أنا، بل تصيبه هو. وما حدث هناك هو شيء لا أستطيع أن أشعر به أو أحس به. وعمل يسوع هذا لأجلي صالح بنسبة 100 % - بغض النظر عن مشاعري وأحاسيسي.

15. فالواقع أنه ليس على جميع المؤمنين أن يجتازوا الموت الجسدي، لأن بعضهم سيُغَيَّرُون ويَحْتَفَلُونَ قبل أن يموتوا. وهؤلاء أيضاً سيكون لهم منذ الآن نصيب في القيامة الموصوفة هنا (في القيامة التي تغير الحياة بالمعنى الروحي).

إن الهدف مما حدث على الجلجثة هو كسر سلطان الخطية التي تتسلط على الإنسان، وذلك في حياة كل مؤمن.

4.6.1 الإنسان العتيق

يُستعمل هذا المصطلح بين المسيحيين بصيغ مختلفة، مثلاً بمعنى الطبيعة القديمة التي لا تزال حية في المسيحي. أما في سياق رومية 6 فلا يمكن أن يعني إلا الإنسان، أو النوع البشري، الذي ينتمي إلى آدم. الإنسان العتيق (باليونانية *palaios anthropos*) هو الإنسان قبل رجوعه إلى الله، قبل ولادته الثانية. لا يمكن أن يُساوى الإنسان العتيق بـ«الجسد» أو بالطبيعة القديمة أو بالخطية. إنه الإنسان الذي يقف في خط آدم، أي ينتمي إلى عائلة آدم وتحتكم فيه الخطية. ووصفه كذلك فهو هالك. وهذا الإنسان الخاطئ قد بلغ نهايته على الصليب. لذلك فما يلي مهم: نحن لم نعد نحل الإنسان العتيق علينا. ولكن الجسد، طبيعتنا القديمة، لا يزال فينا، ما دمنا نعيش في الوجود الأرضي لبدنا.

إن عبارة «إنساننا نحن العتيق» تجعل الأمر شخصياً جداً لكل من يعنيه. إنه حياتي أنا القديمة التي طبعني بطابعها بوصفي إنساناً مسؤولاً قبل رجوعي إلى الله، والتي سلكت فيها وفقاً لذلك.

يُذكر «الإنسان العتيق» في موضعين آخرين، ولا يذكره إلا بولس. وهو مصطلح صاغه على الأرجح بنفسه. فلم يكن موجوداً - لا في العهد القديم ولا في عالم الفكر اليوناني. ولا يرد بهذه الصيغة وبهذا المعنى إلا في العهد الجديد. وفي هذين الموضعين (أفسس 4: 20-24؛ كولوسي 3: 9-10) يُقال إننا قد خلعنا الإنسان العتيق (كقطعة ثياب). والمواضع الثلاثة كلها تصف فعلاً مكتملاً حدث مرة واحدة.

ومع ذلك، تؤكد هذه الآيات أيضاً أن علينا أن نخلع عملياً أيضاً نمط حياة الإنسان العتيق. فبعد خلع الإنسان العتيق مرة واحدة يأتي التجديد المستمر لـ«الإنسان الجديد»، الذي يزيح «الإنسان العتيق»، إن صح التعبير، أكثر فأكثر.

إن وجود هذا الإنسان العتيق يصف الإنسان الذي تحكمه الخطية. لقد ترك ذهنه وإرادته ونفسه (أي ببساطة كل ما يكون هذا الإنسان) لتطبعها الخطية بطابعها. ولم يكن من

الضروري أن يظهر ذلك في خطايا ظاهرة، بل كان يظهر ببساطة في حياة يقرّها الإنسان بنفسه، منفصلة عن الله، بل ربما كان لها طلاء ديني أيضاً.

في رومية 6، بخلاف الرسائلين إلى أفسس وكولوسي، لا يتكلم بولس صراحةً عن «الإنسان الجديد» الذي حل محل العتيق. ولكنه يعني الشيء نفسه حين يتكلم عن «جدة الحياة» التي تطبعنا الآن بطابعها.

وبكلمات أخرى يصوغ بولس الأمر نفسه هكذا: «مع المسيح صُلبت، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا في» (غلاطية 2: 19-20). هنا يُساوى الإنسان العتيق بـ«الأنا» التي تمثل شخص بولس. إنها «أنا» القديمة، حياته القديمة قبل الرجوع إلى الله، إنسانه العتيق الذي استُبدل الآن بأنا جديدة، أي بالمسيح نفسه.

4.6.2 صلب الإنسان العتيق

لقد شملت حياتنا القديمة ما كُنا نفعله وما كُنا عليه (وما هو عليه كل إنسان بلا الله). ولم يكن ممكناً أن تنتهي إلا بالموت. وقد حدث هذا نياحةً عنّا وخارجاً عنّا قبل 2000 سنة على الجلجثة في موت يسوع المشهود له تاريخياً. لقد قدّم يسوع المسيح نفسه لذلك طوعاً. وأصابته هو الدينونة. ويصف وليم كيلي (William Kelly) ما حدث وصفاً دقيقاً: «هو الذي تمّ الناموس وكان وارث الموعد، اختار اللعنة بدلاً من الإكليل، وأخذ على نفسه دينونة الله بدلاً من ملكوت الله. حينئذ تمّ أعجب الأفعال كلها: سكب كل ما شعر به الله تجاه الخطية واستطاع أن يعبر عنه، على رأس الذي لم يعرف خطية. كل ما استطاع الله أن يفعله، في سخطه المقدّس، ضد الشر، أتى عليه، هو الذي لم يفعل شراً قط، ولم يوجد في فيه غش. هو الذي كان ابنه الخاص، موضوع سروره الكامل، ورضاه المطلق والأبدى، أُسلم إلى دينونة بلا شفقة. لقد تعامل الله نفسه معه كما لم يتعامل مع أحد من قبل، ولن يتعامل مع أحد غيره أبداً».¹⁶

16. William Kelly، Die Lehre des NT über den Heiligen Geist، ص. 191.

4.6.3 بدن الخطية

إن نتيجة صلب إنساني العتيق هي أن بدن الخطية قد أبطل (أو الأفضل: صار بلا فاعلية). فما المقصود بـ«بدن الخطية»؟ هل المقصود مجرد مصطلح آخر أو جانب آخر من تعبير «الإنسان العتيق»، أم المقصود «الجسد» الخاطئ؟

بدن الخطية هو بدننا الطبيعي، كما سمح لنفسه بأن يُستعمل بأعضائه آلة للإثم. لقد عبّر الإنسان العتيق عن نفسه وأظهرها من خلال البدن. ووضع البدن نفسه، بغرائزه وشهواته، في مركز الحياة القديمة. وطوّر البدن عادات خاطئة، وفرضها، ورفعها إلى مقام ناموس الحياة. وفي موضع آخر يذكر بولس «عناصر الكيان البشري»، فيقدّم الروح ويؤخر البدن. وقد انقلب هذا الترتيب. فقد تقدّم البدن إلى المركز الأول بوصفه العنصر المتحكّم، ثم تلتها النفس، وأخيراً الروح، الذي كان ينبغي أن يميّز الكيان البشري في حدّ ذاته وأن يقرّره (1 تسالونيكي 5: 23).

بالطبع ليس البدن في حدّ ذاته خاطئاً، ولكنه كان خاضعاً للخطية ومنصّة مستعدّة لها. لقد طوّر الجسم حياة ذاتية خاطئة. إنه أبعد ما يكون عن الحياد. فإذا قال بولس إنه يجمع جسده ويستعبده (1 كورنثوس 9: 27)، فإن العكس هو ما يحدث عند الإنسان العتيق. فالبدن يقود الإنسان بشهواته إلى العبودية. وبذلك يصير الجسم ملكاً للخطية، لقد صار بدن الخطية. وهذا تماماً هو السبب الذي لأجله ينبغي الآن أن تقدّم أعضائنا لله (رومية 6: 13، 19). بل إننا مدعوون أيضاً إلى أن نكرّس البدن ذبيحة حيّة (رومية 12: 1).

لم يُصلب الجسم. بل صُلب الإنسان العتيق، لكي لا يعود البدن من الآن فصاعداً آلة للخطية. هذا البدن صار الآن بلا فاعلية (فيما يتعلق بكونه مضطراً إلى أن يخطئ) - مثل مشلول لم يعد يستطيع أن يتحرك بحرية. وهكذا وُضعت على الجليئة نقطة نهاية إلهية لانطلاق الخطية الحر، فلا ينبغي أن تملك الخطية بعد في بدننا المائت (بدن الخطية والموت؛ 7: 24؛ 8: 10) (6: 12). وبهذا المعنى لم يعد البدن الطبيعي آلة للخطية، لأنه صار من الآن فصاعداً في خدمة الله والبر. وهذا يُشرح بتفصيل أكثر في الجزء الثاني من رومية 6 شرحاً ملموساً بوصفه نتيجة للتحرير من الخطية. لقد انتهت خدمة البدن فيما يتعلق بالخطية. وكيف يحدث ذلك، يصفه بولس فيما يلي. فنحن - بوصفنا أحياء من

الأموات - ينبغي أن نضع الآن أعضاء البدن عضواً عضواً في خدمة الله (6: 11-13)، (19). وأما فيما يتعلق بالخطية، فينبغي أن نحسب أنفسنا أمواتاً عنها، وعلى هذا الأساس أن نُميت أعمال البدن (8: 13)، وهو ما سيكون موضوعنا لاحقاً.

4.7 الآية 7: مُبرّأون من الخطية

لأن الذي مات

قد تبرّأ (تبرّر أو أطلق سراحه)

من الخطية.

لم تعد هناك - من الناحية الحقوقية أو القضائية - أي صلة بيني وبين الخطية. لم يعد ممكناً أن تُحسب عليّ بمعنى الذنب، ولم يعد ممكناً أن أتهم بسبب الخطية. وحتى لو كانت لا تزال فيّ، فهي «جسم غريب معزول» لا علاقة له بي ولا بوجودي الجديد الذي أنا فيه مرتبط بالمسيح إلى الأبد. إلى هذا الحدّ الجذري يبلغ أثر موته لأجلنا وموتنا معه. وتعلن المعمودية ذلك رمزياً: نحن الآن على الجانب الآخر من «القبر المائي».

يجب أن يُنظر إلى هذا القول أولاً، إن لم يكن حصراً، نظرة قضائية. فليس الكلام في هذا القول عن تقديسنا، لأننا هناك نحن أنفسنا كثيراً ما نمرّ باختبارات متناقضة، أو نرى مسيحيين يعيشون حياة جسدية أو خاطئة. الكلام هو عن التبرير (الثبوت) من الخطية. وهذه الثبوت لا تصير سارية المفعول عند الموت الجسدي فقط، بل هي تصف في الواقع الوضع القانوني الجديد للمؤمن. «لم يعد للخطية الحق القانوني في أن تفرض سيادتها وأن تتحكم في المؤمن، لأنه قد مات مع المسيح».¹⁷

من المهمّ للغاية ألاّ نبحث في هذا الموضع بعد عن تفسيرات نهائية لكيف نستطيع أن نعيش حياة مسيحية منتصرة. فمع أن هذه الآية هي التعليل لكوننا لم نعد نُستعبد للخطية كعبيد (الآية 6)، فإن بولس لم يصل بعد إلى نهاية تعليمه عمّا كان عليه الإنسان في آدم، وعمّا كان يجب أن يحدث لكي نُنقّل من هناك إلى المسيح. أما عن الحياة المسيحية المنتصرة فيتكلم في الأصحاح 8، بعد أن يكون قد عالج الموضوع معالجة شاملة. وبعد ذلك

17. Victor A. Witmer، The Bible Knowledge Bible Commentary، Walvoord & Zuck، 1988. Books، 463، ص.

يتكلم عن القوة للحياة بالروح القدس، وعمّا يحدث فينا. وبعبارة أخرى، إذا وصلنا إلى هنا، فلا بدّ لنا من أن نتابع جولتنا سيراً في الجبال. فلو كان كل شيء قد اتّضح هنا فيما يخصّ الحياة المنتصرة، لما كانت هناك حاجة إلى الأصحاحين 7 و8.

إن كون الأمر هنا يتعلّق بواقعة قانونية أنشئت خارجاً عني قبل 2000 سنة، يتّضح من أن الخطية لا تزال تحدث في حياتي العملية. **قضائياً** تعني أنني لم أعد أتهم بسبب الخطية، وأنه لم يعد لها حقّ في أن تتسلّط عليّ. وإذا كان هذا هو وضعي القانوني، فهذا هو مقام الأبرار (5: 19)، الذي نقلني الله إليه، والذي هو في نظره المقام الوحيد الصالح الذي أشغله. لم يعد هناك مقام آخر - فأنا لست باراً في مناسبة وخاطئاً في مناسبة أخرى، أو الاثنين معاً في آنٍ واحد. فهذا يناقض نفسه، ويناقض قبل كل شيء خلاص الله العظيم.

وللتوضيح تساعدنا المقارنة التي استعملناها من قبل. ففي 18 ديسمبر 1865 دخل في الولايات المتحدة الأمريكية حيّز التنفيذ القانون الذي ألغى العبودية. وقد شمل كل عبد. فمن الناحية القانونية صار جميع العبيد أحراراً منذ ذلك اليوم، حتى لو لم يكونوا حاضرين عند توقيع هذا القانون. وقد حدث ذلك دون أيّ مساهمة منهم وفي مكان آخر، ومع ذلك كان سارياً سرّياً كاملاً. ولم يبقَ عليهم الآن إلا أن يسمّعوا به، وأن يطالبوا به لأنفسهم، وأن يتركوا أسيادهم.

4.8 الآيتان 8-9: نشارك المسيح موته وحياته

فإن كُنّا قد متنا مع المسيح،

نؤمن

أننا سنحيا أيضاً معه،

عالمين

أن المسيح بعدما أُقيم من الأموات

لا يموت أيضاً،

لا يسود عليه الموت بعدُ.

للمرة الثانية يستخلص بولس النتيجة من حقيقة أننا متّحدون بالمسيح. ففي الآية 4 كانت نتيجة إقامة يسوع أننا نسلك في جِدَّة الحياة بوصفنا «مُقامين معه». وفي الآية 5 يؤكّد بولس معنى قيامة يسوع لنا، لا من جهة المستقبل فحسب، بل من جهة حياتنا هنا والآن. وفي الآية 8 يدور الكلام مرة أخرى عن القيامة، ولكن الآن عن القيامة المستقبلية الجسدية. فالإنسان يسوع المسيح، بوصفه مُقاماً من الموت، لا يمكن أن يموت بعد، وحياة قيامته لا تتخل. ونحن، إذ نحن متّحدون به، لنا الحياة نفسها. في آدم ورثنا الموت، وفي المسيح الحياة. لقد استطعنا بموت يسوع وقيامته أن نغادر نطاق الموت أو مملكته (أي ذلك الحيز الذي لا يزال فيه الناس «في آدم»).

لقد ساد الموت على يسوع حين كان في القبر. إنها حقاً ملاحظة غير عادية. فقد وضع يسوع نفسه حتى الموت على الصليب، واحتمل الموت طوعاً، بل كان عليه أن يُسلم الحياة نفسها إلى الموت. حينئذ كان الموت لفترة قصيرة منتصراً عليه. ولكن مجد الآب لم يكن يستطيع إلا أن يُقيم الفريد والكامل إلى حياة جديدة.

ما يسري على المسيح ينطبق علينا أيضاً. فسيادة الموت قد انكسرت، حتى وإن كانت لنا، كما يُقال بعد بُضع آيات، أبدان مائتة. لذلك فإن قيامتنا أيضاً مشمولة في الانتصار على الموت، حين تُنتزع الأبدان التي ماتت وانحلت من سيادة الموت.

4.9 الآية 10: المسيح مات للخطية

لأن الموت الذي مات

قد مات للخطية مرة واحدة؛

والحياة التي يحياها

فيحياها لله.

إن أردنا أن نفهم ما يعنيه لنا أن نكون قد متنا عن الخطية، فلا بدّ أن نفهم ما عناهُ للمسيح أنه مات للخطية. لقد مات ذبيحةً عن الخطية، إذ احتمل حكم الدينونة على إنساننا العتيق.

وهكذا حلّ بالموت مشكلة الخطية، أي إنه من جهة دفع ذنب الخطية، ولكنه في الوقت نفسه كسر أيضاً سلطان الخطية وتركه وراءه. خياة القيامة الجديدة لم تعد تحت سلطان الخطية والموت، بل هي بالأحرى حياة يقودها الله ولأجل الله، ومكرّسة له وحده.

لم تعد هناك حاجة إلى حلّ ثان لمشكلة الخطية. ولم تعد هناك حاجة إلى ذبيحة ثانية عن الخطية، كما تؤكّد ذلك الرسالة إلى العبرانيين بوضوح.

«إن كانت أجرة الخطية هي الموت، فيا له من ربح لنا موتٌ ذاك الذي كان هو شخصياً بلا خطية، والذي جعله الله خطية لأجلنا، لنصير نحن برّ الله فيه.

لا لأنه لم يكن على الصليب قدّوساً كما كان في كل ما سبق؛ بل إنه بذل نفسه ليُدان بحقّ عن كل ما حمل عليه، وعن كل ما أخذ على عاتقه مسؤوليته بالنعمة. لم يُشفق على نفسه في شيء، ولم يُشفق الله عليه في شيء، إذ ترك ذاك الذي وحد نفسه بخطيتنا وبكل عواقبها تحت الدينونة الإلهية، لكي نخرج نحن أحراراً».¹⁸

إن وحدانية هذه الذبيحة، والمقام الواضح الناتج عنها، أي تغيير الجانب الذي تمّ، يسريان علينا أيضاً. وهذه حقيقة نستطيع، بل ينبغي، أن نكون متيقّنين منها إلى الأبد. إن معرفة هذه الحقيقة وقبولها يحسمان أمر حريتنا التي يُسمَح لنا أن نخدم الله فيها.

4.10 الآية 11: أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله

كذلك أنتم أيضاً

احسبوا أنفسكم

أمواتاً عن الخطية،

ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع.

كيف نقف من الحقيقة التي بسطها بولس للتوّ؟ ينبغي أن نقبلها بوصفها واقعاً موثقاً وسارياً علينا. و«الحسبان» يعني أيضاً أن «نعدّ» أنفسنا كذلك. وهذا مصطلح من المحاسبة: الميزانية ثابتة ومُقفلة، والنتيجة هي أن عمل المسيح يُقيّد بنسبة مئة في المئة في حسابي الشخصي. موته هو موتي، وحياته هي حياتي.

18. William Kelly، Notes on the Epistle to the Romans، ص. 88.

هذه الآية ليست، كما يُقال كثيراً، مفتاح الصراع ضد الخطية. فإذا اقتربت مني تجربة الخطية، لا أستطيع أن أقنع نفسي باستمرار أنني ميت. فأنا ألاحظ في الواقع أنني لست ميتاً على الإطلاق، وإلا لما تجاوزت مع التجربة أصلاً. أما ما ينبغي فعله في التجربة، فيصفه بولس في الأصحاح 8.

فالأمر هنا يتعلق إذن أولاً بالقبول الواثق لفعل الله الخلاصي لأجلي، لا بالتطبيق اليومي لهذه الحقيقة. لا أحتاج إلى تطبيقها، لأنها قد حدثت فعلاً. لا يقول بولس إنه ينبغي أن نموت للخطية كل يوم، أو أن نتظاهر بالموت حين تأتي التجربة. بل يبين أننا قد متنا. ولهذا أثر في حياتي، لأن سلطان الخطية على حياتي قد انكسر بذلك.

من يحسب نفسه ميتاً عن الخطية، يقبل بالإيمان أن حياته القديمة قد انتهت على الصليب، وأن سيادة الخطية في حياته قد انكسرت بذلك. وعلى هذا الأساس الخلاصي أطلب بالإيمان نفسه بالحقيقة الخلاصية أن لي الآن حياة جديدة أستطيع بها أن أحياء لله مُحرراً. ويقول واتشمان ني (Watchman Nee) قولاً صائباً: «أن نعرف - أن نحسب - أن نسلم ذواتنا، هذا هو الترتيب بحسب النظام الإلهي».¹⁹

4.11 الآية 12: سلطان الخطية على البدن يُكسّر

إِذَا لَا تَمْلِكَنَّ الْخَطِيئَةُ

فِي بَدَنِكَ الْمَائِتِ

لِكَيْ تَطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ.

هذه هي نتيجة ما حدث على الصليب. هذا هو هدف الجلجثة: إن ديكتاتورية الخطية، سواء أكانت في تلاعبها بالكاد تُلاحظ، أم في ممارستها للسلطة بأشدّ وحشية، قد انكسرت. لعمل يسوع القوة على أن يكسر سلطان الخطية الفعلي في حياتي. وإلى هذا العمل نستند. وهذا يعني أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية!

إن بدننا المائت خاضع لعواقب الخطية (كما هو أيضاً الجزء غير المادي من الإنسان، أي الإنسان الباطن). البدن هو الآلة التي تكتسب بها الخطية يدين ورجلين. والخطية نفسها لا تزال في (أي في جسدي؛ قارن 7: 18)، ولكن لم يعد لها الحق في أن تسود عليّ (6: 6).

19. Watchman Nee، Das normale Christenleben، ص. 58.

6ب، 14). والبدن متأثر بالخطية إلى حدّ أنه يُغرى بالخطايا، وبالشهوات والملذّات التي تطلب الإشباع على الدوام.

يؤكد بولس الجانب القضائي من الخلاص، الذي يسري دائماً وعلى كل مؤمن. ولكن هذا لا يبقى أمراً نظرياً أو مجرداً. فالجانب القضائي من الخلاص يصلح أساساً لا تعود فيه حياتي اليومية محكومة بالخطية.

4.12 الآية 13: أن نقدّم ذواتنا الآن لله

ولا تقدّموا أعضاءكم للخطية

آلات إثم،

بل قدّموا ذواتكم لله

كأحياء من الأموات

وأعضاءكم لله آلات برّ.

الآن ندعى إلى أن نفعل شيئاً. فحتى هنا لم تكن هناك دعوة سوى الدعوة إلى قبول عمل الله والاستناد إليه (6: 11). ومن ذلك ينتج الآن التطبيق. أن نقدّم أعضاء الجسم يعني أن نضع أنفسنا في الخدمة. يداي ورجلاي، وعيني وأذني، وفي (أي ببساطة كل وجودي الإنساني بكل حواسه وقدراته) ينبغي الآن أن تتمّ ما خصّصت له. «أن نصير ما نحن عليه»²⁰، ليس هذا تناقضاً، بل هو سرّ الحياة المنتصرة وتوتّرها أيضاً. نحن أحياء من الأموات، لأن لنا في المسيح يسوع حياة القائم من الأموات. وحياة المنتصر هذه مكرّسة لله، لا للإثم بعد.

4.13 الآية 14: لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة

فإن الخطية لن تسودكم،

لأنكم لستم تحت الناموس

بل تحت النعمة.

إنها حقيقة أن الخطية لم تعد تسود علينا. وهذه الحال صارت من الماضي. نحن ننظر إلى الأمام، وندخل إلى الحياة. وهي حياة لا يحدّها ناموس الله، مهما بدا ذلك غريباً. فالناموس، كما شرح بولس، كان وسيلة كثرت بها الخطية. أما الآن فتحدّد حياتنا نعمة الله. الناموس يطالب بحق، ولكنه لا يعطي قوة للطاعة. والنعمة التي نحن فيها مقيمون تعطينا ما نحتاج إليه للحياة لله. إنها جو حياة مختلف كلياً. نعمة الله تعطي بفيض، والناموس يطالب. والمسيحي الذي يصادق الناموس سيختبر ما هو موصوف في رومية 7: العجز والإحباط. لقد احتجنا إلى نعمة الله للخلاص، وكذلك تماماً نحتاج إلى نعمة الله للحياة. إننا نحيا تحت حماية نعمة الله، وفي قبولها، وفي قوتها. وأن نكون تحت النعمة يعادل حقيقة أننا «في المسيح»، كما يجري الحديث عنها في الأصحاح 8.

«إن لم أعد تحت الناموس بل تحت النعمة، فأستطيع أخيراً أن أفعل ما أشاء وأن أترك ما أشاء - أي ما يشاؤه المسيح!»²¹

يتطرق بولس هنا إلى الناموس تطرّقاً قصيراً فقط، ولكنه يقول في هذه الجملة الواحدة كل ما هو حاسم في شأنه، ثم يتوسّع فيه في الأصحاح 7. فلعلّ سامعي هذا الأصحاح أو قارئيه فكّروا مباشرة في الناموس بوصفه الوسيلة المناسبة التي يمكن بها كسر سيادة الخطية.

4.14 ملخص

يتمّ تغيير الجانب من آدم إلى المسيح بالصليب. ماضي، أي إنساني العتيق، يُدان ويُحاکم كما يريد الله. وقد تولى يسوع المسيح ذلك نيابةً عني. وفيه تبدأ الآن حياتي الجديدة. إن المطالبة التي رفعها الخطية على حياتي قد سقطت على الصليب، وهناك انكسر سلطانها عليّ.

ليس الأمر في هذا النص حتى هنا، في المقام الأول، إلى أي مدى نعيش الآن حياة مقدّسة أو بلا خطية. فالؤمن لا تزال فيه الخطية التي تبقى فيه ما دام في البدن. ويمكن للأسف أن تكون حياة المسيحي مطبوعة بطابع الجسد الخاطيء، على نقيض تامّ لما يكتبه بولس هنا. ولكن ليس هذا هو الموضوع هنا (في رومية 6: 1-14)! إن بولس يشرح التغيير الجذري والمبدئي من آدم إلى المسيح، ومن الخطية إلى البرّ، ومن الموت إلى الحياة.

المسيحيون الذين نسوا ذلك، أو الذين يحاولون أن يحسبوا أنفسهم بأنفسهم أمواتاً عن الخطية أو أن يموتوا عنها، ينبغي أن يطالبوا لأنفسهم بهذا النص حرفياً في إطلاقه.

والمسيحيون الذين يحبّون الخطية، يريد وصف مقامهم الفعلي والمقامي أن يوضح لهم أنهم يعيشون في تناقض كبير. فمن المفارقة أن يعيش المرء في الخطية مع أنه قد مات عن الخطية.

الموت الذي متناه - مع المسيح - لا يعني فناءنا. فالموت بالمعنى الكّابي (الروحي منه والجسدي على السواء) يعني الانفصال بين أمور متلازمة. وبموت الإنسان العتيق انفصلت الخطية عني وقطعت الصلة، بحيث انكسر سلطان الخطية.

4.15 صليب الجلجثة والخطية

لقد حدث هذا لأجلنا!

رومية 1 - 5: 11: الكفارة رومية 5: 12 - 8: 13: التحرير

مشكلة الخطايا مشكلة الخطية

الأفعال الخاطئة ومسألة الذنب الخطية بوصفها مصدر الخطايا

لنا بدم يسوع المسيح المسفوك على نحن مصلوبون مع المسيح. وإنساننا العتيق قد أُسلم إلى الصليب غفران الخطايا. الموت.

المسيح مات لأجل خطايانا. المسيح مات لأجل الخطية ولأجل كياننا الخاطئ الذي كان يطبع إنساننا العتيق بطابعه بالطبيعة.

4.16 رومية 6: 15-23: مُحَرَّرُونَ يعيشون تحت النعمة

في الجزء الثاني من هذا الأصحاح يؤكّد بولس (مستتباً مما وصفه في الجزء الأول عن عمل الله الخلاصي) أن المرء لا يستطيع أن يخدم إلا سيّداً واحداً، لا سيّدين في آنٍ واحد.

4.17 الخلاص بصيغة الخبر والخلاص بصيغة الأمر

ما يبدو معقّداً عند قراءته هو في الواقع صيغة مفيدة. فالأمر يتعلّق بوجهي عملة واحدة. «الخبر» (Indikativ) و«الأمر» (Imperativ) مصطلحان مأخوذان من علم النحو. ويستعملهما اللاهوتيون مقرونين بكلمة «الخلاص» لكي يعبروا بإيجاز عن «وجهي

الخلاص أو جانبه». فالخلاص بصيغة الخبر يبيّن ما أمّمه المسيح لأجلنا، أي الواقع الخلاصي الموضوعي. ويشمل هذا الجانب الخلاص الذي لا يمّس، والذي خصّصه الله فعلاً لكل مؤمن، وهو ساري المفعول.

من الخلاص تنبثق حياة متغيّرة وجديدة. فالخلاص يُلزم بحياة وسلوك في الجِدَّة. وهذا هو الخلاص بصيغة الأمر، الدعوة الإلهية إلى حياة مقدّسة. فالنعمة التي نلناها في الخلاص تعلّمنا أن ننكر الفجور والشهوات العالمية، وأن نعيش بالبرّ والتقوى (قارن تيطس 2: 12). لا ينال المرء الخلاص من دون أن ينال أيضاً الالتزام الأخلاقي الذي يحمله الخلاص الإلهي. ومن لا يأخذ أمر الخلاص على محمل الجدّ، فعليه أن يمتحن نفسه: هل يحقّ له أن يطالب بالخلاص لنفسه؟

صيغة الخبر تدلّ على حدث فعلي، وتصف بذلك الواقع الخلاصي. أما الخلاص بصيغة الأمر فهو الأمر والتشجيع على حياة مقدّسة. وكلاهما جزء من الخلاص. وفي رومية 6 أيضاً يمكن تمييز الجانبين جيّداً. فالآيات 1 إلى 10 تصف الخلاص بصيغة الخبر، أما ابتداءً من الآية 11 فيعالج الخلاص بصيغة الأمر.

الخلاص بصيغة الأمر لا يدعونا إلى أن نستحقّ الخلاص، بل إلى أن نحيا من الخلاص الذي نلناه. وميدان امتحانه هو تحت سيادة النعمة، حيث يوجد الغفران والاسترداد السخيّ. لم يُعطَ الخلاص لكي يُفرَز الأقوياء وُستبعد الذين لن يبلغوا الهدف. فكل أوامر الخلاص تهدف إلى أن نطيع الله حقّاً بالإيمان، ولا تعني أن الإيمان يمكن أن يفشل. ومع أن خلاصنا أكيد ولا يمكن أن يُفقد، فإن الحثّ والتحذيرات من أجل أن نعيش وفقاً له لا تناقض هذه الحقيقة. بل الغرض منها بالأحرى أن «تُبقينا على المسار» - على درب الإيمان الضيق الذي يؤدي إلى الحياة.

نظرة شاملة²²

الحقيقة الخلاصية - الخلاص بصيغة الخبر امتلاك الخلاص - الخلاص بصيغة الأمر
عطية: موهوبة بالمسيح مهمّة: لأجل المسيح
ما نحن عليه منذ الآن في المسيح لا نستطيع أن نصير **ه** إلا في المسيح.

22. بتصرّف عن بيتر ه. أولمان (Peter H. Uhlmann)، هامبهاوزن (Heimenhausen)، سويسرا، بإذن كريم منه.

قد متنا عن الخطية. رومية 6: 2 لا تسلّوا أنفسكم للخطية! رومية 6: 13

قد متنا مع المسيح. كولوسي 3: 3 أميتوا أعضاءكم! كولوسي 3: 5؛ رومية 8: 13

قد تبرّرنا ... رومية 5: 1 ... وينبغي أن نعيش بالبرّ. 1 تيموثاوس 6: 11

لسنا بعدُ في الجسد. رومية 8: 9 لا تعيشوا بعدُ حسب الجسد! رومية 8: 12

قد تقدّسنا بذبيحة المسيح مرة واحدة! عبرانيين اتبعوا القداسة التي بدونها لن يرى أحد 10 الرب! عبرانيين 12: 14

نحن مدعوّون. أفسس 4: 1؛ رومية 8: 28 اسلكوا كما يحقّ للدعوة التي دُعيتُم بها! أفسس 4: 1

كل شيء قد وهب لنا ... لذلك ينبغي أن نمتلك كل شيء..

قد لبسنا الإنسان الجديد، أي المسيح. البسوا الرب يسوع المسيح! رومية 13: 14 كولوسي 3: 10-11؛ أفسس 4: 24

لنا الغفران الكامل. أفسس 1: 7 نحن ملزّمون بأن يغفر بعضنا لبعض! أفسس 4: 32

الله وهبنا محبته. رومية 5: 5 اسلكوا في المحبة! أفسس 5: 2-1

لنا سلام مع الله وسلام الله. رومية 5: 1؛ اسعوا في أثر السلام! 1 بطرس 3: 11 فيلي 4: 7

لنا الحرية في المسيح. رومية 8: 2؛ غلاطية لذلك اثبتوا في الحرية لكي تخدموا بعضكم بعضاً بالمحبة! غلاطية 5: 13

الله يهبنا الغلبة. 1 كورنثوس 15: 57 نمتلك الغلبة حين نجاهد. 2 تيموثاوس 2: 5 وغيرها

نحن نور في الرب. أفسس 5: 18 اسلكوا كأولاد نور، أو: ليضئ نوركم! أفسس 5: 8؛ متى 5: 16

نختبر النظام الخلاصي الجديد ومنتظر الخليقة الجديدة.

المسيح هو حياتنا. كولوسي 3: 4؛ غلاطية 2: 20
ننتظر ظهور المسيح. كولوسي 3: 4

في المسيح قد فُدينا ... أفسس 1: 7 ... ومنتظر فداء أجسادنا. رومية 8: 23

تبنّا الله أولاداً وأبناءً له ... رومية 8: 15؛ 1 ... ومنتظر ظهور ذلك. رومية 8: 23؛ 1
يوحنا 3: 2 يوحنا 3: 2

الإنسان الجديد مخلوق على صورة خالقه: تتغير (في حياتنا) إلى صورة الرب. 2
المسيح. أفسس 4: 24 كورنثوس 3: 18

لنا الحياة الأبدية ... يوحنا 3: 36 ... ومع ذلك: أمسك بالحياة الأبدية! 1
تيموثاوس 6: 12

نحن بوصفنا كنيسة جسد واحد. أفسس 4: لذلك احفظوا وحدانية الروح. أفسس 4: 3
4

نحن منذ الآن كاملون في المسيح ... كولوسي ... ولكننا لم نُكَلِّ بعد. فيلي 3: 12
10: 2

الله يعمل كل شيء - بنسبة 100%! امتلك كل شيء - بنسبة 100%!
«تمموا خلاصكم بخوف ورعدة، لأن الله هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل
المسرة». فيلي 2: 12

منذ الآن وليس بعد

الكينونة - مقام الإيمان الصبرورة - ممارسة الإيمان

سيادة الله ونعمته مسؤولية المسيحي وعمله

نحن مُخلَّصون منذ الآن خلاصاً كاملاً - ولكننا لم نُكَلِّ بعد!

يصبّ الجانبان كلاهما في هذه المهمة: صرّ ما أنت عليه!

«لكل بطارية قطب سالب وقطب موجب. وهذا التضادّ هو الشرط لوجود جهد كهربائي. حيثنذ فقط يمكن للتيار أن يسري لكي يضيء المصباح. وكذلك تماماً لا نكون

مسيحيين أحياء (ونامين) إلا إذا كنّا واعين لـ"القطين": الحقيقة الخلاصية وامتلاك الخلاص، وطبقنا الخلاص في حياتنا. هذا التوتر يهبنا ديناميكية الحياة الجديدة».²³

4.18 الآية 15: هدف النعمة

فاذا إذا؟ أخطئ

لأننا لسنا تحت الناموس

بل تحت النعمة؟

حاشا!

مرة أخرى يمكن لأحد أن يستخلص مما علّمه بولس النتيجة الخاطئة. فحياة المسيحي إذن صارت الآن تحت النعمة، ولم تعد تحت الناموس. فهل يعني هذا الآن أن المرء يستطيع أن يستغلّ هذه الحرية وأن يعيش بلا ضابط؟ قطعاً لا، فهذه ستكون مرة أخرى نتيجة عبثية. فالمرء بذلك يغفل عمّا يلي:

4.19 الآية 16: عبيد للخطية أم للبر

ألستم تعلمون أن

الذي تقدّمون ذواتكم له عبيداً للطاعة،

أنتم عبيد للذي تطيعونه:

إمّا للخطية للموت

أو للطاعة للبر؟

من يتخذ النعمة والتحرّر من الناموس مسوّغاً لارتكاب الخطية، ينسى أنه بذلك يُسلم نفسه للخطية ويجعلها من جديد سيّدة عليه. لا يوجد طريق وسط ذهبي يستطيع المرء فيه أن يكرم السيّدين كليهما بلا صراع. لا توجد إلاّ تبعيتان - إمّا حياة تتحكّم فيها الخطية، وإمّا سلوك في الطاعة لله.

23. اقتباس من بيتر أولمان (Peter Uhlmann)، هايمنهاوزن (Heimenhausen)، سويسرا، بإذن كريم منه.

4.20 الآية 17: طائعون من القلب - لم نعد عبيدًا للخطية

فشكراً لله

أنكم كنتم عبيدًا للخطية،
ولكنكم أطعتم من القلب

صورة التعليم

التي تسلبتموها!

لا يضع بولس أهل رومية على المحكّ، ولا يشكّ في خلاصهم. لا يسألهم: عبيد من أنتم الآن؟ بل يقرّر بلا أدنى شكّ أن عبوديتهم التي طبعها الخطية بطابعها صارت من الماضي. إنه يفرح ويشكر الله. وقد قال من قبل في رومية 5: 8 إننا كلّ يومًا خطاة، أي إننا لم نعد كذلك الآن. وهذا ما يؤكّده هنا مرة أخرى. وحتى لو كلّنا للأسف لا نزال نخطئ الآن، فإننا لم نعد في عبودية الخطية.

لقد كان هذا «النقل» عمل الله. فقد نقلنا من نطاق الموت، وخصّص لنا الحياة. ونطاق الحياة موصوف لنا وصفًا مؤثراً بواسطة «صورة التعليم» في هذه الأصحاحات. ومن المهم للغاية أن نعرف تعليم الله هذا عن الخلاص في المسيح. فالتعليم يشكّل الأساس الذي يجب على المرء انطلاقاً منه أن يفهم أولاً القوانين التي تحكم جدّة الحياة، لكي يستطيع بعد ذلك أن يعيش وفقاً لها. التعليم لا ينشأ من اختبارنا، بل هو الذي يرسم الطريق. وبه نقيس اختبارنا ونمتحنه. تعليم الكتاب المقدس هو الذي يقوّمنا، لا العكس.

إن «صورة التعليم» إشارة إلى أن هذا التعليم ليس نوعاً من كُتاب قوانين مليء بالمواد المجردة. إنه «حكمة حياة»، ويريد بذلك أن يغيّر حياتنا. لذلك يصوغ الرسول الأمر هكذا: لقد «سَلَّمنا إلى صورة التعليم» - أي لغرض أن يُحدث فينا شيئاً.

توجد تعاليم ونظريات علمية كثيرة يضعها اختصاصيون للاختصاصيين. أما تعليم الله فيسري على كل ولد من أولاد الله - أيّا كانت الخلفية التي انتشلت منها محبة الله. هذا التعليم قريب من الحياة وحيويّ لها. وهذه الأصحاحات، التي ليست بالتأكيد سهلة الفهم دائماً، لا تحتوي على منطقة نفوذ خاصة باللاهوتيين، بل على مسائل وجودية في حياتنا

المسيحية. والكثير يتوقّف على ما إذا كنّا قد فهمناها. ويمكن أن يخسر المرء سنوات إن لم يكن قد أجاب عنها لنفسه شخصياً.

لقد سلّمنا الله إلى صورة التعليم؛ ولكن طاعتنا للإنجيل كانت في الوقت نفسه الشرط لعمل الله. لقد تمّت الطاعة «من القلب». كانت خطوة طاعة صدرت من أعماق النفس. لم تكن طاعة سطحية، بل قراراً حياتياً حقيقياً ودائماً. الله يريد قلبنا؛ إنه يريد أن تكون الطاعة عن اقتناع كامل وفرح. وكل ما سوى ذلك لا قيمة له عند الله، ولا يحتوي إلا على الشكل الخارجي والرياء.

4.21 الآية 18: عبید للبر

وَإِذَا أُعْتَقْتُمْ مِنَ الْخَطِيئَةِ

صُرْتُمْ عِبِيداً لِلْبَرِّ.

هذا «النقل الإلهي» من آدم إلى المسيح قد حرّرنا من الخطية. وهذا ما شرّحه بولس في الجزء الأول من الأصحاح 6.

التحرير لا يعني «إزالة» الخطية، كإزالة ورم خبيث مثلاً. وباستعمال هذه الصورة يمكن شرح قول بولس هكذا: لقد عولج الورم بالليزر، لأن الخطية قد دينت على الصليب، لقد دينت في الجسد (8: 3). ولكن في الوقت نفسه جعل بدن الخطية أيضاً بلا فاعلية، أي إن هذا الورم لم يعد له جسم (لم يعد له مجال عمل) يستطيع أن ينتشر فيه. لم أعد أدعى مريضاً، مع أن الورم لا يزال موجوداً. لقد كُبح نموّه. وبعبارة أخرى: الخطية لا تزال فيّ حقاً (في جسدي، في طبيعتي الجسدية) ما دمت في جسمي المائت. ومع ذلك فلست بسبب ذلك خاطئاً في جوهرى بعد، بل قدّيس في المسيح.

لقد حرّرنا من سيادة الخطية، ولم نعد عبيداً للخطية. بل على العكس: لقد صرنا الآن عبيداً لبرّ الله.

4.22 الآية 19: أن نضع أنفسنا في خدمة برّ الله وقداسته

أَتَكَلِّمُ إِنْسَانِيًّا

مَنْ أَجَلَ ضَعْفِ جَسَدِكُمْ.

لأنه كما قدّمتم أعضاءكم

عبيداً للنجاسة

والإثم

للإثم،

هكذا الآن قدّموا أعضاءكم عبيداً

للبرّ

للقداسة.

تعليم بولس «إنساني» إلى حدّ أنه لا يكاد يمكن إساءة فهمه. إنه يراعي ضعف جسدكم. وهذا المصطلح يدلّ على حالة روحية ضعيفة. فلم يكن المرسل إليهم قادرين على فهم طريقة التعبير التي كان بولس سيختارها في العادة لهذا التعليم. كانت حالتهم الروحية قاصرة، وكانت تحتاج إلى نموّ وتجديد، كما يكتب بولس لاحقاً. أفلا يعود هذا علينا نحن أيضاً بالنفع؟

يتبع ذلك نداء، أي أمر خلاصي، بأن نضع أنفسنا في خدمة البرّ عبيداً له، لكي تُظهر «جدة الحياة» فاعليتها حقاً.

إن هدف «القداسة» أو «التقديس» يعني تغيير مقامنا المبدئي الذي جعلنا قديسين، أي مُفرّزين لله. ومن جهة أخرى يقع على الذين تبرّروا وتقدّسوا التزام خلاصي بأن يعيشوا في توجّه ثابت نحو برّ الله وقداسته.

4.23 الآيات 20-22: من العقم إلى الحياة الأبدية

لأنكم لما كنتم عبيد الخطية

كنتم أحراراً من البرّ.

فأيّ ثمر كان لكم حينئذ

من الأمور التي تستحون بها الآن؟

لأن نهاية تلك الأمور هي الموت.

وأما الآن إذ أعتقتم من الخطية

وصرتم عبيداً لله،

فلکم ثمرکم للقداسة،

والنهاية حياة أبدية.

إنها في الواقع صورة بالأبيض والأسود ما يرسمه بولس هنا. فقبل ولادتهم الثانية، أي قبل تغيير مقامهم، لم يكن للمخاطبين أي علاقة بالبر الإلهي، بل كانوا عبيداً للخطية. لم يكن الأمر أنه كان هناك من قبل مزيج من الاثنين - كما أنه لا يوجد لهم الآن، بوصفهم مسيحيين، مزيج من الاثنين. وقد قال الرب يسوع في ذلك إن المرء لا يستطيع أن يخدم سيدين، بل سيذا واحداً فقط.

والآن كان على المرسل إليهم أن ينظروا إلى الوراء. لم تكن الخطية مجرد رفيق مجرد في حياتهم، بل استوفت ضريرتها، وقادت إلى أفعال وأمور يخجلون منها الآن. حياة كهذه تقود إلى الموت. ولا يوجد هناك خيار آخر سوى ذاك الموصوف في الآية التالية.

إن التحرير من الخطية ومن سلطانها، والحرية الحقيقية لخدمة الله الآن بوصفنا عبيداً، يشملان هوية جديدة ومقاماً جديداً. وهذا ينتج الآن أموراً لا يحتاج المرء بعد إلى أن يخجل منها، بل تحدث في حياة المعينين ثمرًا للقداسة. جذة الحياة تُنتج ثمرًا لله، وهدفها الحياة الأبدية. وهذه الحياة لا يستحقها المرء بإنتاج الثمر لله. بل هي جزء ثابت من خلاص الله، كما تبين الآية التالية.

المقصود بالحياة الأبدية هنا هو حياة الذين قاموا في المسيح، تلك الحياة التي سنبلغها في المستقبل. في نهاية حياة لأجل الله لا توجد نقطة، بل نقطتان (:): فهناك حياة مجيدة تفوق الإدراك تنتظرنا في شركة مع الله لا يعكرها شيء. الحياة الأبدية تعني عدم الفساد. ومن العهد الجديد، ولا سيما من الرسول يوحنا، نعرف أيضًا أن هذه الحياة لا تتضمن «الطول» أو «الكم» فحسب، بل تشمل قبل كل شيء «نوعية» هذه الحياة الإلهية.

هدف الحياة لأجل الله هو الحياة الأبدية. هذا ما وضعناه نصب أعيننا، ونحن نفتخر على رجاء مجد الله الآتي.

4.24 الآية 23: حياة أبدية بدلاً من دينونة أبدية

لأن أجره الخطية هي موت،

وأما هبة الله فهي حياة أبدية

بالمسيح يسوع

ربنا.

هذه الكلمة لا تكثّف في جملة واحدة مضمون رومية 6 فحسب، بل الإنجيل كله أيضاً. لقد «سمح الإنسان الأول لنفسه» بالخطية. ولذلك يجب أن يدفع الثمن. أو بالعكس: إنه يتقاضى أجراً عن عمل لم يكن صالحاً، بل رديئاً. ولكن هذه «الصفقة» لا رجعة فيها. فالموت لا يمكن أن يُعاد أو أن يُستبدل.

الأجرة أو الراتب شيء يستحقّه المرء. أما جواب الله فمختلف. فنه تأتي هبة النعمة، عطية لا يستحقّها المرء. وجوابه على الموت هو الحياة. ولكنها ليست مجرد إلغاء للموت كما في حالة لعازر الذي أقامه يسوع. فقد مات لعازر ثانية في وقت ما بعد إقامته. أما عطية الله فهي حياة جديدة كلياً، لأن المرء ينالها في المسيح يسوع. وحياة المسيح هي حياة قائم من الأموات، إنها حياة قيامة تقع وراء نطاق تأثير الموت، وبعيدة عنه بعداً لا يبلغ.

هذه الحياة أبدية، لأنها حياة الله الخاصة. وقد أمكن أن تصير حياتنا، لأن هذه الحياة هي «في الابن» الذي صار إنساناً (1 يوحنا 5: 11-13).

المسيح يسوع، مسيح الله، ليس بعيداً عنا. إنه ربنا الشخصي الذي تربطه بنا علاقة وثيقة. إنه الآن سيدنا، إنه إلهنا.

5. الناموس في الرسالة إلى رومية

ترد كلمة الناموس في الرسالة إلى رومية 72 مرة. ويستعمل بولس الكلمة في العهد الجديد 119 مرة في المجموع. وليس المقصود دائماً الناموس الموسوي، كما يتّضح من السياق في كل مرة. والناموس الموسوي هو أحد المواضيع الكبرى في الرسالة إلى رومية. ويمكن لهذه النظرة الشاملة أن تساعد على فهم المعاني المختلفة فهماً أفضل.

المصطلح	المعنى	فهرس المواضيع
		2: 12، 13،
		14، 17، 18،
		20، 23، 25،
		3: 19، 20،
		21، 31،
		4: 13، 14،
الناموس (معرفاً وغير معرفاً)	المقصود عموماً هو دائماً ناموس موسى. 15، 16	
معرفاً)	وفي الرسالة إلى رومية المقصود هو الجزء 5: 13، 20	
تحت الناموس،	الأخلاقي من الناموس، لا أحكام الذبائح، 6: 14، 15	
مشيئة الله، صورة الحق،	أي الشرائع الطقسية، إلا قليلاً أو لا على 7: 1، 4، 5،	
حقوق الناموس، الوصية،	الإطلاق. وهذا الجزء من الناموس لم يُعطَ 6، 7، 8، 9،	
الناموس لله، ناموس البرّ	إلا لليهود. 10، 11، 12،	
		13، 14، 21،
		22، 25،
		9: 4، 31، 8،
		3، 4، 7،
		10: 4، 5، 13،
		8، 10،

- «المكتوب (يترجمه 2:
- آخرون: في عتق الناموس المكتوب، اللوحان، وأيضاً أسفار موسى الخمسة 27،
- الحرف، أي في 29
- [الناموس] المكتوب» 6: 7
- 3:
- ناموس الإيمان مبدأ الإيمان والثقة في مقابل الأعمال والبر بالأعمال 27،
- 28
- الجزء الأخلاقي من الناموس الذي يوافق طبيعة الله
- ناموس لأنفسهم؛ عمل الأبدية ومطالبه (الحبة؛ 13: 10). وقد عرف بعض 2:
- الناموس مكتوباً في الأمم هذا الناموس من دون معرفة الوصايا الموسوية. 14،
- القلوب؛ الضمير فكلاً أطاع أحد الأمم بالطبيعة ناموس المحبة، فإنه يعملها، 15
- ولكنه يخطئ ضده أيضاً مرة بعد مرة.
- الناموس الذي يتعلّق بالرجل (أي الناموس الموسوي 7:
- الرجل الذي يربط المرأة بالرجل) 2، 3
- فاعلية الحياة الجديدة التي تريد أن تخدم الله ومبدؤها. إنه 7:
- ذهني ناموس طبيعي للحياة الجديدة أن تخدم الله، لأن ناموس 23
- الله مغروس في الحياة الجديدة.
- مبدأ لا يخلّ، تسلّط بموجبه الخطية على الإنسان تسلّطاً 7:
- ناموس الخطية والموت محتوماً، وتقوده الخطية بلا مخرج إلى الموت 23
- 8: 2
- في المسيح، قاهر الموت أي القائم من الأموات، يعمل
- ناموس (مبدأ، قانون قوة) الروح القدس، روح الحياة؛
- ناموس روح الحياة وهو أقوى من ناموس الخطية والموت. 8: 2
- مقارنة: قانون الجاذبية الطبيعي لا يمكن التغلب عليه إلا
- بقانون آخر، هو قانون الديناميكا الهوائية.

6. رومية 7: أحرار من الناموس

في التطور الموضوعي للأصحاحين 5 و6 يمكن الشعور بتصادم يستمرّ حتى الأصحاح 7، الآية 6. ولكننا بعد ذلك نصطدم في الجزء الثاني من الأصحاح السابع بوضع قائم لا يبدو أنه يتلاءم إطلاقاً مع سياق الفكر.

الأصحاح السابع جملة اعتراضية²⁴ يعالج فيها بولس علاقتنا بالناموس، وفاعليته، وهدفه. كان قد ذكر الناموس الموسوي، التوراة، مرتين من قبل في رومية 6: 14-15، ولكن مع نتائج مفاجئة: فهو لم يعد المرجع الحاسم لحياة المسيحي (سواء أكان يهودياً أم من الأمم). المسيحي تحت النعمة، لا تحت الناموس بعد. في جملة واحدة فقط يقرر حقيقة جوهرية بعيدة المدى. ربما كان من الممكن أن يقتنع بذلك واحد من الأمم، ولكن يهودي؟ لقد كان ذلك بالنسبة إليه استفزازاً، إن لم يكن تجديفاً. وإذ يتوقع بولس ردود فعل كهذه، لا يريد هنا أن يترك علامات استفهام، ولذلك يتناول هذا الموضوع في أصحاح كامل - في جملة اعتراضية طويلة.²⁵

لوجاءت رومية 8: 1 مباشرة بعد رومية 6: 23، أي لو لم يكن هناك أصحاح 7، لما افتقدنا على الأرجح شيئاً (بوصفنا مسيحيين من الأمم). ومع ذلك فإن تعليم رومية 7 لا غنى عنه في السياق الكلي لهذا الموضوع. ويمكن تلخيص الخط العريض لرومية 5 إلى 8 هكذا:

من آدم إلى المسيح، من حياة عقيمة إلى حياة تُثمر لله ولم تعد خاضعة للخطية. كيف فعل الله ذلك، وكيف أكون اليوم قادراً

على أن أسلك فعلاً في «جِدَّة الحياة»؟ والآن يفرض السؤال نفسه: هل حقاً لا حاجة إلى الناموس لذلك، كما قيل في الأصحاح 6؟ ففي نهاية الأمر قد أعطاه الله نفسه ليبين كيف ينبغي للمرء أن يعيش.

24. أنا أعدّ الأصحاح 7 كله جملة اعتراضية تمتدّ حتى 8: 1. فالآيات 1-6 لا تنتمي موضوعياً إلى الأصحاح 6، بل تشكّل المدخل إلى الجملة الاعتراضية.

25. وبالنسبة، يفعل بولس الشيء نفسه أيضاً مراعاةً لليهود في الأصحاحات 9 - 11. فهو يشرح من جهة لماذا لا يسري الإنجيل على اليهود وحدهم، بل على جميع البشر، ولكنه في الوقت نفسه يؤكد أن جميع المواعيد المعطاة لشعب العهد ستتحقق في المستقبل.

6.1 معنى رومية 7 وموقعها

لقد فهم هذا الأصحاح من الرسالة إلى رومية فهماً متنازلاً عليه. والسؤال الملحّ هو: أيّ حالة من حالات الإنسان يصف هذا الأصحاح؟ وأشهر التفسيرات هي هذه:

- الحالة الطبيعية للمسيحي
- حالة استثنائية غير طبيعية وغير مرغوب فيها
- حالة إنسان غير مولود من جديد
- حالة إنسان مولود من جديد ليس له الروح القدس.

إن التفسير يتعلّق في الواقع بموضوع وجودي لحياتنا المسيحية. فهناك الكثير على المحكّ: هل يستطيع الإنجيل حقاً أن يغيّر الناس تغييراً دائماً؟ أم إننا نخدع أنفسنا فقط؟ فقد يستنتج المرء من الأصحاح السابع أيضاً أن الأمر سيبقى في الغالب مجرد محاولة لفعل الصلاح. هل الواقعي الذي يزعم أن الانتصار على الخطية لا يكون إلا في السماء على حق؟ فكيف يجب إذن أن نفهم رومية 7؟

6.2 صراع الروح ضد الجسد؟

في الأصحاح 7 لا يوصّف الصراع الدائم للمسيحي الذي فيه يثور الجسد والروح أحدهما على الآخر ويتصارعان، كما هو موصوف في غلاطية 5: 16-25. فهناك يدور الكلام عن الانتصار بقوة الروح القدس، وهذا ما لا يظهر في أيّ موضع من رومية 7. ففي الاختبار الموصوف هنا لا يرى المرء إلا الإحباط. فالإنسان يثبّ تحت سلطان الخطية، إنه لا ينظر إلا إلى نفسه، ولا يبحث عن القوة إلا في ذاته. والانتصار قد وُصف في الحقيقة من قبل في رومية 6. ولكن أيّ انتصار هذا إن كان يبدو مثل ما يصفه الأصحاح 7؟ إن رومية 7 لا تصف الحياة المسيحية الطبيعية، بل الحالة المؤسفة لمسيحي جعل الناموس قاعدة لحياته، ويحاول أن يحفظه بقوته الذاتية. إنه لا يصدّق ما تقوله 6: 14-15: لسنا بعد تحت الناموس. لذلك يمرّ بالاختبار المرير أنه لا يستطيع. وهذا يأتي به إلى حافة اليأس («ويحي أنا الإنسان الشقي»، الآية 24).

6.3 أبرار وخطاة في آن واحد؟

قال مارتن لوثر (Martin Luther) إننا «أبرار وخطاة في آن واحد».²⁶ وبحسب لوثر، فإن كوننا خطاة يظهر تحديداً في رومية 7. ولكننا رأينا من قبل في الأصحاح 5 أننا لم نعد «خطاة»، بل كُنَّا كذلك (5: 8؛ 5: 19). هذا ما تقوله كلمة الله. لا تقول رومية 7 إننا لا نزال خطاة بحسب مقامنا. بل يعبر هذا الأصحاح بالأحرى عن أن ناموس الله ليس المقياس لحياة مجد الله. إن كُنَّا لا نزال نخطئ، فليس معنى ذلك أننا لا نزال خطاة. إن أخطأنا، فإننا نفعل ذلك بوصفنا قديسين - بوصفنا أناساً يبقون مع ذلك قديسين.

إن جِدَّة الحياة في المسيح وبالروح لا يحددها الناموس الموسوي ولا أي ناموس آخر. فالناموس له علاقة بالإنسان العتيق، لا بالإنسان الجديد. ولكن إن قبل المرء الناموس مقياساً للحياة، فسيقع عاجلاً أو آجلاً في وضع كالموصوف هنا. وهذا يسري بالمناسبة أيضاً على الذين غادروا يوماً رومية 7 في اختبارهم وانتقلوا إلى رومية 8. فيمكن أن تحدث «انتكاسة» كلما صار المرء ناموسياً وجعل الناموس قاعدة المسيحي. ومن هذه الناحية يصف هذا الأصحاح أيضاً اختبار مسيحي يعرف التحرير الحقيقي من الناموس، ومع ذلك يحاول أن يحفظ الناموس بقوته الذاتية.

الحياة المسيحية الطبيعية موصوفة في رومية 8. أما رومية 7 فلا تصف الحياة اليومية للمسيحي كما يريد الله. وكما ستكون خيبة مريرة لو كان هذا هو نتيجة خلاص الله العظيم الذي كلفه موت ابنه الخاص.

6.4 مولود من جديد أم لا؟

إن صيغة المضارع ابتداءً من 7: 14 (في مقابل صيغة الماضي في 7: 7-11) توّضح أن الإنسان المقصود واختباره هو إنسان مسيحي.

بينما يُوصَف خطّان كبيران ابتداءً من الأصحاح 5: 12 حتى نهاية الأصحاح 6 (أو حتى الأصحاح 7: 6)، يقطعهما بولس لكي يتابعهما من جديد في الأصحاح 8. وفي ما بينهما

26. أطروحة لوثر: أبرار وخطاة في آن واحد (simul justus et peccator). «انظر الآن؛ إن الأمر كما قلت أعلاه:» «القديسون؛ في الوقت نفسه الذي هم فيه أبرار، خطاة؛ هم أبرار لأنهم يؤمنون بالمسيح الذي يسترهم به وبحسب هم. ولكنهم خطاة لأنهم لا يتعمون الناموس، (و) ليسوا بلا شهوة خاطئة، بل هم كالمرضى الذين هم تحت رعاية الطبيب»، مرضى هم فعلاً وحققاً مرضى، ولكنهم أعضاء بدءاً وفي الرجاء، أو بالأحرى: معافون، أي في طريقهم إلى أن يصيروا أعضاء». Römerbriefvorlesung 1515/16.

(أي في الأصحاح 7) يجد المرء وضعاً استثنائياً لا يسري إلا على مَنْ يعرف الناموس. فالشخص المعني يريد أن يخدم الله، وهذا ما لا يمكن قوله بالضرورة عن إنسان غير مؤمن. يمكن لغير المؤمن أن يكون متديناً وأن يطلب الله، ولكنه سيفعل في النهاية مشيئته الخاصة. كما أن الشخص المتدين لا يعترف بالضرورة بأنه رديء من رأسه إلى قدمه. ولكن الشخص المعني في رومية 7 يصل إلى معرفة النفس هذه. إن المعرفة بأننا فاسدون تماماً، ولكن الله وناموسه كاملان كلاً مطلقاً، لا يمكن أن تأتي إلا باستنارة روح الله. لذلك يمكن أن يفترض أن الكلام هنا (7: 14 وما بعدها) هو عن إنسان مولود من جديد.

ويردّ بعضهم عجزه أيضاً إلى أنه ليس له الروح القدس (بعد)، مع أن بولس، بعد ذكر واحد في الآية 6 («بجدة الروح»)، لا يتناول الروح القدس بتفصيل إلا في الأصحاح 8. ولكن عدم ذكر الروح في 7: 25-7 يعود إلى أن بولس يريد أولاً (تمهيداً للأصحاح 8) أن يعرض العلاقة بالناموس وعجز الجسد. إن حضور الروح في هذا الإنسان ليس عوناً، لأن الروح لم يأت أصلاً ليساعدنا على حفظ الناموس.

لو كان الكلام في رومية 7 عن إنسان لم يولد من جديد بعد، لكان درس هذا الأصحاح في النهاية تكراراً للتعليم الذي سبق عرضه؛ لأن كون غير البار - متديناً كان أم لا - لا يمكن أن يرضي الله، أمر نَجده بتفصيل في الأصحاحات الأولى من الرسالة. إن بولس يقصد أكثر من ذلك. فما يصفه هنا هو طبيعة الجسد وعجزه (حتى في المولود من جديد) عن إرضاء الله. والمراد أن يُبين أن الإنسان المفديّ تحديداً، الذي لا يزال يريد فيما بعد أن يرضي الله عن طريق الناموس، هو الذي يختبر هذه المعضلة في 7: 14-25 - وذلك طالما أراد أن يحفظ الناموس بقوته الذاتية.

6.5 رومية 7: اختبار لا بدّ منه؟

ويوجد أيضاً رأي يقول إن رومية 7 هي لكل مسيحي الاختبار الطبيعي، بل والضروري، للتقديس العملي. فبعد أن يرجع إنسان إلى الله ويشكر على أن له سلاماً مع الله، يأتيه بعد فترة اختبار رومية 7. فيشعر بسلطان الخطية ولا يستطيع أن يغلبه. ولا ينتهي هذا اليأس إلا في اللحظة التي يفهم فيها ما تعنيه رومية 8: المسيح قد أكمل كل شيء. وحينئذ فقط سيعرف أن القوة للانتصار ليست فيه هو، بل فيما عمله الله وما يعمل به الروح القدس.

ولكن لا يمكن أن يُعدّ هذا المسار نوعاً من الهدف المفروض لحياة الإيمان. فهذا الأصحاب يسري أولاً على من يعرف الناموس، وهؤلاء كانوا في العادة اليهود. هنا يُخاطب اليهود أولاً (أي المسيحيون من أصل يهودي). أما الأمم فلم يكونوا تحت الناموس الموسوي.

وفضلاً عن ذلك، لا ضرورة لمسيحي يقبل تعليم رومية 6 (لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة) و7: 1-6 («متنا للناموس») قبولاً كاملاً ويطبقه، أن يقع في بؤس رومية 7. وأشدّد هنا مرة أخرى على أن الحياة المسيحية المنتصرة لا توصف إلا في الأصحاب 8. فلو كان أحد لا يعرف الناموس، ولا يألّف الأصحاب 7 أيضاً، لما عرف على الأرجح المشكلة الموصوفة هناك أيضاً. فلا ضرورة إذن لأن نستخرج من الأصحابات 5 إلى 8 عملية أو تقدماً طبيعياً في الحياة المسيحية.

ولكن لا يمكن للمرء أن يتجاوز هذا الأصحاب السابع بهذه البساطة، لأن اختبار كثير من المسيحيين يطابق في الغالب تماماً الوضع الموصوف هناك. فإن كان يسري على الذين يعرفون الناموس، فعلينا أن نقول اليوم إن ليس اليهود وحدهم يعرفونه، بل جميع المسيحيين أيضاً، وقد جعله كثيرون منهم قاعدة لحياتهم. ومن حيث المبدأ لا يختلف اليهود والأمم في ما يتعلق بطبيعتهم الآدمية القديمة وبمقامهم الخلاصي في المسيح. لذلك يمكن للاختبار الموصوف، إن اجتزناه اليوم، أن يكون اختبار المسيحيين من أصل يهودي، كما يمكن أن يكون اختبار المسيحيين من الأمم. لقد اجتاز مسيحيون كثيرون «اختبار رومية 7». وكثيرون لا يزالون فيه، لأنهم يعدّونه الحياة المسيحية الطبيعية. ولكن هناك أيضاً كثيرون اجتازوا «اختبار رومية 8». والرسول يعدّ رومية 8 الحياة المسيحية الطبيعية. فينبغي أن يكون الأمر الطبيعي أن يحيا المسيحيون من الروح ولا يسلكوا حسب الجسد (قارن غلاطية 5: 16-26؛ 1 كورنثوس 3: 1-3). هذه هي الحياة التي يريدها الله، والتي أعدّها كل شيء.

ولكن لماذا اجتاز كثيرون منّا «اختبار رومية 7» المؤلم؟ لأننا بعد رجوعنا إلى الله لاحظنا أي سلطان قويّ هي الخطيئة. حينئذ حاولنا أن نحاربها، ولكن بالسلاح الخطأ وباتجاه النظر الخطأ. لقد كانت قوتنا الذاتية هي التي استخدمناها. لم ندرك أن المسيح قد أكل كل شيء لأجلنا، وأنه في الوقت نفسه يعطينا بروحه كل القوة لنكون غالبين. ومن هذه الناحية نستطيع أن نكون شاكرين جداً لأن لنا هذا الأصحاب، لأننا نستطيع به أن نشرح

هذه المرحلة الصعبة من حياتنا المسيحية (إن كانت قد وُجدت فعلاً) بكلمة الله أيضاً، وأن نضعها في موضعها. وحيثُ نستطيع أن نرى الآخرين الذين يعيشون في هذه الضيقة طريق الخروج.

6.6 مَن هو الإنسان في رومية 7؟

لقد كثرت التخمينات حول هوية الشخص الموصوف هنا. هل هو حقاً الاختبار الشخصي للرسول بولس الذي يتكلم بـ«صيغة المتكلم»؟ قد يكون هناك ما يؤيد ذلك، وما يعارضه. ولن نتابع هذا السؤال هنا، مهما كان مثيراً للاهتمام.

أعتقد أن بولس يتكلم على سبيل المثال عما يعرفه كثير من المسيحيين وما اختبروه. وهذا على قدر كبير من الأهمية، حتى إن بولس لذلك يتقمص بنفسه «دور المتكلم»، وهذا ليس غريباً تماماً (انظر أيضاً غلاطية 2: 18؛ 1 كورنثوس 10: 30).²⁷

6.7 رومية 7: 1-6: متنا للناموس

تشرح الآيات الست الأولى بطريقة مبدئية علاقة المسيحي بالناموس. فكما في الأصحاح 6 في ما يخص الخطية، يوصف هنا الجانب **القضائي** أولاً. لم نمت نحن فعلاً، بل المسيح مات عوضاً عنا. وهذا الموت يُحسب لنا كأنا متنا فعلاً، والنتيجة هنا أننا قد متنا للناموس.

6.7.1 الآية 1: الناموس لا يسري إلا على الأحياء

أم تجهلون أيها الإخوة (فإني أكلم العارفين بالناموس) أن الناموس يسود على الإنسان ما دام حياً؟

يتكوّن لدى المرء فعلاً انطباع بأن بولس يتكلم هنا على طريقة البشر، ويورد منطقاً بسيطاً جداً يخدم شرح حقيقة روحية مهمة. فالناموس، بل كل ناموس، لا يتوجّه إلا إلى

²⁷ وفي هذا الصدد اقتباس من م. أرهلغر (M. Arhelger) يستند فيه إلى كتاب في قواعد اللغة اليونانية: «لكي تُعرَض حقيقة عامة بطريقة حية من خلال مثال فرد واحد، كأنها أمر حاضر في الذهن، تختار لغة التخاطب اليومية صيغة المتكلم المفرد وصيغة المخاطب المفرد» (F. Blass, A. Debrunner, F. Rehkopf: Grammatik des neutestamentlichen Griechisch, Göttingen 1979) ص. 231 على § (281).

الأحياء من الناس الذين يستطيعون أن يتجاوزوا مع الناموس بالطاعة أو بالعصيان. أما الميت فلم يعد له ببساطة أيّ شأن بأيّ ناموس على الإطلاق.

6.7.2 الآيتان 2-3: الطريق الوحيد للإفلات من الناموس

فإن المرأة المتزوجة مرتبطة بالناموس بالرجل ما دام حياً؛ ولكن إن مات الرجل فقد تحرّرت من ناموس الرجل. فإذا ما دام الرجل حياً تُدعى زانية إن صارت لرجل آخر؛ ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس، حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر.

يراد بمثال أن يعمّق هذا الوضع القانوني، وأن يضيف إليه جانباً آخر. فلو حاول أحد أن يتخلّص من الناموس (وهذا لا يمكن أن يتمّ إلا بالموت)، لارتكب الزنى بالمعنى المجازي. نخرج الموت لا توجد أيّ إمكانية للتخلّص من قبضة الناموس. هذا هو مثال ناموس الزواج. فناموس الزواج هذا قد ربط الرجل والمرأة ربطاً شرعياً لا ينقسم مدى الحياة، كما كان قصد الله منذ البدء. ولا يعود ناموس الزواج سارياً على الزوجين إذا مات أحد الطرفين، وهو في هذه الحالة هنا الزوج. ولكن إن كانت المرأة مع رجل آخر بينما زوجها الشرعي لا يزال حياً، فإنها ترتكب الزنى. وعلى هذا النحو تماماً يكون وضع من هو تحت الناموس: لا يوجد انفكاك أو تحرير إلا بالموت. وحيثُذ فقط يمكن أن تقوم علاقة زواج جديدة. ومن يريد أن يفلت من الناموس بطريق آخر غير الموت، فإنه يصير بالأحرى متعدياً، ويرتكب الزنى بالمعنى المجازي.

في هذه الصورة يمثّل الرجل الناموس، بينما تمثّل المرأة المسيحيين الذين يخاطبهم بولس هنا. فكيف إذن يمكن أن نتحرّر من الناموس؟

6.7.3 الآية 4: من ننتمي إليه الآن - المسيح

إذا يا إخوتي أنتم أيضاً قد أميتم للناموس بجسد المسيح، لكي تصيروا لآخر، للذي أقيم من الأموات، لكي نُثمر لله.

بما أنه لا يوجد تحرير من الناموس إلا بالموت، فإن الأمر نفسه يسري علينا أيضًا. والآن يطبق بولس موت يسوع المسيح، الذي وصفه من قبل في الأصحاح 6 في ما يتعلق بالخطية، على العلاقة بالناموس.²⁸

تبدل الشخصيات في هذه الصورة، فيظهر الأمر هكذا: المؤمن يُشبه بالزوجة. والزوج يمثل الناموس. وما إن يموت الزوج حتى يصير الناموس غير سارٍ.

ولكن ليس الناموس هو الذي مات (ولا الخطية أيضًا؛ قارن الأصحاح 6)، بل نحن الذين متنا. ولكن هذا الموت أخذه آخر على عاتقه. فالزوج الجديد هو المسيح، إن بقينا في هذه الصورة. لقد مات نيابةً عنا.

إن عبارة «أُميمت» تجعلنا نفكر في إعدامه. وهذا ما يقصده بولس حين يقول إنه مات بالناموس للناموس (غلاطية 2: 19-20). فتعدّي الناموس يجب أن يموت. لقد تعدّي بولس الناموس يومًا، ولكن بولس مات - في المسيح الذي أخذ على نفسه هذه العاقبة القانونية لتعدّي الناموس. ولكن في كوننا قد متنا معه كان يكمن أيضًا في الوقت نفسه المخرج للإفلات من نطاق عمل الناموس.

كان موت يسوع المسيح موت ذاك الذي جعل خطية عوضًا عنا. والإشارة إلى جسده تجعلنا نفكر في كل هول إعدامه ودينونة الله على الصليب. لقد كان موتًا مروّعًا صلب فيه إنساننا العتيق معه.

وهنا أيضًا يدور الكلام عن تغيير. فالارتباط بالناموس ينحلّ، وينشأ ارتباط جديد يُشبه هنا بعهد زواج. نحن مرتبطون بالقائم من الأموات؛ ونحن الآن ننتمي إلى إنسان مات وقام. والمرأة التي تتزوج تأخذ اسم الزوج ومكانته؛ وكذلك نحن أيضًا، لأننا الآن بهذا الارتباط «في المسيح».

6.7.4 الآية 5: الناموس لا يعزّز البر، بل الخطايا

لأنه لما كُنّا في الجسد كانت أهواء الخطايا التي بالناموس تعمل في أعضائنا لكي نُثمر للموت.

²⁸ في غلاطية 6: 14 نجد النتيجة الثالثة لكوننا قد متنا مع المسيح: لقد متنا للعالم.

يُدخل بولس، في ما يتعلّق بماضينا قبل الرجوع إلى الله، مصطلحاً جديداً. لقد كُنّا «في الجسد» (انظر 8: 8-9). والمقصود بذلك ليس بدننا الطبيعي، بل حالة: كُنّا في خط آدم. لذلك لا بدّ أن يكون للجسد شأن بالخطية: «في الجسد» «كانت أهواء الخطايا تعمل». وهذا الجسد يصف الكيان البشري الذي تتخلّله الخطية وأهواؤها. ليس الكلام هنا عن الجسد فينا، بل عن **الكيونة في الجسد**. وهذه الحالة، بوصفنا نسل آدم، لا مجال لحياتها إلا في الجسد الخاطئ، ولا تستطيع أن تصنع شيئاً سوى الخطية. وهكذا يقول الرب يسوع، حين يتكلم عن ضرورة الولادة الجديدة: «المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح» (يوحنا 3: 6). ومع أن الولادة الثانية ليست الموضوع في هذا الموضوع، فإن الأمر يتعلق مبدئياً بالشيء نفسه: لا يمكن أن يأتي ثمر الله من الجسد. لذلك فالولادة الجديدة ضرورية.

لقد جعل الناموس الخطية «تكثّر» (5: 20). إنه لم يكشف الخطية فحسب، بل استفزّها. وهذا يوضّح بلا لبس ما يحدث حين يضع المسيحي نفسه تحت الناموس. وهذا ما سيراه المرء في ما يلي من هذا الأصحاح، حيث يوصّف هذا الاختبار تحديداً.

6.7.5 الآية 6: عبادة جديدة خارج نطاق الناموس

وأما الآن فقد تحرّرتنا من الناموس (رُفَعْنَا فوقه)، إذ مات الذي كُنّا مُمَسَكِينَ فيه،
حتى نخدم بِحَبْذَةِ الروح لا بعقوبة الحرف.

لم يُطلق الناموس سراح أحد، ولم يبرّئ أحداً، بل كان دائماً يُصدر حكم إدانته (العادل). ولكن لأننا (أي إنساننا العتيق) قد متنا، فالطريق مفتوح لأن ندخل، إن صحَّ التعبير، في «علاقة زواج جديدة» لن ينهبها الموت أبداً.

«الحرف» (حرفياً: **المكتوب**) هو الناموس الذي يطالب بالطاعة، من دون أن يعطي القوة اللازمة لعملها. ولكننا الآن «رُفَعْنَا» فوق الناموس، لقد نُقِلْنَا إلى الجانب الآخر. نحن الآن في المسيح يسوع، ولنا حياة فيه، والروح القدس فينا. وعن فاعلية هذا الروح وقوته وكلامه سيكتب بولس لاحقاً. ففي الآية 6 يُذكر الروح للهِرة الوحيدة في هذا الأصحاح، خلافاً تاماً للأصحاح 8.

فكما يدور الكلام في الأصحاح 6 عن **جِدَّة الحياة**، كذلك هنا عن **جِدَّة الروح** (ترجمة أخرى: «الجديد، [أي] الروح»). الأشياء العتيقة قد مضت، والجديد قد صار. لنا حياة جديدة، ولنا روح الله.

6.8 رومية 7: 14-7: الكامل

بعد أن اتَّضحت علاقة المسيحي بالناموس اتَّضحاً لا لبس فيه (متنا للناموس لكي نصير لآخر، أي للمسيح)، كان يمكن للمرء في الواقع أن ينتقل مباشرة إلى الأصحاح 8: 1. ولكن ماذا يأتي الآن؟ يتبع ذلك تبرئة للناموس. وهي موجهة إلى المسيحي من أصل يهودي، ولكن أيضاً إلى كل مَنْ لم يفهم علاقة المؤمن بالناموس (انظر 7: 1-6)، أو يظن أنه يستطيع مع ذلك أن يحاول بلوغ الهدف بمعونته. إنه يدخل في علاقة مع الناموس - بعواقب وخيمة. وهنا يوصف اختباراه.

لو نقل المرء المثال الذي استعمله بولس للتوّ في شأن الزواج إلى هذا المسيحي، لأمكنه أن يقول: إنه يرتكب، إن صحَّ التعبير، الزنى؛ فهو مرتبط، كما لو كان، بزواج جديد، أي بالمسيح، بينما يدخل في ارتباط بالناموس (غلاطية 2: 18).

ليس الناموس قاعدة الحياة للمسيحي (أو: ليس عنصر حياته، كما أن الياسة ليست عنصر حياة السمكة). وهذا يسري أيضاً حين يتمّ المسيحي، بطبيعة الحال - وهذا لا يمكن أن يكون غير ذلك - الوصايا الأخلاقية في ناموس الله (8: 4). ولكن ليست مهمة حياته أن يتمّ ناموس موسى. فالمسيحي ليس تحت سيادة موسى. بل الأمر الآن هو أن يكون المسيح نفسه مضمون الحياة وقاعدتها، وأن نكون مرتبطين بالمسيح، وأن نمتلك قوة روحه. إن **جِدَّة الحياة** و«**جِدَّة الروح**» لا تتكوّنان من المحظورات التي كانت سمة الناموس. فالمسيح نفسه يتصوّر في قلوبنا، ويصير منظوراً من خلال ثمر الروح. الحياة المسيحية لا تقوم على حفظ الوصايا، بل على التغيّر من الداخل - نحو التشبّه بالمسيح. ليس الأمر أمر وصايا، بل أمر شخص. وهو الهدف.

ولكننا لم نصر الآن بأيّ حال بلا ناموس: فنحن نخدم يسوع المسيح. نخدمه كالعبيد، أو كالخدم المملوكين - نخدمه هو، ربنا وسيدنا، الذي نحن ملوكه الشرعي. ونحن نتبع وصاياه، وهي تتضمن «ناموس المسيح» (غلاطية 6: 2؛ قارن 1 كورنثوس 9: 21). نحن خاضعون للمسيح خضوعاً شرعياً.

في هذا الأصحاح يتّضح أن الناموس (تحديداً لأنه في كثير منه محظورات) لا يتوجّه إلى الذين تبرّروا في المسيح. وهكذا يقول بولس إن الناموس لم يوضع للبار، بل للأثمة (1 تيوتافوس 1: 9)، لكي يكشف خطيتهم ويقودهم إلى المسيح.

6.8.1 الآية 7: معرفة الخطية تأتي بالناموس

فإذا نقول؟ هل الناموس خطية؟ حاشا! بل لم أعرف الخطية إلا بالناموس. فإني لم أكن أعرف الشهوة لو لم يقل الناموس: «لا تشته».²⁹

هذا السؤال يفرض نفسه فرضاً! فإن كان الناموس واقعاً لا يتحرّر منه المرء بشيء أقلّ من موت الرب يسوع على الصليب، فلا بدّ أن يكون في الناموس خلل ما. ومرة أخرى يأتي من بولس «لا» حاسمة. فإن كان هناك خلل، فسببه في الإنسان.

إذا كنّا قد تعلّمنا من قبل أننا لم نعد تحت الناموس، وإذا كان في الوقت نفسه كل شيء في هذا الناموس على ما يرام، فإن بولس سيشرح الآن ما هو شأن هذا الناموس.

لقد أظهر الناموس ما هي الخطية. فكان المرء يستطيع بالاستناد إلى الناموس أن يقول بدقّة في ما تقوم الخطية، أي التعدي. وكان على الإنسان أن يعرف بذلك ما هي الخطية. والمقصود في هذه الحالة يهودي، ولكن المقصود في النهاية كل من احتكّ بهذا الناموس.

يختار بولس آخر الوصايا العشر على سبيل المثال لكي يتابع به فكرته. ولعلّ تعدي النبي عن الاشتباه هو أكثر الخطايا انتشاراً - خطية خفية يعرفها كل سامع أو قارئ من حياته. لا ينبغي أن نشتهي شيئاً مما هو للآخر. إنها خطية تجري أولاً في قلبي فقط، ولا تتحقّق بالضرورة في فعل مماثل. ففي هذا الأصحاح ليس الكلام عن خطايا الأفعال الفاحشة. إن سلطان الخطية يُشعر به أولاً بقوة في الداخل، ولا يُعرف من خلال الأفعال فقط.

فلننبع هذه الآية أيضاً بأن نركز بالناموس، أي بمقياس الله، لكي نُحدث عند الهالكين معرفة الخطية. فمن دون هذه المعرفة لن يفهموا ضرورة الخلص.

6.8.2 الآية 8: الناموس يعرّز الخطية

ولكن الخطية وهي متخذة فرصة بالوصية أنشأت في كل شهوة؛ لأن بدون الناموس الخطية ميتة.

حين تلتقي الوصية بالإنسان لا تتبعها الطاعة فوراً، وهي ردّ الفعل المقصود. كلا، بل تتكشف الخطية سلطاناً متمرداً. فالخطية تتخذ الوصية الإلهية فرصة لكي تفعل بالضبط ما ينهى عنه الناموس. ليس الأمر فقط أن الخطية تستيقظ ككلب نائم. بل إن الصفة الأهم للخطية هي أنها تتمرد على وصية الله.

الشهوة لا تتجه إلى شيء واحد فقط. بل تستهدف كل ما هو مُشتهى، فهي في ذلك متعددة الجوانب، وهي كمغنطيس قويّ يحاول أن يجذب كل شيء إليه.

لقد بينّ الأصحاح 5 من قبل بوضوح أن الخطية كانت موجودة أيضاً من دون الناموس (وبمعزل عن الناموس). ولكنها لم تكن ظاهرة بوصفها كذلك، أي بوصفها مبدأً معادياً لله.

الخطية «ميتة» من دون الناموس، فلا يمكن من دون الناموس أن يتهم أحد بسبب الخطية.

فلماذا إذن أعطى الله ناموساً، إن كانت الخطية ميتة من دون الناموس؟ ألم تكن لتبقى ميتة إلى الأبد من دون الناموس؟ لقد دخل الناموس إلى جانبها لكي تكثر الخطية (قارن 5: 20). فرض الخطية الذي أصاب كل إنسان منذ آدم لم يكن ممكناً، إن صحّ التعبير، أن يُشفي بالناموس، بل تُخصّص فقط بوصفه كذلك. ويقول بولس لأهل غلاطية إن الناموس كان «مؤدّباً إلى المسيح» (غلاطية 3: 24؛ ER)؛ فالناموس بينّ إذن ضرورة ذبيحة يسوع (غلاطية 3: 23-26). وبهذا المعنى يجب أن نستعمله نحن أيضاً في كرازتنا.

6.8.3 الآيات 9-11: اللقاء بالناموس يقود إلى الموت

أما أنا فكنت بدون الناموس عاشاً قبلاً؛ ولكن لما جاءت الوصية عاشت الخطية، فمِت أنا. فوجدت الوصية التي أعطيت للحياة هي نفسها لي للموت. لأن الخطية

وهي متخذة فرصة بالوصية خدعتني بها وقتلني.

يُعيد بولس على سبيل المثال تمثيل إعطاء الناموس (أي ليس بالضرورة بوصفه أمراً اختبره هو نفسه، فهو بوصفه فريسيّاً لم يعيش على الأرح «بدون الناموس» قط): «... ولكن لما جاءت الوصية».

الإنسان من دون الناموس لا يعي الخطية، لأنه لا يستطيع أن يحدّها. فإن أُعطي ناموساً، صارت الخطايا تظهر له أكثر فأكثر: وبهذا المعنى «عاشت الخطية». ويضاف إلى ذلك أن خطايا أكثر تُرتكب في المجموع، لأن الخطية تُستفزّ بالناموس، وهي بطبيعتها تعمل ضد الناموس.

فهناك إذن مواقف تعيش فيها الخطية، مع أن المؤمن لا يريد ذلك على الإطلاق (لأنه يريد أن يطيع الناموس). حينئذ يشعر كأنه يموت. إنه يعرف الكلمة التي تقول ما معناه: «افعلوا هذا فتحيا!» ولكنه، بلا أيّ فرصة، يقبل لنفسه حكم الناموس و«يموت». وهذا الموت ليس موت يسوع المسيح الذي يحرّر من الخطية والناموس (ولا هو الموت مع المسيح)؛ بل هو الموت الذي يلخص كل العجز والضعف تجاه الناموس.

وإلى جانب العجز يمكن أن يكون المقصود أيضاً الموت بالناموس، كما يقول بولس: إنه مات بالناموس (لِلناموس). الخطية تقتل. فوصية الله لا تبين فقط كم أتصرف بتمرّد، بل أيضاً أن نتيجة تمرّدي هي الموت - حتماً. وبهذا المعنى تقتل الخطية.

الخطية عدوّ استغلّ الناموس لصالحه. فكيف خدعت الخطية؟ هل خدعت المسيحي وأغوته بأن يركّز على الناموس بوصفه قاعدة الحياة التي يستطيع، بوصفه مسيحياً، أن يتمّها الآن؟ إن بعض الكلمات في هذا الأصحاح تجعلنا نفكر في الوضع في الفردوس، حيث كان أيضاً ذاك الذي خدع، الكذاب منذ البدء.

ليس الناموس هو الذي قتل، بل الخطية هي التي قتلت. في هذه الفقرة يدور الأمر حول تبرئة ناموس الله. لقد أُعطي للحياة، ولكن على الإنسان أن يعترف بهزيمته: إنه لا يستطيع أن يحفظ الناموس إلى الحدّ الذي يجعله بذلك باراً أمام الله.

لا يظهر الناموس في الكتاب المقدس في هذا الضوء «السلي» فقط. فقد كان الناموس، كما يمكن أن يرى كثيراً في العهد القديم (ويكفي أن نفكر في المزمورين 19 و119)،

عطية خاصة لإسرائيل. كان الناموس بركة عظيمة. أما في رومية 7 فتُبرز الوظيفة الخاصة للناموس في معرفة الخطية، وهي التي تبرز فشل الإنسان وعجزه. وهذا هو المقصود بالضوء «السلي»: الناموس صالح، ولكنه لا يساعد، لأن الإنسان ليس صالحاً.

الأسئلة المطروحة هنا لا يكاد يجدها المرء بهذه الصيغة في العهد القديم. فالزام المسيحيين بالناموس كان إغواء المتهودين الذين كانوا يسافرون في أثر بولس لكي يلبلوا الكأس التي أسسها.

ولم يبدأ هذا الصراع بين القديم والجديد، بين الناموس الموسوي ونعمة الإنجيل، إلا حين انتشر إنجيل النعمة. وهذا ما دفع بولس خصوصاً العارف المشهود له بالناموس، إلى أن يتخذ في رسائله إلى أهل رومية وكورنثوس وغلاطية وكولوسي موقفاً واضحاً إلى هذا الحد «ضد» الناموس الموسوي بوصفه طريقاً للخلاص وقاعدة لحياة المسيحي.

6.8.4 الآية 12: ومع ذلك فالناموس صالح

إذاً الناموس مقدّس، والوصية مقدّسة وعادلة وصالحة.

ليس الناموس هو المشكلة، بل الخطية التي في الإنسان. فللناموس كل الصفات التي لله نفسه بوصفه واضع الناموس.

هذه الخلاصة توضح في ما يقوم السبب الذي لأجله متنا للناموس وصرنا من الآن فصاعداً تحت النعمة: ليس هو نوعية الناموس، بل عجز الإنسان عن حفظه.

6.8.5 الآية 13: مرة أخرى - وظيفة الناموس

فهل صار لي الصالح موتاً؟ حاشاً! بل الخطية،³⁰ لكي تظهر خطية، أنشأت لي بالصالح موتاً، لكي تصير الخطية خاطئة جداً بالوصية.

30، نص هذه الآية، الذي لا يشكّل في هذا الموضع جملة كاملة في عدد من الترجمات الألمانية للكاتب المقدس (ومنها أيضاً Elb وER)، ينبغي أن يفهم على النحو التالي: «فهل صار لي الصالح موتاً؟ حاشاً! بل كانت الخطية...» (قارن مثلاً Schlachter وSchl 2000 وMenge).

ومع ذلك يُطرح السؤال: كيف يمكن لناموس الله، أي لمشيئة الله، أن يعني موتي؟ -
الجواب: ليس الناموس هو الذي يحدث الموت، كلا، بل الخطية هي التي تُحدثه. فالخطية
لا تُكَبَّت ولا تُعْطَى بالوصية الصالحة، بل تُكشَف.

هل يمكن للخطية أن تصبح أكثر خطيئةً بعد؟ - لا يمكن للمرء أن يجعل الخطية أسوأ مما
هي، ولكن السؤال هنا هو كيف ندرك الخطية ونحكم عليها. يمكن للمرء أن يهون من شأن
الخطية، ويمكن له أن يخدّر ضميره. ولكن ناموس الله المقدس يُعيد إلى الإدراك الصحيح
للخطية والحكم الصحيح عليها. فغاية الناموس أن نرى الخطية كما يراها الله، لكي يدفعني إلى
المخلص.

6.9 رومية 7: 14-25: اختبارات مسيحي تحت الناموس

6.9.1 الآيتان 14-15: الإرادة الصالحة والجسد الضعيف

لأننا نعلم أن الناموس روحي، وأما أنا فجسديّ مبيع تحت الخطية؛ لأنني لست
أعرف (لست أستحسن) ما أنا أفعله؛ إذ لست أفعل ما أريده، بل ما أبغضه
فإياه أمارس.

الآن يتجه الضوء الكاشف من الناموس إلى الإنسان. الناموس روحي: إنه يأتي من الله. أما
الإنسان فجسدي: إن كان الإنسان أو طبيعته خاطئة. إنه يعرف أنه مبيع تحت الخطية،
متروك وحيداً كيوسف في بئر مظلمة. الإنسان أسير تناقض لا يجد له تفسيراً. إنه لا يفهم
لماذا يجري كل شيء على غير ما يريد. ألم يكن قد اختار الله وناموسه؟ ولكن لماذا هذا
الآن: إنه عاجز عن أن يفعل ما يريده (بوصفه من يريد أن يخدم الله)، ومضطرب إلى أن
يفعل العكس. وهذا تماماً ما يبين سلطان الخطية وديكتاتوريتها التي هو «مبيع» تحتها.

6.9.2 الآية 16: الموافقة على الناموس

فإن كنت أفعل ما لست أريده، فإني أصادق الناموس أنه حسن (ممتاز).

في هذا الوضع يجب على الإنسان أن يوافق حتى على أن الناموس ممتاز وروحي وصالح. إن
معرفة الإنسان بنفسه تزداد خطوة بعد خطوة. فالإنسان يرى الناموس، وبذلك يرى

الذي أعطاه. والآن صار قادراً على أن يحدّد موضع أصل الشرّ. ولن يجده في أيّ مكان كان، بل في نفسه:

6.9.3 الآيات 17-21: الخطية الساكنة فيّ

فالآن لست بعدُ أنا الذي أفعل ذلك، بل الخطية الساكنة فيّ. فإني أعلم أنه ليس ساكناً فيّ، أي في جسدي، شيء صالح؛ لأن الإرادة حاضرة عندي، وأما أن أفعل الحسن فلست أجد (لست أستحسن). لأنني لست أفعل الصالح الذي أريده، بل الشرّ الذي لست أريده إياه أفعل. فإن كنت ما لست أريده أفعله، فلست بعدُ أنا الذي أفعله، بل الخطية الساكنة فيّ. إذاً أجد الناموس لي، أنا الذي أريد أن أفعل الحسن، أن الشرّ حاضر عندي.

لقد حدّد موضع أصل الشرّ: الخطية الساكنة في الإنسان. في الأصحاح 5: 12 يصف بولس كيف دخلت الخطية إلى العالم بآدم. وهنا توصّف بوصفها المبدأ الذي استوطن الإنسان منذ ذلك اليوم. ليست الخطية مبدأً مجرداً في العالم من حولي يستطيع المرء أن يتخلّص منه (مثلاً في دير). لقد حصلت الخطية لنفسها على حقّ السكنى في الإنسان، في قلبه. والخطية نفسها هي التي تفعل الشرّ. والإنسان الموصوف هنا في رومية 7 قد حدد موضع المصدر. ولكنه لا يتصلّ من المسؤولية عن خطيته، كأنه لا شأن له بها. ليست الخطية هي المسؤولة، بل الإنسان نفسه هو المسؤول عمّا يفعل وعمّا يترك. فيه تسكن الخطية، وبذلك لا يوجد في جسده شيء «صالح» (ER). وهذه المعرفة بالنفس جاءت بالناموس.

الصالح هو اتّباع الناموس. والكلام هنا مبدئياً هو عن ناموس الله، أي عن الناموس الموسوي. ولكن الأثر نفسه الذي للناموس (انظر صيغة «ناموس» بلا أداة تعريف في 7: 8-9) تحدّثه كل قاعدة أفرضاها على نفسي كأنها ناموس. ففي هذا الأصحاح يدور الكلام عن إنسان مولود من جديد يفرض على نفسه قواعد صالحة وصحيحة لكي يرضي الله. ولكن الخطأ هو أنه يحاول أن يتمّ هذه القواعد (ناموس الله) بقوته الذاتية، فيستفز بذلك الخطية التي فيه، من دون أن يفهم العلاقة بين الأمرين. فمن يضع نفسه تحت مبدأ

«الوجوب»³¹، ينظر إلى نفسه وإلى قواعده، من دون أن ينظر إلى المسيح وإلى قوة الروح.

6.9.4 الآيتان 22-23: ناموسان وأثرهما

فإني أُسرّ بناموس الله بحسب الإنسان الباطن؛ ولكني أرى ناموساً آخر في أعضائي، يحارب ناموس ذهني، ويقودني إلى الأسر تحت ناموس الخطية الكائن في أعضائي.

لم يعد «التشخيص الذاتي» يقتصر على معرفة الخطية الساكنة، التي ليست حاضرة فحسب، بل تفرض نفسها أيضاً فرضاً محتوماً. فكما أن هناك مصدراً للشر، كذلك لا بدّ أن يكون هناك سبب لكون الشخص المعنيّ يسرّ بما يأتي من الله. وسبب ذلك يكمن في وجود «الإنسان الباطن». فهذا يقف في مواجهة الخطية، ويمسّد الحياة الجديدة للمؤمن، انسجاماً مع المواضع المماثلة (أفسس 3: 16؛ 2 كورنثوس 4: 16) التي يدور فيها الكلام أيضاً عن «الإنسان الباطن». والإنسان الباطن لا يقف في مقابل الإنسان الخارج، أي البدن، فحسب. وليس المقصود بـ«الإنسان الباطن» مجرد النفس أو الروح، لأن هذا يملكه كل إنسان يولد. فالإنسان الباطن لا يفهم أولاً من منظور صورة الإنسان (أنثروبولوجياً) الذي يصف الجانب الداخلي من الإنسان.³² بل يفهم الإنسان الباطن بالأحرى من منظور الخلاص (سوتيريولوجياً). فالخلاص لم يشمل جسدنا بعد، بل وهيت لنا أولاً حياة روحية لا تزال غير منظورة في الخارج. والاكتمال الجسدي لن يتمّ إلا في القيامة أو التغيير. هنا بدأ في الإنسان شيء جديد يطلب الله. إنه مولود من جديد.

للإنسان الباطن «ذهن» (باليونانية nous، أي ملكة التفكير). إنه التفكير الذي جدّده الروح القدس. وبالنسبة إلى ملكة التفكير هذه، من الناموس الطبيعي أن تريد ما يريده الله. ولكن الخطية، التي تظهر هنا عدواً منتصراً في الإنسان، أقوى. لقد جلبت معها هي أيضاً «ناموساً طبيعياً». الخطية تُخطئ، هذا هو ناموسها (قانونها الذي يحكمها). وهذا ما يشعر به إنسان محبط، كما تقول الآية التالية:

31. H. P. Medema، Der Brief an die Römer، ص. 111.

32. Jürg Buchegger، Der neue Mensch in Christus und seine tägliche Erneuerung، ص. 199، في: Ein Mensch

– was ist das؟، Wuppertal، 2004

6.9.5 الآية 24: اليأس

ويحي أنا الإنسان الشقي! مَنْ ينقذني من جسد هذا الموت؟

ينتهي التشخيص الذاتي للإنسان، فتنتطق هذه الصرخة المعذبة. إنه لا يريد ببساطة أن يغادر بدنه، كأن حل اليونانيين القدماء هو الجواب على مشكلة الخطية. فقد كان حلهم أن يعدوا البدن سبب كل شر، وأن يجدوا الحرية في الروح. أما «جسد الموت» فهو جسد الإنسان تحت فاعلية الخطية التي تنتشر في كل وجوده الإنساني انتشاراً يستولي عليه.

جسد الموت هو فعلاً، كبذن الخطية في الأصحاح 6، البدن الطبيعي للإنسان. وهو بسبب الخطية مُعدّ للموت (رومية 8: 10-13). والفرق عن الحلّ اليوناني يكمن في أن المسيحي يقبل البدن (مع أنه مُعدّ للموت) ويضعه في خدمة الرب. وهو يستطيع ذلك لأن المسيح نفسه يسكن الآن بالروح القدس في هذا البدن. والحلّ النهائي يكمن حينئذ في قيامة البدن (لا في خروج من الجسم)؛ وأما في الأثناء فيُسمح للإنسان أن يُميت بالروح أعمال البدن الشريرة (رومية 8: 12-13).

بهذه الصرخة الموجودة هنا لا يتوق الشخص المعنيّ إلى الفداء فحسب، بل قبل كل شيء إلى فاد! لقد كان حرف الناموس يطالب بلا عاطفة، من دون أن يمنح قوة. أما الفادي، ربنا يسوع المسيح، فهو الذي بذل حياته بالنعمة والمحبة لأجل كل واحد شخصياً، ويهب القوة (فيلي 4: 13؛ 2 كورنثوس 12: 9 وغيرهما).

6.9.6 الآية 25: الدرس المستفاد من رومية 7

أشكر الله يسوع المسيح ربنا! إذاً أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله، ولكن بالجسد ناموس الخطية.

للمرة الأولى يُذكر المخلص باسمه. وهذا هو المفتاح لباب السجن الحصين الذي حبس المؤمن فيه نفسه. فإن كان هناك مَنْ ينقذ من هذا الوضع، فهو يسوع المسيح ربنا. وهذا يشير إلى مؤمن يتكلم عن ربه. والآن أخيراً يصحّ الاتجاه ويصحّ الهدف. أكثر من أيّ أصحاح آخر في الكتاب المقدس يقرأ المرء في رومية 7 عن «أنا» و«أنا» ثم «أنا» مرة أخرى. وفي هذا

تكن المشكلة. ولعلّ بولس اختار هذا المثال على هذا النحو عن قصد، لكي يحذّر تحذيراً صارخاً من طريق يقود إلى «الأنا» و«الذات» وإلى الناموس. فما دمنا مرّكين على صراعنا الداخلي الخاص، فإننا لا نستطيع أن نرى المسيح وأن نسلّك طريق الروح. والمسيحي اليأس لم يعد الآن يُلقِي المرساة كما من قبل في قاربه الخاص، بل يغرقها في يسوع المسيح.³³

الشكر المفاجئ هو نقطة التحوّل في البؤس. والشكر يعني: لست أنا من ينجز شيئاً، بل آخر يفعل شيئاً لأجلي. والأصحاح 8 يبيّن على أيّ شيء يكون الشكر، أي على فعل الله الخلاصي في المسيح، الذي لم يحل مشكلة ذنبي فحسب، بل أيضاً «مشكلة الخطية» عندي. فما أنا عليه بالطبيعة قد أزيل وأتمي. والصعود الشاق على جبل سيناء، جبل الناموس، قد انتهى. فالجلجلة، والنعمة الموهوبة هناك للخلاص وللحياة، هي الآن الهدف!

تضع خاتمة الأصحاح 7 الطبيعتين اللتين في المؤمن إحداهما مقابل الأخرى (7: 25). ولكن ليس الكلام في هذا الموضع عن الصراع اليومي الدائم بين الجسد والروح (كما هو موصوف في غلاطية 5)، بل عن المعرفة الفاصلة بأن في المؤمن ناموسين يحكّانه. فهناك مبدآن في: فمن جهة - بالجسد - أخدم الخطية. وقد حدّد أصل هذا المبدأ الآن بوضوح: إنه الخطية الساكنة في جسدي. ومن جهة أخرى - بملكة التفكير المتجددة - أخدم ناموس الله. وهذا الأصل أيضاً مفهوم: إنه الإنسان الباطن - الحياة الجديدة التي وهبها الله.

الجسد هو ديناميكية «الأنا القديمة»، أي ديناميكية ما هو بلا الله وما هو من هذه الدنيا، ديناميكية الدهر الحاضر - بل كل ما جلبته الخطية معها. وملكة التفكير هي الوسيلة التي يريد بها الإنسان الباطن أن يعمل ناموس الله. في 7: 25 يلخص بولس المعضلة: فبواسطة التفكير المتجدّد يسرّ بناموس الله، وبواسطة الجسد يخدم القانون الذي يحكم الخطية. إنه الشخص، «الأنا»، الذي يخدم إمّا هذا وإمّا ذاك، وذلك بمسؤولية كاملة عن قراره. وهكذا يمكن للمرء أن يتكلم عن قدرتين أو طاقتين³⁴ أستخدمهما في كل ما أفعله. إحدى

33. William MacDonald, Kommentar zum NT, المجلد 1، ص. 641.

34. Charles C. Ryrie, Ausgewogen statt abgehoben, Dillenburg 1994، ص. 43. والكلمة الإنجليزية «capacity»

(طاقة، سعة) تحمل أيضاً معنى «القدرة».

هاتين الطائفتين ناشطة دائماً، فلا يوجد شيء محايد. فكل عمل (أي ببساطة كل ما أفكر فيه وأفعله) تحدده إحدى هاتين القدرتين. فكيف تشقّ قدرة الروح طريقها الآن في حياتي؟ نحن نترقّب بشوق كيف يجب بولس وأيّ طريق يرسم. ولكننا نستطيع أن نصوغ الجواب مسبقاً في جملة واحدة هكذا: ما لم يستطع الناموس أن يفعله، فعله المسيح الآن لأجلنا (واقعاً تاريخياً)، والروح «يتمّمه» اليوم فينا (اختباراً حقيقياً).³⁵

35. 2005. Der Geist Gottes und die Gemeinde، Metzinger، Gordon Fee، ص. 188.

7. رومية 8: 1-11: أحرار أخيرًا!

لقد قادت سلسلة الحجج في الأصحاحات الخمسة الأولى، عن برّ الله من جهة، وعن ذنب الإنسان وخطيته (يهودياً كان أم من الأمم) من جهة أخرى، إلى الخلاص بدم المسيح (3: 23-25). فقد قدّم الله ابنه كفّارة. ودم يسوع يتمّ مطلب الله العادل. ولكن الله، بعد أن قدّم يسوع نفسه لأجلنا، أقامه من الأموات لأجل تبريرنا. والآن يبرّر الله، الديّان القدوس والعادل، مَنْ يؤمن بيسوع المسيح وبالله الذي أقامه من الأموات. في الأصحاح 5: 1 يلخص بولس:

فإذ قد تبرّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله!

حتى هنا قد يظنّ المرء أن ذروة الرسالة قد بلغت، بحيث لا تكاد تكون ذروة أخرى ممكنة. ولكن بولس يتناول بعد ذلك المشكلة الأعمق. فابتداءً من 5: 12 لم يعد الكلام عن الذنب والكفّارة، بل عن الكيان الأخلاقي للإنسان. الكلام هو عن الخطية بوصفها سلطاناً ومبدأ متلاحماً مع كل إنسان تلاحماً لا ينفصم. فما فعله إنسان يمكن أن يغفر له. أما ما هو عليه (من الناحية الأخلاقية)، فلا يمكن أن يغفر، لأن المرء بذلك يبرّر الخطية.

في الأصحاح 5 يشرح بولس أصل الخطية وأثرها، وفي الأصحاح 6 التحرير من الخطية. وفي الأصحاح 7 تناول بولس علاقة الناموس بالمسيحي. وفي النصف الثاني وصف اختبار إنسان نستطيع أن ننطلق من أنه ولد من أولاد الله. هذا المسيحي يحاول، بدوافع صالحة، أن يرضي الله، إذ جعل الناموس قاعدة لحياته. ولكنه أغفل أمرًا حاسماً: المسيحي قد مات للناموس، كما مات عن الخطية. لم يفهم أن ناموس سيناء يمثّل «منظومة» كاملة يسري فيها مبدأ الإنجاز. ولكن الناموس أعطي تحديداً لكي يبرهن على ضعف الجسد وعجزه. لقد أوضح أن الإنسان خاطئ ويحتاج إلى تدخل الله. فبالناموس عاشت الخطية (7: 9)؛ وبالناموس صارت الخطية خاطئة جداً (7: 13). فإن دخل مؤمن في علاقة مع عتق الحرف هذا، فسينتهي إلى اليأس، لأن الخطية التي فيه ستكون أقوى من إرادته المتجددة.

إن القول «ويحي أنا الإنسان الشقي!» يأتي من الوعي بأن الخطية لا تُقهر. في رومية 7 لا يرى المسيحي إلا نفسه، ولا يرى أنه في المسيح مبرر ومغسول ومقدس. إنه لم يدرك هويته الجديدة في المسيح. ومن يدرك هويته الجديدة (كما هي موصوفة في الأصحاح 8)، لا يحتاج بعد إلى أن يقول: «ويحي أنا الإنسان الشقي!» ومع ذلك: كلما زلت قدمه، أي أخطأ، ووجد فيه بذلك «عمل من أعمال الجسد» (غلاطية 5: 19)، فعليه أن يدين ذلك بصدق أمام الله وأن يعترف به. وكل اعتراف حقيقي بالخطية يقترن بالحزن والندم. وهذا جزء من النمو الروحي وشرط له.

رومية 8 تفتح لنا باب الحياة على مصراعيه: براءة في المسيح وحرية في الروح بوصفنا أبناء الله وأولاده في الطريق إلى المجد. لم نصل بعد، فنحن لا نزال في جسد الموت وفي خليقة خاضعة للفساد.

7.1 منذ الآن - وليس بعد

لقد خلصنا على الرجاء (رومية 8: 24-25؛ ER). إن تبريرنا، الذي جعلنا من خطاة أبراراً، أكيد، ولكنه لا يُنال إلا بالإيمان. وما نملكه بالإيمان هو «منذ الآن». ولكن من الواضح أننا لم نبلغ الكمال بعد. فالأجل لا يزال آتياً، وهذا ما نعبر عنه بـ«ليس بعد».

الدهر الجديد للمسيح: الحياة الأبدية، عمل الروح، النعمة، الحرية، القيامة، التجديد، السلام، البر، الاكتمال

المجيء الأول للمسيح وعمله يتمّان «منذ الآن»: التبرير، عطية الروح

الحياة الأرضية في الإيمان والرجاء - منذ الآن - وليس بعد

الدهر الحاضر

المجيء الثاني للمسيح يتمّ «وليس بعد»:

- المجد العتيق 8: 18
- التبنّي، فداء أجسادنا 8: 23
- حرية مجد أولاد الله 8: 21
- الخليقة مُحَرَّرَة 8: 21

دهر آدم: الخطية، الموت، الجسد، الناموس، العبودية، الزوال، الفساد، البطل يُراد بالرسم التوضيحي أن يوضح هذا التناقض الظاهري والتوتر القائم بين هاتين النقطتين. فالدائرة هي منطقة التداخل حيث لم ينتهِ دهر آدم بعد، ولكن دهر المسيح قد بدأ منذ الآن. وفي هذا الزمن قد خصصت حياة المستقبل لشعب الله منذ الآن، بينما لا يزال الاكتمال في الوقت نفسه منتظراً.

هذا الزمن، زمن الإيمان والرجاء والثبات في الإيمان، ترافقه أوامر الخلاص. فتشجيعاتها وتحذيراتها وتنبئاتها المؤكدة تسري علينا، والغرض منها أن تحفزنا على أن نصمد حتى النهاية، لكي نستطيع أن نتم سباق الإيمان الطويل (الماراثون) كله. ونعمة الله بروحه ستجعلنا نبلغ الهدف. وهذا هو موضوع الأصحاح 8. ويحيا رجائنا حين نراعي «منذ الآن - وليس بعد» عند بولس وفي كل العهد الجديد مراعاة متوازنة. والأصحاحات 6 - 8 مثال بارز على هذه الفكرة الموجهة.

الخلاص بصيغة الخبر يقابل «منذ الآن»، أي ما نلناه فعلاً. أما الخلاص بصيغة الأمر فيوجه النظر إلى ما هو «ليس بعد»، ولكننا سنبلغه: مجد الحياة الأبدية وخليقة محررة. خلاص الله لا يستبعد عمل الإنسان وقراره وثباته. فينبغي أن نصير ما نحن عليه. التحذير والوعد، والحث والتأكيد، يقفان جنباً إلى جنب، ولا يلغي أحدهما الآخر أبداً.

7.2 الانطلاقة الحاسمة

لعلّ الأصحاح 8 هو «أعلى» قمة جبلية في هذه الرسالة، وواحدة من أعلى القمم في الكتاب المقدس كله. فبعد أن اتضح التحرير من الخطية اتّضحاً كاملاً، يبين بولس إلى أين سيقود طريق المحرّرين، وعبر أي ظروف حياتية، لبلوغ هدف الله (الاكتمال).

«هذا الأصحاح يقودنا إلى الدائرة الأعمق وإلى قلب المسيحية؛ إنه يعالج الحالة الخاصة من الغبطة، أنقى فرح وأكثره بصيرة، فرحاً لا يستطيع العالم بأيّ حال أن يقدم شيئاً يُقارَن به ولو من بعيد».³⁶

36. W. Sanday و C. J. Ellicott (محرران)، A Bible Commentary for Bible Students، ص. 233.

7.3 الآية 1: براءة - لا حكم دينونة بعد الآن

إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْآنَ (لا حكم دينونة) عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.³⁷

هذه واحدة من أعظم جمل الكتاب المقدس وأغناها مضموناً. هذه الكلمة تطرد كل خوف. إنها هتاف ابتهاج في عالم هالك يمضي نحو الدينونة. وللناس الذين يعدّهم اليأس بسبب معرفتهم بخطيتهم، لهذا الخبر السارّ أثر وجودي: التحرير، والسلام، واليقين، والأمان. هذا المكان، أو هذا المقام في المسيح، آمن من أيّ ملجأ ضد القنابل الذرية. لا شيء يمكن أن يصيبنا في المسيح، لأنه سيصيبه هو أولاً. وهو قادر على أن يواجه كل شيء. والمقصود هنا حكم دينونة الله الذي كان سيصيبنا بحق لو لم يأخذه هو على نفسه. ولأننا فيه، ونبقى فيه إلى الأبد، فإننا نجتاز حياتنا اليومية بهذا الأمان. كل المسائل القانونية قد حُسمت. لم نحسب أبراراً فحسب، بل نحن أيضاً متّحدون بالمسيح اتحاداً لا ينقسم: أن نكون في المسيح لا يعني شيئاً آخر سوى أن الله، حين ينظر إلينا من فوق، لا يرانا نحن، بل يرى المسيح.

هذا القول الأساسي يؤكّد لنا أن الإدانة المستقبلية في يوم الدينونة، والهلاك الأبدي، قد نُقلا بالنسبة إلينا، نحن الذين في المسيح، من المستقبل إلى الماضي: فإدانتنا قد تمّت فعلاً. هذه الدينونة لم تُسحب ولم تُلغ لأن الله ببساطة رحيم بنا. فطبيعة الله لا تتغير. ولن يتخلّى أبداً عن مجده وقداسته وبره، ولن ينكرها. فلماذا إذن لا توجد الدينونة للذين هم في المسيح؟ - لأن حكم الدينونة علينا، أي على إنساننا العتيق، قد نُفذ في المسيح (6: 6، 8: 3). لقد أصابه هو، لا نحن. إن الحماية من الدينونة لا تقوم على أن يسوع كان كاملاً في حياته وتمّ الناموس. كلا، فحكم الدينونة لم يكن يجب أن ينطق به فحسب، بل أن يُنفذ أيضاً، وهذا ما حدث على الصليب وفي موت يسوع. ليست حياته المقدسة، بل موته هو خلاصنا.

37. هناك مخطوطات تشهد للترجمة التالية: إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّينُونَةِ الْبَتَّةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ؛ (هم) السالكون ليس حسب الجسد بل حسب الروح. إن الذين هم في المسيح لا يدينون بمقامهم لسلوكهم حسب الروح: بل إن النتيجة المنطقية للكنيونة في المسيح هي السلوك حسب الروح. وكثيراً ما يفصل خطأ بين المقام والحالة فصلاً بعيداً - وهذا أمر لم يكن بولس ليفهمه. وهذه الترجمة توافق تماماً وحدة الخلاص بصيغة الخبر والخلاص بصيغة الأمر. فليس الأمر إذن أمر خلاص بالأعمال، بل أمر تغيير الحياة بوصفه النتيجة الطبيعية للخلاص.

في يوم من الأيام سيضطّر كل إنسان إلى أن يقف في حضرة الأزلي. هذا هو يوم الغضب ويوم استعلان دينونة الله العادلة (ارومية 2: 5). في ذلك اليوم سيدين الله سرائر الناس (ارومية 2: 16). وجميعنا سنقف أمام كرسي الله، وكل واحد سيعطي عن نفسه حساباً (ارومية 14: 10). ومتى جاءت تلك اللحظة، فنحن في المسيح. لقد جعلنا أبراراً منذ الآن، بحيث لا نحتاج إلى أن نخاف تلك اللحظة. لا محاكمة قضائية تنتظرنا. فالدينونة قد تمت فعلاً. غضب الله (ارومية 1: 18) لا يصيبنا، فنحن متبررون بدم المسيح، وسنخلص به من الغضب (ارومية 5: 9).

بالإيمان ندرك الآن مقامنا الخلاصي في المسيح. أما في ذلك اليوم فسيُستعلن، وحينئذ يصير واقعاً مُختبراً ومنظوراً: براءة كاملة وقبول بوصفنا أولاداً هناك عند عرش الله! حينئذ نكون قد انتقلنا من الإيمان إلى العيان.

لقد نقلنا الله إلى المسيح (1 كورنثوس 1: 30). وهذه هي الحماية المطلقة من دينونة الله، ولكنها في الوقت نفسه بداية حياة جديدة كلياً في القائم من الأموات. ولهذا الموضوع، الذي يعالجه هو خصوصاً، يستعمل بولس عبارة «أن نكون في المسيح».³⁸ وهذا هو قلب الإيمان المسيحي، أوثق اتحاد بالمسيح الذي هو الآن على عرش الله. ولا يتضمن المقام الحقوقي (القضائي) للمؤمن أمام الله الآن أقل من ذلك، وهذا يسري كذلك تماماً على جو حياته الجديد الذي نقل إليه الآن. وهذا يصف مقامه، كما يصف تبرير حياته وديناميكيتها. «أن نكون في المسيح» يعني «أن نحيا في المسيح». وقد شبه أ. ت. بيرسون (A. T. Pierson) كلمتي «في المسيح» بمفتاح صغير يستطيع أن يفتح قفلاً ضخماً في بوابة كبيرة لقصر. ففي المسيح قد أتى بنا حتى عرش الله. وهناك نحن مقبولون في المحبوب، ابن الله.

ليس الأمر أمر الشعور، ولا أمر الجهد الذاتي، إن أراد المرء أن يصل إلى المقام الجديد («في المسيح»). لا يحتاج المسيحي إلى أن يجتهد لكي يبلغ هذا المقام. فهذا سيكون كما لو أن أحداً موجود في غرفة، ومع ذلك يحاول مرة بعد مرة أن يدخل إلى هذه الغرفة، كما شبه ذلك واتشمان ني (Watchman Nee).

38. يرد هذا المصطلح والتعابير المشابهة التي تميز اتحادنا بالمسيح أكثر من 190 مرة في العهد الجديد.

7.4 الآية 2: مُحَرَّرُونَ بناموس روح الحياة

لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت.

ماذا يجد المؤمن في المسيح يسوع، في «بيته الجديد»؟ بماذا صار له نصيب الآن إذ هو في المسيح؟ هناك يصير شريكاً في كل قوة الحياة التي يملكها المسيح في القيامة.

يوضع ناموسان - أو قانونان - أحدهما مقابل الآخر. فإحدى القوتين تعمل للموت، والآخرى للحياة. مَنْ هو متحد بالمسيح يستطيع أن يغلب الخطية والموت. لقد كسر أحد الناموسين الآخر، لأنه أقوى. ليس الأمر أمر تعايش ناموسين جنباً إلى جنب، بل أمر الانتصار في المسيح. وهذا ينبغي أن يصير اختبار المسيحي العملي تماماً، وهو ما يشرحه بولس أيضاً في ما يلي. ولكن لا بدّ أولاً من أن يُحَرِّز الانتصار، لكي يستطيع المرء أصلاً أن يطالب بناموس روح الحياة هذا. ليس على المسيحي أن يخوض هذه المعركة، فأخر قد أحرز له هذا الانتصار: المسيح.

لقد شُبّه ناموس الخطية والموت بقانون الجاذبية. وهذا القانون يتغلّب عليه الطائر بقانون الديناميكا الهوائية. فالطائر لا يسقط على الأرض، بل يطير إلى حيث يشاء. والطيّران قدرة خاصة به بالطبيعة، من دون أن يبجد نفسه لأجلها جهداً مستميتاً. وكونه يكسر بذلك قانون الجاذبية أمر لا يعيه. إنه يفعل ما خُلق لأجله. وهكذا حرّر ناموس روح الحياة هذا المسيحي، وهو يعمل فيه باستمرار. إن الروح القدس هو الذي يهب هذه الحرية ويحفظها حية. ويسمح للمسيحي أن يكون واثقاً من فاعلية هذا الناموس، وينبغي - كما عند الطائر - أن يكون ذلك بالنسبة إليه الأمر الطبيعي.

الأصحاح الثامن يتناول بالدرجة الأولى الروح القدس، بينما يتناول الأصحاح السابع «الأنا» البشرية الخاصة. الروح القدس، روح المسيح، هو روح الحياة. في آدم وفي كل نسله عمل ناموس الخطية والموت. أما في المسيح فيعمل الآن، بقوة أعظم بما لا يقاس، الروح وحياة القائم من الأموات.

7.5 الآية 3: الله يحلّ مشكلة الخطية على الجلجثة

لأنه ما كان الناموس عاجزاً عنه، في ما كان ضعيفاً بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه (مثال) جسد الخطية، ولأجل الخطية، دان الخطية في الجسد ...

لم يكن الناموس قادراً على أن يحلّ مشكلة الخطية، ولا على أن يعطي حياة وقوة لحفظه والعيش بموجبه. لم يكن يستطيع أن يحسن الإنسان أخلاقياً أو أن يجعله جديداً. فالجسد (أي الديناميكية الطبيعية، ولذلك الخاطئة والدينية، لنسل آدم) كان ضعيفاً وعاجزاً. ولكن الله حرك كل شيء، لأنه رحيماً ورؤوفاً. فما لم نستطع نحن أن نفعله، فعله هو. فها من كلمة محررة تسري في هذا السياق خصوصاً على الذين لا يزالون يريدون أن يفعلوا شيئاً بأنفسهم، ويضعون أنفسهم تحت إكراه الفعل والوجوب!

7.5.1 الله يصير إنساناً

هذا ما فعله الله. وهذه هي النهاية القاطعة لكل ما يستطيع البشر أن يفعلوه أو يريدون أن يفعلوه. الله يصنع العظيم، ما لا يمكن تصوّره: لقد أرسل ابنه الوحيد. لم يرسل ملائكة ولا إنساناً. لقد بذل ابنه الذي تربطه به محبة غير محدودة وشركة أبدية. الله الابن صار إنساناً. لم يولد في «جسد الخطية»، بل أرسل في «شبه» جسد الخطية. لقد صار مثل البشر، ولكن بلا خطية. بلا خطية، ولكنه أرسل لأجل الخطية. كانت مهمته الإلهية أن يصير ذبيحة عن الخطية. وعبرة «لأجل الخطية» تُستعمل كثيراً في العهد القديم لذبحة الخطية. وهذه الذبيحة تحديداً كان ينبغي أن يصيرها، لأن كل الذبائح حتى ذلك الحين لم تكن تستطيع أن تكون إلا تذكيراً بالخطية! وكونه سيصير هذه الذبيحة الفريدة عن الخطية، أمر كان يعيه في كل لحظة من حياته الخالية من الخطية.

الكلمة صار جسداً، ولكن بلا خطية. كانت الخطية في جميع البشر، وكانها يدعى «الخطية في الجسد». أما يسوع فلم يسر عليه إلا أنه كان في الجسد (في الوجود الإنساني) بلا خطية. وكان هذا هو الشرط الضروري الذي لا مساومة عليه لكي يستطيع أن يصير لأجل الآخرين الذبيحة عن الخطية.

إن عبارة «شبه جسد الخطية» تتضمن من جهة التأكيد أن الله الابن صار إنساناً حقاً (ف«الشبه» يعني هنا أكثر من «المشابهة»، لأنه لولا ذلك لجاز الشك في ناسوته الحقيقي). ومن جهة أخرى تتضمن العبارة أن ناسوته لم تكن الخطية قد استولت عليه كما عند جميع البشر.

7.5.2 الجليئة

لقد حدث ما يفوق الإدراك: دان الله (حكم على) «الخطية في الجسد»، واتخذ لذلك ابنه ذبيحة خطية. وهكذا نفذ الله فيه حكم الدينونة على الخطية. لقد أخذ المسيح على نفسه كياننا الخاطئ (جعل نفسه ما كُنا عليه)، وعرض نفسه لدينونة الله المقدسة عوضاً عنا. الله لم يُشفق على ابنه (8: 32)! وفي الأصحاح 6: 6 يقول بولس الشيء نفسه: نحن مصلوبون معه. وفي الأصحاح 7: 4 يصف ذلك بكلمات أخرى («أُميمت بجسد المسيح»). على الصليب جرت المحاكمة ضد الخطية، ونفذ حكم الموت. لقد أخذ المخلص على عاتقه الدينونة والموت معاً، بوصفهما أجرة الخطية، نيابةً عنا!

مع أنه الابن الأزلي لمحبه، عامله الله على الصليب بوصفه أعظم الخطاة - بوصفه ذاك الذي وضعت عليه كل خطية البشرية. لقد أصاب غضب الله بلا شفقة ذاك الذي كان قدوساً وباراً ويغض الخطية. لقد جعل خطية (وذبيحة خطية) لأجلنا (2 كورنثوس 5: 21). وهذا الحدث يشمل أهلك الساعات في تاريخ البشرية. والظلمة الكونية غير العادية التي سادت في ذلك اليوم من الساعة الثانية عشرة ظهراً حتى الساعة الثالثة بعد الظهر تشهد لهذا السر. لم يكن أحد يستطيع أن يكون شاهداً على ما حدث. الله يضرب ابنه الناص، الذي بلغ جسدياً نهاية قوته، ولكنه يلاقي الله القدوس بوعي كامل. ثم يسلم حياته إلى الموت. ويصرخ المخلص في الكون بأهم كلمات قيلت على الإطلاق: «قد أُكِّل».

وهكذا نفهم أنه لا يمكن بعدُ أن تكون هناك دينونة للذين هم في المسيح يسوع. لقد أخذها هو على نفسه. لقد أسلم نفسه لقداسة الله وبره المطلقين، إذ حمل نفسه ما كُنا عليه بالطبيعة (كل سمات مقامنا «في آدم»)، كأنه هو المسؤول عنه. كل ما استحقته أخذه عني. لقد كانت ذبيحة إلهية، وهي تسري على كل الذين هم الآن في المسيح. هذا هو جواب الله على فشلنا وخطيتنا وعجزنا عن خدمة الله. لقد وضع تبريرنا من خطايانا ومن الخطية على أساس عادل عدلاً مطلقاً، ولذلك لا يمكن الطعن فيه. لقد استوفي مطلب الله. فلكي يُخلق الجديد، كان لا بد من دينونة القديم: كان يجب أن تُدان الخطية في جسد يسوع (في الكلمة الذي صار جسداً) بحسب مقاييس الله الخاصة، وفي انسجام مع برّه وقداسته

ومجده. وبذلك تَجَدَّ الله من كل ناحية، واستوفيت مطالبه استيفاءً كاملاً. والبرهان على ذلك هو إقامة يسوع وتوبيجه على العرش. لقد وجد الله راحة كاملة في عمل الفداء الذي عمله ابنه.

ولكن لنتنبه إلى ما هو هدف هذا الفعل الخلاصي:

7.6 الآية 4: ناموس الله يُتَمَّم الآن رغم كل شيء

... لكي يتمَّ حكم الناموس فينا، نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.

إن الخلاص بموت يسوع الذي يَكْمُل يصبُّ الآن في حياتنا العملية، في سلوكنا. فهدف الخلاص هو أن يُتَمَّ الناموس الآن رغم كل شيء (خلافاً للأصحاح 7) على يد المسيحي. هذه الآية هي الجواب على رومية 7! فبعد دراسة الأصحاح 7 بقي السؤال: ألن يتجاوز ناموس الله أبداً وظيفة كشف الخطية فقط؟ فيما أن ناموس الله عادل وصالح صلاحاً مطلقاً، فسيكون ذلك بمثابة هزيمة لله لو لم يستطع أحد - سوى يسوع بالطبع - أن يتمَّه. وهكذا هو الأمر: الآن يتمُّ الذين هم في المسيح الناموس. فطلب الناموس يتمُّ الآن فيهم، وذلك بروح الله.

ليس الكلام هنا عن كل وصية من وصايا الناموس الموسوي. فمشكلة الإنسان في رومية 7 لم تكن الناموس الطقسي، بل الجزء الأخلاقي من الناموس الموسوي. وهو يربط معضلة وضعه بآخر الوصايا العشر (وهي وصية ذات طابع أخلاقي): «لا تشته!» (7: 7)؛ خروج 20: 17؛ قارن ثنية 5: 21). فبالوصايا الأخلاقية تظهر الخطية (انظر أيضاً يعقوب 2: 11-8). والاشتهاء، أي لذة الشهوة غير المشروعة (أيأ كان موضوعها)، أمر يواجهنا كل يوم ويبدأ في قلبنا.

هذه الوصية يتمُّها الآن المؤمن بقوة الروح القدس. فهو يستطيع بذلك أن يقاوم الشهوة وأن يغلبها. بل أكثر من ذلك، سيلاحظ ما يلي: إن سلك عن وعي طريق الروح، فإن الشهوة تفقد بالنسبة إليه جاذبيتها أكثر فأكثر. لم يعد يريد أن يمتلك ما هو غير حق وما هو للآخرين - أي ما هو (بحسب المقاييس الأرضية) أكبر وأجمل وأفضل.

إن الأخلاق «الجديدة» عند بولس، أي «جِدَّة الروح» (7: 6)، لا تقوم على قواعد أو نواميس قديمة أو جديدة. بل إننا بقوة الروح نعيش منذ اليوم حياة المستقبل - حياة تعبّر عن طبيعة الله نفسها، كما عرفناها في المسيح يسوع. ومقياس هذه الحياة ليس الناموس الموسوي، بل ناموس المسيح (غلاطية 6: 2)، الحق الذي في المسيح (أفسس 4: 20-22)، والذي تلقاه في كل العهد الجديد. وبالطبع لا يمكن أن يتناقض ناموس المسيح والناموس الموسوي أبداً، لأنّ لهما المصدر نفسه والواضع نفسه. فجوهر ناموس موسى هو المحبة، وهي كذلك أيضاً محور ناموس المسيح. ولكن المحبة في الناموس الأخير تذهب أبعد بكثير: فالمسيح نفسه ومحبته هما المقياس.

7.6.1 الناموس الموسوي وسريانه

يجب أن نتميّز بين «ناموس الله الأخلاقي الأبدي»³⁹ وبين الناموس الموسوي المحدود زمنياً في سريانه. فناموس الله الأخلاقي الأبدي هو المعيار المطلق لما هو حقّ وما هو باطل أمام الله. إنه تعبير عن طبيعة الله المقدّسة التي لا تتغيّر تجاه الإنسان. وناموس الله الأخلاقي كان موجوداً دائماً، لأنّه مطالب طبيعته الأبدية. ويستطيع البشر أن يعيشوا في انسجام مع ناموس الله الأخلاقي المطلق من دون أن يكونوا تحت الناموس الموسوي.

وهذا الوضع الجديد تحديداً هو ما يشرحه بولس هنا. فالمسيحي محرّر من الناموس الموسوي في ما يخص طريق الخلاص، وكذلك مقياس الحياة. ولكنه لذلك ليس أبداً «بلا ناموس». إنه الآن خاضع للمسيح خضوعاً شرعياً (1 كورنثوس 9: 21)، وهناك تسري على الأقلّ القواعد كما هي متضمّنة في الجزء الأخلاقي من الناموس الموسوي.⁴⁰ إن «ناموس المسيح» (غلاطية 6: 2) بوصفه ناموس روح الحياة (8: 2)، ووصية المحبة (الجديدة) (يوحنا 13: 34؛ 15: 12 وغيرهما)، يرتبطان حقاً بالناموس الموسوي ولا

39. Ernst G. Maier، *Die biblische Lehre von den Heilszeiten*، Hünfeld، 2007، ص. 80 وما بعدها. إن مصطلح «ناموس الله الأخلاقي الأبدي» لا يرد في الكتاب المقدس، كما لا ترد فيه مصطلحات لاهوتية أخرى (الثالث، الطبيعة القديمة والطبيعة الجديدة وغيرها)، ولكنه مفيد لوصف حقيقة تكلمية وصفا موجزا ودقيقاً.

40. الوصايا العشر في العهد الجديد: باستثناء وصية السبت، فإن الوصايا التسع الأخرى (الأخلاقية) كلها لا تتكرّر في العهد الجديد فحسب، بل تُشدد و/أو تتحول من نهى إلى وصية إيجابية! الوصية الأولى: 1 كورنثوس 8: 4-6؛ الوصية الثانية: 1 كورنثوس 10: 7، 14؛ الوصية الثالثة: كولوسي 3: 8؛ الوصية الخامسة: أفسس 6: 2؛ الوصية السادسة: متى 5: 22؛ 1 يوحنا 3: 16؛ الوصية السابعة: متى 5: 28؛ أفسس 5: 25؛ الوصية الثامنة: أفسس 4: 28؛ 1 يوحنا 3: 17؛ الوصية التاسعة: أفسس 4: 25؛ الوصية العاشرة: أفسس 5: 1 تيوتوثاوس 6: 10 وغيرها.

يناقضانه في أيّ موضع، ولكنهما يذهبان أبعد بكثير. فالآن صار المؤمنون متمثّين بالله وبالمسيح. والقاعدة هي: اسلكوا في المحبة، في محبة المسيح التي بذلت نفسها حتى الموت (أفسس 5: 2)؛ وهذا أكثر من ناموس. فالناموس الموسوي يتخلّف هنا، إن صحّ التعبير، ولا يعود يستطيع أن يلحق بالمعيار الجديد في ضوء إعلان ابن الله وعمله الفدائي. هذا تعبير عن علاقة، هذا هو التبنّي، هذه هي القيادة الفردية، هذه هي خليفة جديدة (غلاطية 6: 15-16).

إن إعلان مبادئ الله الأخلاقية الأبدية وتطبيقها يتغيّران في الأزمنة المختلفة من تاريخ الخلاص. ومع أن الناموس الموسوي قد فقد سريانه، فإن مبادئ الله الأخلاقية الأبدية التي يعبر عنها في ناموس موسى تبقى قائمة. فنحن نجدها من جديد في ناموس المسيح. ويعطي بولس مثلاً على ذلك في رومية 13: 8-10. فوصية الحياة الجديدة تقوم على أن نحُب بعضنا بعضاً. وبذلك نتم أيضاً الناموس الموسوي، لأن المحبة هي خلاصة الناموس (غلاطية 5: 14-15؛ 1 تيموثاوس 1: 5-11؛ متى 22: 34-40). وهذه الخلاصة، أي المحبة، توافق أيضاً ناموس المسيح.

المسيح هو من جهة نهاية الناموس الموسوي، ولكنه أيضاً هدفه وتتميمه (رومية 10: 4). لقد كان الوحيد الذي حفظ الناموس الموسوي حفظاً كاملاً. ولكن في الإنسان يسوع المسيح يُكشَف فوق ذلك ناموس الله الأخلاقي الأبدي كشفاً كاملاً. فالمسيح، بوصفه الكلمة الأزلي (يوحنا 1: 1-3)، هو في شخصه التعبير الكامل عن مشيئة الله وناموسه. و«ناموس المسيح» يشمل إعلاناً كاملاً لناموس الله الأخلاقي الأبدي، وهو بوصفه كذلك يفوق ناموس العهد القديم. لذلك لم يعد مقياس المسيحي الآن حرف الناموس الموسوي، بل شخص: المسيح نفسه مكتوب بالروح في قلوبنا.

وبعبارة أخرى: تدخل وقائع العهد الجديد حيّز التنفيذ. فالناموس يُغرَس في القلوب (أي في مركز الإرادة والقرار في الإنسان)، لكي يستطيع المعنويون أن يعيشوا بحسب هذا الناموس من الداخل بقوة الروح القدس. وهذا الناموس لا يجسّده أحد سوى المسيح نفسه (عبرانيين 8: 10؛ 10: 16؛ 2 كورنثوس 3: 6، 18؛ إرميا 31: 31-34؛ 32: 40؛ حزقيال 36: 24-27).

7.7 الآية 5: أن نكون حسب الجسد أو حسب الروح

فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح.

لا يكفّ بولس عن أن يمدّ في ما يلي الخطّين اللذين بدأهما في رومية 5: 12. إنه لا يكتب في السياق الحاضر عمّا إذا كان المسيحي يعيش حياة روحية أو جسدية. فهو لا يزال معنياً بالتمييز المبدئي. «أن يكون المرء حسب الجسد» يعني أنه لا يزال ينتمي إلى عائلة آدم. أما «الذين هم حسب الروح» فهم «في المسيح». ومع ذلك فليس أي من المقامين أمراً مجرداً. فالحياة والتفكير والعمل تطبع بطابع - إما الروح وإما الجسد. الجسد يطبع غير المؤمن بطابعه، والروح يطبع المؤمن.

الجسد هو الكيان الخاطئ للإنسان - أي ما صار إليه في وجوده كله وفي غلط حياته بسبب الخطيئة الساكنة فيه. غير المؤمن «جسد» (يوحنا 3: 6). إنه يحيا من الجسد وبحسب الجسد، وهو متّجه إلى نفسه وإلى ما هو دنيوي. ولا يستطيع أن يكون غير ذلك، حتى لو أراد. إنه محكوم بجسده. وإرادته وتفكيره وعمله تُسم بدنياميكية ما هو دنيوي ومنظور وعالمي.

أما المسيحي فهو «حسب الروح». وهذا يعني أن الروح قد خصّص له الخلاص، وأنه يستمدّ من هناك أصله الجديد: المولود من الروح هو روح (يوحنا 3: 6). وبناءً على ذلك ينتج اتجاه جديد للحياة، واهتمامات جديدة، ونظرة إلى ما هو أبدي وسماوي.

7.8 الآيتان 6-7: الموت والحياة، العداوة والسلام

لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام، لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعاً لناмос الله، لأنه أيضاً لا يستطيع.

لا يمكن أن يكون الفرق أوضح من ذلك. فاهتمام الجسد (توجّهه الفكري) يحمل في ذاته الموت، أي الزوال والفساد. والإنسان الذي لا يزال في الجسد لا يدرك ذلك. إنه يظنّ أنه يستطيع أن يعيش حياة يقرّرها بنفسه، ولكن الخطيئة تتلاعب به. إنه لا يلاحظ أن هذه الحياة تقود إلى الموت (الجسدي والأبدي على السواء). إنه يعدّ الموت، مع أنه يخافه، أمراً طبيعياً، ولا يرى هذه العلاقة بين الجسد والموت.

أما روح الله فيُحدث الحياة والسلام. وهذه الحياة ليست حياة بيولوجية، بل حياة روحية، أي حياة أبدية. والسلام مع الله هو أساس هذه الحياة الجديدة. والسلام هو ما يتوق إليه جميع البشر، ولكنه لا ينال إلا بقوة الروح القدس. والحياة في الروح تُسم بهذا السلام؛ إنه سلام يجعل المؤمن يستريح بثقة في يد الله. ويشرح بولس في رسائله التعليمية كيف تظهر هذه الحياة الروحية وهذا السلام في وجودنا الإنساني. أما هنا فلا يزال يقف عند المقابلة المبدئية التي تبدو مجردة.

إن كان الجسد الخاطئ ليس أمراً سلبياً خاملاً. فهو قائم، حتى وإن لم يدرك على هذا النحو، في عداوة لله. الجسد يرفض الناموس. وسلطان الله عدو بالنسبة إلى الجسد. ومن طبيعة الجسد أن يطرد الله من الحياة. الجسد عاجز عن حفظ ناموس الله وغير راغب في ذلك. وهذا يسري على المسيحي أيضاً. فجسده، أي طبيعته الجسدية القديمة التي لا تزال فيه حتى في المقام الخلاصي الجديد، يتصرف على النحو نفسه تماماً (إن أعطي الحرية لذلك)، ولا يستطيع هو أيضاً أن يحفظ الناموس. فالجسد فينا أيضاً عداوة لله. ولكننا لسنا «في الجسد»، كما تبين الآية التالية:

7.9 الآيتان 8-9: أن نكون في الجسد وأن نكون في الروح

فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يُرضوا الله. وأما أنتم فلستم في الجسد بل في الروح، إن كان روح الله ساكناً فيكم. ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح، فذلك ليس له.

يقصد بعبارة «أن يكون في الجسد» ما يكونه الإنسان بالطبيعة بوصفه من نسل آدم. فحياته، في كل ما هو عليه وفي كل ما يفعله، تتشكل بذلك وتتحدد به. إنه عنصر حياته، كما أن الماء عنصر حياة السمكة. ويقول بولس: لا بد أن يكون واضحاً بلا أدنى شك أن الإنسان في الجسد لا يستطيع أبداً أن يُرضي الله، ولا حتى بالاستعانة بالناموس.

لم يعد المسيحي «في آدم»، بل «في المسيح»، وهذا يُعادل هنا بحقيقة أنه «في الروح». فيما أن روح الله يسكن في كل مؤمن، فهو أيضاً «في الروح» منذ أن امتلكه هذا الروح. وإن كنا في الروح، فتحن في شخص الروح القدس، كما أننا في شخص المسيح. وهذا الشخص الإلهي، روح الله، يسكن فينا كما يسكن المسيح فينا. ويرتّب على ذلك أن حالتنا توصف الآن بأنها «في الروح». نحن «في المسيح»، ونحن «في الروح القدس». وبعبارة أخرى:

نحن في الله (كولوسي 3: 3؛ 1 تسالونيكي 1: 1؛ 2 تسالونيكي 1: 2؛ 1 يوحنا 4: 15-16؛ يهوذا 1). هذا هو «بيتنا» الجديد، وجو حياتنا الجديد، المملوء حياةً ونعمةً وسلاماً وبراً. «أن نكون في الروح» يعني أن روح الله يصنع من الآن فصاعداً ثمره فينا، ويوجه الفكر أو الاهتمام. فهذا الروح لا يعمل بطريقة مختلفة عن يسوع المسيح الذي نقلنا إليه، ولا مستقلاً عنه. لذلك يسمى الروح نفسه أيضاً «روح المسيح». المسيح هو المركز والهدف في هذه الحياة الجديدة، وروح الله يحرص كل الحرص على أن يعظم المسيح في حياتنا. إن لم يكن للمسيح مكانه في حياة المؤمن، ولم يكن هذا الشخص يحبه، فلا يمكن أن تكون النتيجة إلا أنه ليس له. هذه دعوة إلى فحص النفس، لئلا يطمئن أحد إلى أمان زائف.

يشبه روح المسيح هنا الختم الذي يرمز إلى من يكون المرء ملكاً له. ومع أن الختم بالروح القدس لا يذكر هنا (قارنوا أفسس 1: 13)، فإن الإشارة إلى الملكية (أي حقيقة أن الضمير «له» يستعمل بمعنى الانتماء إلى المسيح) تلح إلى هذا الجانب.

7.10 الآيتان 10-11: روح الله وخلص بدننا

وإن كان المسيح فيكم، فالبدن ميت بسبب الخطية، وأما الروح فحياة بسبب البر. وإن كان روح الذي أقام يسوع من الأموات ساكناً فيكم، فالذي أقام المسيح من الأموات سيحيي أبدانكم المائتة أيضاً من أجل روحه الساكن فيكم (أو: بروحه الساكن فيكم).

7.10.1 مقامنا الخلاصي – الخلاص بصيغة الخبر – «منذ الآن»

- نحن في المسيح يسوع.
- نحن في الروح.
- نحن حسب الروح.
- الروح القدس فينا.
- لنا روح المسيح.
- المسيح فينا.

ثمة توافق لافت بين المسيح والروح. إنهما شخصان مختلفان، ولكن لهما هدف واحد. ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك في اللاهوت، في ثلوث الآب والابن والروح القدس. لقد كان الإله المثلث الأقانيم عاملاً في خلاصنا، وهو عامل أيضاً الآن في تقديسنا!

7.10.2 أن نحيا وأن نموت

يأتي الكلام على الموت مراراً وتكراراً في الأصحاحات 5 إلى 8. وفي المقدمة يقف الموت الجسدي، ولكن لا يمكن فصله عن الموت الأبدي (نتيجة حكم الدينونة الإلهي). فجسمنا لا يزال واقعاً تحت هذه النتيجة للخطية. ومن الواضح أن بولس يميز هنا بين الجانب الداخلي - المسيح فيكم - والجانب الخارجي، أي البدن. فهذا البدن ميت (محكوم عليه بالموت، في طريقه إلى الموت) - بسبب الخطية. ولكن هذا لا ينطبق على الجانب الداخلي، لأنه في يد روح الحياة. فخلاص الله يحدث أثره أولاً في الجانب الداخلي من الإنسان. ولا يوصف هذا الجانب الداخلي وصفاً أدق (مثلاً باستعمال كلمتي «النفس» أو «الروح»)، بل يُشار إليه فقط بالضمير الشخصي «فيكم». والروح المذكور هنا ليس في هذا السياق الروح البشري، بل الروح الإلهي. فهو الذي أحدث الحياة بناموس روح الحياة (8: 2).

وكما أن الخطية مسؤولة عن الموت، كذلك برّ الله مسؤول عن الحياة عند المؤمن. فالبرّ هو أساس الحياة الجديدة. إن عمل البرّ الواحد الذي عمله يسوع المسيح قاد إلى تبرير الحياة (5: 18)؛ لقد وُضعنا في مقام الأبرار (5: 19).

ما زلنا في البدن الذي لا يختلف في جوهره عن جسم غير المؤمن. وكون المسيح فينا لا يحدث في الحياة الأرضية أثراً في البدن. فالبدن لا يصير بذلك خالداً منذ الآن. ولكن هذا الوضع مؤقت فقط، لأن قوة القيامة التي في المسيح ستشمل البدن أيضاً. فالإنسان كله بوصفه وحدة كاملة هو هدف الخلاص الإلهي. ولا يتعلق الأمر بـ«خلاص النفس» فحسب، بل بالأحرى بإعادة الخليقة الأصلية إلى حالها.

بل إن هذا أيضاً قاصر عن الإحاطة بالأمر، لأن الخلاص لا يُعيد فقط الحالة الأصلية لآدم المخلوق على صورة الله، بل سيُغيّرنا إلى صورة ابنه (8: 29). فسيأتي اليوم الذي نكون فيه مثله، مثل يسوع (1 يوحنا 3: 2). ولن نلبس في ذلك اليوم صورة «التراي»

بعدُ (صورة آدم)، بل صورة السماوي، أي المسيح (1 كورنثوس 15: 49). وستُظهر القيامة أن الله، لمجده الخاص وخلصنا، قد غلب جميع عواقب الخطية.

7.10.3 روح الله والبدن

روح الله الساكن فينا هو السبب في أننا سنُقام يوماً ما. فهذا الروح يسكن في بدننا، وقد أخذ بدننا في عهده. لقد صار بدننا هيكل الروح القدس، والبدن ملك للروح (1 كورنثوس 6: 19)! الروح هو الضمان لقيامتنا المستقبلية من الأموات. وسبب الإقامة المستقبلية هو أن الروح يسكن فينا الآن، ونحن نعيش في بدننا الأرضي. فالروح يريد أن يسكن ثانيةً في هذا الهيكل، لأنه اضطرّ، بعد أن حلّ الموت الجسدي، أن يتركه إلى حين. يقول الرب يسوع إن الروح سيمكث معنا إلى الأبد (يوحنا 14: 16)؛ وسيسكن أيضاً في بدن قيامتنا. ومن المهم أن نرى هذه الصلة بين الروح و**بدننا**، لأننا كثيراً ما نربط هذا الروح بروحنا البشري فقط.

الروح القدس هو من جهة **سبب** إقامة أبداننا، ولكنه سيكون أيضاً **أداة** الله لإقامة أبداننا.

7.10.4 لماذا لسنا خالدين منذ الآن؟

ألم يكن في وسع الله أن يمنح بدننا الخلود منذ الآن مع خلاصه؟ لماذا يمرض أحياناً ويمتاز الموت (إن لم يأت المسيح قبل ذلك)؟ يبدو أن الجواب هو الآتي: لله خطة للعالم. وهدفه خليفة جديدة. وقد بدأت هذه الخليفة فينا؛ فنحن (المؤمنين) منذ الآن جزء من الخليفة الجديدة، وإن صحّ التعبير «استباق» لها، باكورة. لقد بدأ الدهر الجديد فينا: «منذ الآن» وفي الوقت نفسه «ليس بعد» - هكذا يمكن وصف وضعنا المؤقت في الطريق إلى الاكتمال.

لنتصور أننا خالدون منذ الآن. عندئذ كان كل واحد سيرغب في أن يصير مسيحياً لهذا السبب وحده، لكي يصير خالداً هو أيضاً. ولكن الله يرسل البشارة لكي يتوب الناس ويؤمنوا. لا يُطرح هذا السؤال في هذه الرسالة طرْحاً مباشراً، ومع ذلك يتناول بولس في هذا الأصحاح نفسه مسألة الآلام والضيقات وفداء بدننا. نحن نعيش في توتر «منذ الآن -

وليس بعدُ»، وهو أن البدن لا يزال خاضعاً للأمراض والموت، أما نحن فقد نلنا البركة الكاملة للفلاص، وهي مذاق مسبق للأبدية. وعن السؤال المطروح في عنوان هذا القسم تجيب رومية 8: 24: لقد خلصنا على رجاء (قارنوا نصّ ER). ولكن الرجاء المنظور (مثلاً في صورة البدن الخالد) ليس رجاءً.

8. رومية 8: 12-17: الخلاص بصيغة الأمر - الحياة في النصرة

لا ينتهي خلاص الله بتسجيل اسمنا في سفر الحياة، بل يمتد أثره مباشرة إلى الحياة اليومية. هناك يصير الخلاص مرثياً. فالحياة الجديدة لا تتضمن «علاقة خدمة» جديدة فحسب (من عبودية إلى أخرى)، بل تتضمن قبل كل شيء «علاقة محبة»: لقد تبنا الله، فصرنا بذلك أولاد الله. وبهذه الصفة نحن الآن في الطريق عبر خليقة ساقطة وعالم معاد. وسيبقى الأمر كذلك إلى اليوم الذي تتغير فيه أبداننا. ويحدث هذا بالقيامة (للاقدين في المسيح) أو مباشرة (بتغيير الذين يكونون أحياء حينئذ) - وذلك عند مجيء يسوع. عندئذ يكتمل تبنيّا أخيراً (8: 23)، ونبغ المجد العتيد (8: 18).

لا يشكك بولس في خلاص أهل رومية. إنه يخاطبهم بوصفهم إخوة يؤكد لهم روح الله أنهم أولاد الله. ونحن كذلك إلى الأبد، لأن المستقبل سيظهر، ويجب أن يظهر، ما ندرکه الآن بالإيمان وحده (ولا نراه بعد). وحين يتكلم الآن (كما في جميع رسائله) عن «إن» وعن «ف»، ويستعمل في ما يتعلق بالخلاص جملاً شرطية⁴¹، فإنه لا يقول ذلك ليزعزع ثقتهم. فهو لا يعبر بذلك لا عن شك ولا عن يقين. بل يدعوهم إلى أن يطرحوا على أنفسهم أسئلة ناقدة للذات: ما حالي أنا؟ هل لي الروح؟ هل أنا في الطريق الصحيح؟ وهو يفترض ضمناً أنهم سيجيبون عن هذه الأسئلة بنعم. إنها تحذيرات تدعونا، رغم يقين الخلاص، إلى أن نصير ما نحن عليه. علينا أن نحيا الحياة التي نلناها من الله. وهذه التحذيرات غايتها أن نبلغ الهدف. إنها توجه نظرنا إلى «ليس بعد» - إلى الأمام، إلى مجد الله نفسه، حيث سنكون في بيتنا.

8.1 الآية 12: لم نعد مديونين للجسد

فإذا أيها الإخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد.

إنه التزام على جميع الذين هم في المسيح يسوع ألا يعيشوا بعد حسب الجسد. لقد وصف بولس الجسد، أي الكيان الخاطئ، في مقابل الروح وصفاً واضحاً بما فيه الكفاية. وادعاء الجسد ملكيتنا قد صار من الماضي: لقد حررنا. والجسد بوصفه جزءاً من كياننا البشري لم

41. أي جمل الشرط.

يَنْزَعُ، بل جَرَّد من فاعليته. ولا يجوز له أن يتحكَّم في حياتنا بعدُ. لذلك يستحيل أن نكون بعد ملزمين لهذا الجسد بأي شكل من الأشكال. أما الجسد فيتصرف كأنا مديونون له، أي ملزمون له، كما كان الحال قبل التوبة. والتنبيه الموجه إلى الإخوة ضروري لأننا نبقى عرضة للتجربة: فنحن نجسّد أولئك المعرضين لتجربة الجسد إلى آخر يوم لهم في البدن.

فهل نحن إذن مديونون للروح؟ لا شك أننا كما نتوقع أن يُكَلِّم بولس الجملة على هذا النحو. ولكنه بدلًا من ذلك يصف كيف تنتهي الحياة حسب الجسد، وكيف تبدو الحياة بقوة الروح:

8.2 الآية 13: حياة أو موت

لأنه إن عشتُم حسب الجسد فستموتون (فلا بدّ أن تموتوا)، ولكن إن كنتم بالروح تُميتون أعمال البدن فستحيون.

كلمات بولس خالية من الزخرفة. والتحذير واضح: إن عشتُم، أيها الإخوة، حسب الجسد، فستموتون. فطبيعة الجسد، أي العداوة لله، تبقى بلا تغيير، حتى عند المؤمن. «العيش حسب الجسد» هو وصف للناس الذين هم في الجسد (8: 5-8). وهذا تحذير غايته أن يحمي من خداع النفس. فإن عاش أحد حسب الجسد، فثمة احتمال أن يكون في الجسد - أي على الطريق الرحب الذي يؤدي إلى الهلاك الأبدي. ولكن هذا التحذير موجه هنا إلى إخوة (حقيقيين)! ورغم أن بولس واثق من خلاصهم ولا يشكّك فيه، فإنه يطلق التحذير: لا تعيشوا حسب الجسد، لأن ذلك يجلب الموت! وهو يقصد في هذا السياق الموت الأبدي.

8.2.1 المواعيد والتحذيرات والخلاص الأبدي

يوحى هذا التحذير الموجه إلى الإخوة بإمكانية تُتصوّر لفقدان الخلاص. فهل هذا هو الاحتمال الذي يضعه بولس في حسابه بهذا التحذير؟ لا أظن ذلك. فإشارات المرور تحذّر من عواقب ممكنة، لا من عواقب مرجّحة. وحين نقود السيارة على الطريق، نتخذ قرارات تؤثر في سلامتنا. فإشارات المرور تحذّر من المنعطفات والرياح الجانبية وعبور الحيوانات البرية. وهي لم توضع لتزعزع ثقتي. ولا يقصد بها أن ترعبني من أنني قد أتسبّب في

حادث لأنني لا أحسن القيادة بما فيه الكفاية. بل هي تحذّر من أخطار متنوّعة وحقيقية. وهي تحرّك تصوّري لما قد يحدث إن تجاهلت التحذيرات. ولا تناقض في أن يكون لنا من جهة وعد الله، وأن نسمع في الوقت نفسه التحذير أيضاً، لأنه لا ينبغي لنا أن نتراخى في جهودنا للتمسّك بهذا الوعد أيضاً. ومن حياة بولس مقارنة مفيدة. ففي رحلته إلى رومية تقع السفينة في خطر شديد في البحر، حتى إن الجميع يأسون من الحياة. وفي هذا الموقف ينقل بولس بمعنى كلامه الوعد الذي تلقاه من ملاك: «الجميع سيخلصون!» وبعد بضعة أيام يلوّح البرّ في الأفق، ويريد بعض البحّارة أن يهربوا بالقارب لينقذوا أنفسهم. فيحذّر بولس الجنود من السماح بذلك، لأنه بدون البحّارة سيهلك الجميع (أعمال الرسل 27). فهل كان بولس يحذّر من أن وعد الله ربما لا يتحقّق؟ أم أنه يخاطب العقل، لأنه يتوقّع ما سيحدث إن لم يتمسّك المرء بوعد الله؟ إن الوعد الثابت والتحذير الملح في هذه القصة يرتبطان أحدهما بالآخر تماماً كما ترتبط المواعيد الكّائية (التي تضمن لنا أننا سنخلص في النهاية) بالتحذيرات والإنذارات الكّائية (التي تطلب منا أن نثابر في الإيمان بيسوع المسيح حتى بلوغ الهدف).

«الله يحذّر من عواقب ممكنة، لا من عواقب مرجّحة. وهكذا الأمر عندنا أيضاً. يقول لنا الكتاب إن الله يمسك بثبات جميع الذين هم في يسوع المسيح (8: 29-39). وفي الوقت نفسه يحثنا أيضاً على المثابرة في الطاعة ليسوع المسيح، لأننا بغير ذلك نهلك هلاكاً أبدياً (8: 12-13). فهل هذا تناقض ميوّس منه؟ هل يجب أن نشكّ في مواعيد الله لكي نستطيع أن نطيع تحذيره ونؤمن؟ كلا! إن الله يمسكنا بثبات في المسيح، مستعملاً تحذيرات وإنذارات تصاغ، كدعوة الإنجيل في البداية، في إطار احتمالات أو شروط. الله لا يناقض مواعيده أبداً...⁴² إنه يخاطب عقلنا، لكي نؤمن به ونطيعه في وجه العصيان. لذلك يقوّي الله إيماننا بأن يؤكّد أنه سيحفظنا إلى النهاية، ولكن أيضاً بأن ينبّهنا» بإلحاح إلى أن «نبقى أمناء ليسوع المسيح بثبات».⁴³

بركات ومواعيد - مرتبطة بشروط

42، يريد كاتب الاقتباس هنا أن يوضح أنه لا يمكن أبداً وضع مواعيد الله وتحذيراته بعضها في مواجهة بعض.

43، توماس شراينر (Thomas Schreiner)، «Mit Ausharren laufen – Gibt es Heilsgewissheit ohne Heiligung?»، Oerlinghausen، 2009، ص. 219.

رومية 8: 13 لأنه إن عثمت حسب الجسد... ولكن إن كنتم بالروح تُمتتون
فستموتون؛ ... أعمال البدن فستحيون.

رومية 8: 14 لأن كل الذين يتقادون بروح الله، ... فأولئك هم أبناء الله.

رومية 8: 17 ... إن كنّا نتألم معه، ... لكي نتحدّ أيضاً معه.

1 كورنثوس 15: 1-2 وأعرّفكم أيها الإخوة... إن كنتم تمسكون بالكلام الذي
بالإنجيل الذي بشرتكم به، وقبلتموه، وتقومون فيه، بشارتكم به، إلا إذا كنتم قد آمنتم
وبه أيضاً تخلصون، ... عبثاً.

غلاطية 6: 9 فلا نفشل في عمل الخير، لأننا ... إن كنّا لا نكلّ.
سنحصد في وقته، ...

كولوسي 1: 21-23 وأنتم ... قد صالحكم الآن في ... إن ثبتتم على الإيمان، متأسسين
جسم بشريته بالموت، ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا وراخين وغير منتقلين عن رجاء
شكوى أمامه، ... الإنجيل.

2 تيموثاوس 2: 5 وأيضاً إن كان أحد يجاهد، لا ... إن لم يجاهد قانونياً.
يُكلّل، ...

2 تيموثاوس 2: 12-13 إن كنّا نصبر، ... فسنملك أيضاً معه.
إن كنّا ننكره، ... فهو أيضاً سينكرنا.
إن كنّا غير أمناء - ... أن ينكر نفسه.

عبرانيين 3: 6 ... وأما المسيح فكان على بيته، وبيته ... إن تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره
نحن، ... ثابتة إلى النهاية.

2 بطرس 1: 10 لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة ... لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا
أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين، ... أبداً.

رؤيا 2: 7 مَنْ يغلب، ... فسأعطيهِ أن يأكل من شجرة
الحياة التي في فردوس الله.

رؤيا 2: 11 مَنْ يغلب، ... فلا يؤذيه الموت الثاني.

رؤيا 3: 5 من ... فذلك سيلبس ثياباً بيضاء، ولن أحو اسمه من سفر الحياة، يغلب، ... وسأعترف باسمه أمام أبي وأمام ملائكته.

إن التحذيرات والمواعيد المرتبطة بشروط المثابرة والغلبة لم يُقصد بها أن تُلقى بنا في الخوف والرعب. بل هي، كإخلاص بصيغة الخبر وإخلاص بصيغة الأمر، وجهان لعملة واحدة. لا يجوز إبطال هذه الشروط. ولا يُقصد بها أيضاً أن نُهدد بأننا قد نفقد الخلاص ثانيةً. فالبركات والشروط تولّد توتراً لا نفر فيه ولا نتكاسل، بل نتقدّم في الإيمان يقظين ومركّزين على الهدف.

8.2.2 أن نُميت بالروح أعمال البدن

علينا أن نحرم الجسد بلا أي مساومة كل إمكانية للنمو والانتشار. فالحياة في الروح، أو الانتصار على الجسد، تشمل الحياة المسيحية العادية التي يريدها الله. والجسد، أي الطبيعة الخاطئة، لا يزال موجوداً في المؤمن، ويحاول باستمرار أن يكسب نفوذاً. ومجال نفوذه وميدان نشاطه هو الجسم بجميع حواسه ووظائفه وقدراته. وطبعاً ليس البدن في حد ذاته هو الشرير الذي يجب أن يمات. بل البدن هو ملعب الجسد، إنه أداة الجسد، أداة الخطية.

لا يستحق هذا الجسد، الآن كما من قبل، إلا الموت، وقد دُين بالفعل على الجلجثة (8: 3). وهنا لا يوصي بولس بإماتة الجسد في حد ذاته، بل بإماتة أعمال الجسد (نزعاته وممارساته وعلامات حياته). فأمام كل نزعة من نزعات جسدي يجب أن اتّخذ موقفاً. يجب أن أقرّ وأحدّد موقعي. ولهذا توجد رخصة بالقتل يريدها الله. فإن أرادت نزعة خاطئة أن تتسلّل إلى أفكاري وتنتشر فيها، وإن أراد الجسد أن يدفعني إلى انفعال خاطئ أو فعل خاطئ، فيجب أن أتفاعل مع ذلك بيقظة تامة، وأن يظهر في ذلك دائماً الأسلوب نفسه. ليس المطلوب هنا السلبية، بل السهر أو الاستجابة الفورية. و«الإماتة» تعني ألا نتسامح مع شيء يأتي من الجسد. وقد يعني ذلك أيضاً الهرب الفوري، مثلاً من التجربة الجسدية.

ولكن المعركة ليست معركة أنا، بل معركة بقوة معين قوي، أي الروح. وبدقة أكبر، ليس الأمر هنا معركة، بل «تنفيذ حكم بالإعدام». فنحن لا نصوب على الجسد كله (بوصفه الطبيعة الخاطئة والكيان الآدمي)، بل على أعماله. وهذه الأعمال تهديد دائم،

ولكن لا يلزم «إماتتها» إلا حين تظهر. فالجسد موجود دائماً، أما عمل الجسد فلا. ولا يقصد بكلمة «تنفيذ الإعدام» تجميل أي شيء، كأن هذه المواجهة لعب أطفال أو آلية انتصار تلقائية - مع ضمان الرجح. فحياتنا اليومية لا تسير أبداً وفق الخطة، ويكاد لا يمكن التنبؤ بها، وتواجه مرة بعد مرة تحديات جديدة. وكذلك تشهد مكائد جسدنا وحيله دائماً على أنه يهاجم بمهارة وعلى نحو مفاجئ. وصديق جسدنا هو العالم، الدهر الحاضر الشرير. وهذا التحالف لا يسهل علينا الأمر. فالجسد الذي فينا لن يهدأ وينسحب عند الضربة الأولى. بل سيعود حين لا نتوقعه على الإطلاق، وحين نكون في أقل حاجة إليه.

الجسد عنيد، لا يضعف من الشيخوخة ولا يتعب. ولا يجوز لنا أن نخضع بأي وهم في ما يتعلق بطبيعة الجسد.

فليست هي إذن معركة نصارع فيها الجسد باستمرار لنطرحه أرضاً. فهذه المعركة قد جرت بالفعل على الجليشة. وفي هذا الانتصار وبقوة الروح نستطيع أن نُميت أعمال البدن. ويحق لنا أن نفترض أننا (إن طبقنا نحن أيضاً الحزم الذي وصفناه للتو) لن نختبر مع الوقت إغواء الجسد وتجربته صراعاً دائماً. فبعمل الله فينا سيصير تجنب الشر، وعدم إعطائه مكاناً، واختيار الخير تلقائياً - أي مشيئة الله - كأنه مشيئتنا نحن، طريقة تفكير وعادة.

8.2.3 «أن نحسب أنفسنا أمواتاً» أم «أن نُميت»؟

كان بولس قد قال في رومية 6: 11 إنه ينبغي أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع. ولكنه في 8: 13 يتكلم عن الإماتة. ويبدو للوهلة الأولى أن الأمرين متناقضان. فالأمر الأول ذو طابع سلبي، والثاني ذو طابع فاعل.

لم يقل في رومية 6: 11 بعد كل شيء عن انتصارنا على الخطية في حياتنا. فالمواجهة مع الخطية والجسد لا تُرحَ بجمود أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية. وإن حاولنا أن نفلت من الإغواء بأن «نتظاهر بالموت»، لأن التجربة لا تستطيع أن تهاجم ميتاً، فهذا وإن كان رأياً واسع الانتشار، إلا أنه ليس الحل. فالجسد لا يزال حياً فيّ، وأستطيع أن أعلنه ميتاً، ولكنني سألاحظ أنه ليس ميتاً. وهذا يقودني إلى صراع مرهق، يقوم على أنني أركز كثيراً على نفسي وعلى التجربة إلى الخطية، إذ أحاول باستمرار أن أحسب نفسي ميتاً. وهذا ليس جواب الرسالة إلى رومية عن مشكلة الخطية والجسد. فإذا يعني أن نحسب أنفسنا أمواتاً

عن الخطية؟ إنه قبول عمل الفداء الذي عمله المسيح، الذي فيه صُلبت (أُميّت) حياتي القديمة، إنساني العتيق، مع المسيح. إن أن نحسب أنفسنا «أمواتاً عن الخطية» لا يتعلق بالطريقة التي ينبغي أن أتصرف بها حين تجربني الخطية، بل في رومية 6 يدور الأمر حول قبول ما عمله الله لأجلي مرة واحدة وإلى الأبد، قبولاً بالإيمان. لقد حدث هذا خارجاً عني قبل 2000 سنة. هناك دان الله الحياة القديمة وأنهاها في موت المسيح. وهذا العمل انخلاصي أخذه لنفسني بالإيمان بنسبة 100 %. والآن أحيأ في المسيح حياة جديدة. هكذا ينبغي أن نحسب أنفسنا، ومن هذا ينبغي أن ننطلق بوصفنا مؤمنين من الآن فصاعداً. أما الجزء الثاني من الجملة («ولكن أحيأ الله بالمسيح يسوع») فيصف ما يفعله المسيحي: إنه يحيا بقوة الروح، كما يوصف ذلك في الأصحاح 8. والآن فقط، في رومية 8، يشرح بولس ما ينبغي أن أفعله عملياً بالجسد الخاطئ، وبأعماله وممارساته. فليست السلبية (أن أحسب نفسي شيئاً ما) هي المطروحة هنا، بل المطلوب تصرف حازم. بل إنه أخزم ما يمكن تصوره: الإماتة.

8.2.4 الإماتة - كيف تتم؟

كيف تبدو «الإماتة»؟ المقصود ألا تُعطى للجسد بعد أي فرصة في حياتنا الجديدة. لقد أعلن الله الحرب على هذا الجسد، وعلينا أن نتبع هذا المثال، وذلك بلا مساومات. والإماتة تعني أولاً أنه يجب أن نحدد بوضوح فعلاً ما على أنه عمل من أعمال الجسد. يجب أن يكون واضحاً لي ما يأتي من الجسد. والروح القدس يعينني، لأنه لا يُسمّى عبثاً الروح القدس. لنذكر أنفسنا مرة بعد مرة بأن كل ما نفعله - بلا استثناء - يحدده إما الروح وإما الجسد. والجسد خطير بنوع خاص في النشاطات التي نقوم بها لأجل الرب. فلجسد أيضاً «عرق» ديني، ويمكن أن يكون تقيّاً جداً. والجسد يعرف كل أنواع التنكر! لذلك من المفيد أن نطرح على أنفسنا مرة بعد مرة السؤال: ما مصدر فعلي؟

يريد الجسد أن يتسلط، وأن يفرض تنفيذ فعله وتكراره. ونحن نقول لذلك الآن بكل وضوح: «لا». فنحن نعرف الجسد، إنه عداوة لله. ونقول بقيادة الروح وبلا مساومة: «قف!» ولا بديل عن ذلك. فإما أن يحدّد الجسد تصرفنا وإما الروح. ونحن لا نسمح للجسد بأن يتابع فعله. ف«الإماتة» تعني إذن إدانة الفعل الجسدي: قبل أن يصل الأمر إلى

الفعل نفسه، أرفض رفضاً واضحاً كل النيات التي ترمي إلى تنفيذه. ويمكن أن تأخذ
«الإماتة» أشكالاً مختلفة:

- إلغاء الاشتراك
- الإعراض
- التوقف
- الاعتراف
- الإزالة
- اتخاذ القرار
- الهرب
- الترك
- الصمت
- الإدانة
- الانصراف
- غصّ البصر
- العزم
- التحطيم
- الشهادة

- وأشياء أخرى كثيرة -

يقدم العهد القديم مثلاً مناسباً على مدى الجذرية التي يجب أن تتصرّف بها ضد العدو.
فيعجلون، ملك موآب، كان رجلاً سميناً أنانياً - الصورة المجسّدة للجسد الخاطئ. وإهود،
مخلص إسرائيل، يطرح هذا الملك بسيفه في عملية جريئة، ولكن تحت حماية الله (قضاة 3:
12-30).⁴⁴

إن لم نمت أعمال البدن، فستسلط علينا. «اقتل الحيات قبل أن تقتلك».⁴⁵

44. جيه. تي. ماوسون (J. T. Mawson)، 1980، «Überwinden ... aber wie?»، Schwelm، ص. 28-44.

45. قول لجين غيبسون (Jean Gibson).

ويصف بولس للكلوسيين بالوضوح نفسه الاستراتيجية الجذرية التي لا هوادة فيها ضد كل ما يأتي من الجسد:

«فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنى، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطمع (الجشع) الذي هو عبادة الأوثان.»

وبعد ذلك بقليل يتابع هذا التعداد: «... الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح...» (كولوسي 3: 5-11).

والرب يسوع نفسه يوصي بالاستراتيجية نفسها، ويصوغها صياغة أشد حدة: «كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها، فقد زنى بها في قلبه» (متى 5: 28). «فإن كانت عينك اليمنى تعثر فاقطعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى بدنك كله في جهنم» (متى 5: 29؛ قارنوا مرقس 9: 43-48).

ينبغي أن يكون واضحاً لنا في الصراع مع الجسد أننا لا نستطيع أن نُميت أعمال البدن ونستأصلها إلا في نور الجلجلة وبقوة الروح القدس. ولن يحدث هذا من تلقاء نفسه، بل يتطلب قرارنا اليومي. ولا نحافظ على الموقف الصحيح من الجسد إلا إذا تذكّرنا الصليب مرة بعد مرة (كما فعل أيضاً في عشاء الذكرى الأسبوعي، كسر الخبز).

8.3 الآلة 14: أبناء الله المنقادون بالروح

لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله.

تظهر قيادة الروح أولاً كما وُصفت للتوّ في الآلة 13: إنها من جهة الانتصار على الجسد، ومن جهة أخرى حقيقة أن المرء يُثمر «ثمر الروح» كما يصفه بولس في غلاطية 5.

إن الانقياد بروح الله هو العلامة المميزة لأبناء الله. فالأبناء يُميّزون بأنهم يفهمون مشيئة أبيهم وهدفه ويعملونهما. وفي هذا كان يسوع، ابن الله الوحيد، المثال الكامل. فقد عمل أعمال الآب، وكانت مشيئة الآب له كالطعام. وكان للروح في ذلك نصيب كبير (إشعياء 11: 2؛ متى 4: 1؛ مرقس 1: 12؛ لوقا 4: 1، 14، 18؛ عبرانيين 9: 14؛ وغيرها). وهكذا يحدث أيضاً في المؤمنين الذين لا يسكن فيهم الروح فحسب، بل يتولّى أيضاً قيادتهم.

لا يصف بولس هنا مواقف خاصة من الحياة يكون علينا فيها أن ننجز مهام خاصة أو أن نتخذ قرارات بعيدة الأثر. بل يهتم، كما لاحظنا مراراً في هذه الأصحاحات من رسالته، بأمور جوهرية - مبادئ، بخطين يميز أحدهما عن الآخر تمييزاً واضحاً.

غير المؤمن يقوده الجسد، والمؤمن يقوده الروح. وهذا بدوره ليس آلية روبات تقود المؤمن بسهولة إلى عدم الخطية. بل هو أسلوب الحياة العادي للمسيحي أن ينقاد بالروح انطلاقاً من قلبه وفكره المتجددين. ولكنه دائماً في خطر أن يتبع الجسد وأن ينقاد به. لذلك فهذه الآيات دعوة واضحة إلى أن نحيا بقوة هذا الروح حياة فاعلة وواعية، وأن نكون واعين لحضوره وقوته وعونه. إنه روح يسوع، روح التبني. وبعبارة أخرى: الذين ينقادون بالروح يعيشون أيضاً كما ينبغي أن يعيش أبناء الله.

«لروح الله منفذ إلى كل جانب من جوانب حياتنا، فهو إذن ليس سائلاً سلبياً، بل يبذل قوة فاعلة ليقود قديسي الله.»⁴⁶ إن قيادة روح الله وإرشاده لا يلغيان شخصية المؤمن، بحيث يتصرف أو يشعر كأنه موجه عن بعد أو متلاعب به. فالروح يعطي القوة لعمل ما يريده الله. وأنا بصفتي شخصاً أحمل دائماً المسؤولية عما أفعله، ولذلك أنا دائماً من يتخذ القرار. شكراً لله أن إرادة المسيحي تتجدد باستمرار (رومية 12: 2؛ كولوسي 3: 10)، لكي يستطيع أن يعرف مشيئة الله ويعملها. وهذا التفكير والتصرف يسنده الروح. ويحدث هذا في الغالب دون أن يلاحظ المرء أو يدركه. وفوق ذلك قد يكون هناك عمل خاص للروح من أجل تحديات خاصة في حياتنا - من خلال ظروف خاصة، أو من خلال كلام الروح إلينا، أو من خلال الإخوة والأخوات في الإيمان. ولكن العهد الجديد لا يتكلم عن ذلك إلا نادراً نسبياً.

ليست قيادة الروح تصوّفاً (أي إصغاءً دائماً إلى أصوات وانطباعات داخلية)، ولا تشمل أيضاً «أخلاق الموقف»، التي نحتاج فيها في كل موقف إلى إعلان جديد أو توجيه جديد. فقيادة الروح تقوّي شخصيتنا وتفكيرها المتجدد لكي تعرف مشيئة الله وتعمل الصواب والأفضل. وقيادة الروح تتحرّك قبل كل شيء في إطار التوجيهات والوصايا الكتابية. وفي هذا السياق من رومية 8 يدور الأمر حول الانتصار على الجسد والخطية.

46. فريد ستالان (Fred Stallan)، (Fred Stallan) Römerbrief، Was die Bibel lehrt، ص. 230.

ومع ذلك: فالروح لا يعطي القوة فحسب، بل هو أيضاً «دليلنا» الكشاف، مستطلع طريقنا، في الطريق إلى المجد. ومشكلتنا أنه غير منظور، ولذلك ينبغي أن نتق بحضوره وعمله (أي بقيادته تحديداً).

8.4 الآية 15: روح التبتّي يصرخ فينا: «أيها الأب الحبيب!»

إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبتّي الذي به نصرخ: «يا أبا الأب!»

العلاقة الجديدة بين الأب والابن ليست علاقة عبودية. وهذا يذكّر باختبار الأصحاح 7. فتحت الناموس يكون المرء في عبودية. أما الخوف من السيد والخوف من الفشل فقد صارا الآن من الماضي. وروح التبتّي يمكّننا من أن نحيا في شركة مع الأب. وهذه الشركة يطبعها الصلاة والسجود، لأن العبارة الواردة هنا («يا أبا الأب») تتضمن صلاة أو سجوداً في أقصر صيغة ممكنة على الأرجح. فكلمة «أبا» لا ترد في العهد الجديد إلا ثلاث مرات. في بستان جثسيماني (مرقس 14: 36) يخاطب يسوع، ابن الله، أباه بهذه الطريقة في أشد الضيق. إنها صيغة المخاطبة الحميمة التي تُستعمل مع الأب، ويمكن مقارنتها بـ«أيها الأب الحبيب» أو ببساطة بـ«بابا». ويستعمل بولس تعبيراً مشابهاً أيضاً في الرسالة إلى غلاطية (4: 6). وقد يكون مفاجئاً أن نخاطب الله القدير بهذا الاسم الحميم، ولكنه يوضح مدى دفء علاقة البنوة هذه، أو علاقة كوننا أولاداً.

لم تعد خدمة الله الآن أمراً يتعلّق بالخوف والإكراه وبالاتّباع الصارم للأوامر والنواهي. بل تتضمن بالأحرى الحياة التي تعاش في علاقة لا يتحكّم فيها الخوف والرهبة، والتي تنبع من هذه العلاقة. وهي مملوءة بحبة الله وبالقبول الكامل من الأب، وبحضور روحه الذي هو فينا فعلاً، لا بوصفه مراقباً صامتاً، بل بوصفه معيناً عاملاً. نحن أبناء الله، نحن مقبولون، ونحن مُقادون ومُرشّدون بروحه. هذه حقيقة! والزلة، أو الخطية، لا تكسر العلاقة، فنحن نبقى أبناء وأولاداً. «بعد ندائه الحازم إلى أن نعيش إيماناً في الحياة اليومية، يريد بولس الآن أن يريح قلوبنا. لا أعرف كيف هو الأمر عندكم، ولكنني أنا أحتاج إلى هذا التشجيع. لأنّ إله الكون المتسامي هو الذي يأخذ بيدي في سكون الليل، أو حين أكون قد سقطت في الوحل، ويدعوني أن أناديّه «بابا»».⁴⁷

47. فرانسيس شيفر (Francis Schaeffer)، *Allein durch Christus*، ص. 216.

8.5 الآية 16: نحن أولاد الله!

الروح نفسه أيضًا يشهد مع روحنا أننا أولاد الله.

يشهد روح الله مع روحنا أننا قد أدخلنا فعلاً في علاقة بنوة مع الله. ولا يُقصد هنا صوت ينادي روحنا بشيء. بل المقصود هو ما يقوي ويثبت القناعة، أي يقين الخلاص، الذي حصلنا عليه من قبل بكلمة الله.

مشيئة الله أن تكون العلاقة الثابتة بالآب حاضرة في أفكارنا كل يوم. ومن الأهمية الحاسمة لجميع مجالات حياتي أن أعرف أنني مقبول بلا شروط في المسيح من أب محب. فالآب يحبني، وأنا ثمين جداً عنده حتى إنه بذل ابنه ذبيحة لأجلي. وطبعاً هو يؤدبني أيضاً، وهذا برهان على محبته (عبرانيين 12: 5). والحق في أن أكون ولداً لله (يوحنا 1: 12) يجلب معه طبعاً واجبات أيضاً. لا ننس أبداً من نحن الآن! وفي ذلك يعيننا الروح القدس كل يوم.

8.6 الآية 17: نحن ورثة مجد المسيح

فإن كلاً أولاداً فإننا ورثة أيضاً - ورثة الله ووارثون مع المسيح، إن كلاً تتألم معه، لكي نتجّد أيضاً معه.

ليس الأمر مجرد فرح علاقة مع الله يحق لنا أن نشعر به ونختبره. فنحن أيضاً أولاد «بالمعنى القانوني»، أي إننا ورثة كذلك. فالله جادّ كل الجدّ في ما يتعلق بكوننا أولاداً له وبمقامه بصفته أباً. وما يخصّ الله، وما سيعطيه لابنه، هو نصيبنا الموروث أيضاً.

ليست الآلام شرطاً لنوال الميراث في يوم المجد. والآلام من أجل المسيح رفيق دائم لمعظم المسيحيين. ولا ينبغي أن تكون شيئاً غريباً علينا، لأن يسوع سبقنا في طريق الآلام هذا، الآلام التي احتملها من أجل البر. لقد أعفينا حتى الآن من هذه الآلام في ألمانيا وفي جميع البلدان الغربية، على خلاف إخوتنا وأخواتنا في الإيمان في بلدان أخرى. وإن صادفنا يوماً زمن آلام، فليكن هذا: لتتذكر هذه الكلمة التي كتبها رجل أراد أن يصير مثل المسيح في كل شيء، حتى في موته. عبر الآلام إلى المجد - هذا كان في الغالب طريق المؤمنين الأمناء في تاريخ الكنيسة.

«منذ الآن» نحن أولاد الله، ولذلك نحن ورثة. ولكننا «لم» نتسلم الميراث «بعد». فبالخلاص بصيغة الخبر يصف كوننا أولاداً، وإلى الخلاص بصيغة الأمر تنتمي الآلام، التي ليست شرطاً مسبقاً لنوال الميراث، ولكنها في الغالب جزء لا مفر منه من اتباع يسوع. وهذا أيضاً ليس تحذيراً يشير إلى فشل نهائي. بل نحن مدعوون إلى أن نكون معترفين يثبتون بأمانة إلى جانب يسوع.

9. رومية 12: الذهن يتجدد!

يمكن أن نسمي الرسالة إلى رومية الكاتدرائية العظيمة للإنجيل ولبرّ الله. فالإنجيل يأتي بخلاص الله: البراءة، والتبرير، والتحرير، والاتحاد بالمسيح، والحفظ إلى النهاية عبر كل الصعوبات والآلام والعداوات!

لكي يخدم الإنسان الله، كان لا بدّ أن يُحرّر من ذنب الخطية ومن سلطانها، ولكن أيضاً أن ينال القوة لحياة جديدة. وقد وصف بولس ذلك وصفاً مؤثراً في الأصحاح الثامن. فالعالم من حولنا، وكذلك جسمنا، لم يتغيّر بعد، ولكن هذا لم يعد إلا مسألة وقت. فوعد الله بتغيير أجسامنا أمر مقضيّ، سيفي به في وقت لا يعرفه إلا هو. وإلى ذلك الحين يقف الله إلى جانبنا: إن كان هو معنا، فمن يجرؤ أن يكون علينا؟

ثم يتناول بولس من الأصحاح 9 إلى 11 مسائل أخرى متعلّقة هي أيضاً ببرّ الله. وفي الأصحاح 12 يعود إلى خدمتنا لله، التي حرّنا لأجلها. وهنا يدور الكلام مرة أخرى حول حياتنا الشخصية التي نستطيع أن نحياها في الجِدّة وبالروح. والآن ينبغي أن يصير برّ الله، الذي أعلن في الخلاص، مرئياً أيضاً في الحياة اليومية. لقد تكلم بولس في الأصحاحات 5 إلى 8 كلاماً مجرداً ومبدئياً نسبياً. لقد وضع الأساس، وشرح التعليم. والآن يبيّن كيف تبدو الجِدّة في تفاصيل الحياة. وهو يفعل ذلك من خلال دعوات وأوامر ونداءات - وصايا العهد الجديد. وهذه لم تحلّ محلّ الناموس الموسوي. فهذه الكلمات تفيد أولاً في أن تُرينا كيف تبدو الحياة الجديدة أصلاً. إنها لافتات تُرشد إلى محبة الله. ونحن لا نعيش حسب هذه الوصايا لكي نصير أبراراً، بل لأننا أبرار! فهذه الوصايا تعبير عن من هو الله ومن هو يسوع المسيح. ووصايا العهد الجديد التي تزيد على 1000 وصية تصف في المحصلة الحق الذي هو في يسوع. فحياته فينا تحمل بالضبط السمات الموصوفة في وصايا العهد الجديد. والآن المسيح فينا والروح فينا، لكي نستطيع أن نعيش هكذا. ونحن ملتزمون أن نسلك كما سلك هو (1 يوحنا 2: 6، 8).

9.1 قصد الله لنا

قصد الله لكل واحد منا هو أن يجعلنا مشابهي لابنه. وكل الأهداف الأخرى خاضعة لهذا الهدف. وسيتحقق ذلك يوماً ما تحقّقاً مطلقاً. وحين نبليغ الهدف، لن نتجمّد في هذه الصورة، في مشابهة المسيح؛ لن نصير تماثيل. كلا، بل سنكون أناساً فاعلين - إلى الأبد. سنفكر ونعمل ونتكلّم ونحب مثل ابن الله. وسنبقى في ذلك دائماً من كلّ عليه منذ ولادتنا بوصفنا شخصيات خلقها الله. ولكننا عندئذ سنكون قد بلغنا الغاية التي خلّقنا لها، وسنحيا فيها إلى الأبد. سنكون من كان ينبغي أن نكونه دائماً. هذه هي سعادتنا العظمى. وفرح الله هو أن يهبنا ذلك. وبذلك يُكرّم ابنه. ومنذ الآن نستطيع أن نكون من أردنا دائماً أن نكونه. وإن كان المسيح فينا، فإن تقرير المصير يشمل حقيقة أن **هو** يحيا من خلالنا!

إن التغيّر إلى صورة يسوع، أو المشابهة المقابلة له، قد بدأ في اليوم صفر من حياتنا بوصفنا مولودين من جديد. إنه برنامج حياة المسيحيين. فالأمر يتعلق بالاستعداد للأبدية. لذلك فإن هذه الحياة مهمة جداً، وكذلك ما نصنعه منها - أو بالأحرى ما يستطيع المسيح أن يصنعه منها.

9.2 رومية 12: 1-2: العبادة - أمر منطقي!

فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدّموا أبدانكم ذبيحة حيّة مقدّسة مرضيّة عند الله، خدمتم العقلية (عبادتكم).

ولا تُشاكلوا هذا العالم (هذا الدهر)، بل تغيّروا بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيّة الكاملة.

هذه عودة مباشرة إلى الأصحاح السادس. فعلينا أن نقدّم بدننا آلات برّ (أي أن نضعه تحت تصرّفه). والآن يذهب بولس أبعد من ذلك، ويدعو أهل رومية (بل جميع المسيحيين) إلى أن يُسلّموا أبدانهم كذبيحة تسليمًا كاملاً لخدمة الله. وهذه الذبيحة، على خلاف الذبائح الحيوانية في العهد القديم، حيّة. فهي إذن تُقدّم باستمرار، لا مرة واحدة فقط، لأننا نسلك في جِدّة الحياة الأبدية. وذبيحتنا مقدّسة، لأننا قد قدّسنا من الله من قبل. لذلك هي ذبيحة مرضيّة. إن موقف التكريس الكامل في الحياة هو النتيجة المنطقية للخلاص الذي لنناه. لذلك يدعو بولس إلى هذا التكريس برأفة الله. فنحن لا ندعى بواسطة

ناموس إلى أن نضع وجودنا تحت تصرف الله، بل برأفة الله. وقد ظهرت هذه الرأفة عملياً في ما يلي: كل ما كنّا قد اقترفناه من ذنوب، وكل ما نحن عليه (أي مبيعون تحت الخطية)، وضعه على المسيح. لم يُشفق على ابنه! إن رحمة الله لم تصنع خلاصنا فحسب، بل تبقى أيضاً حاضرة على الدوام، لأنه أبونا ونحن أولاده.

لا ينبغي أن نغفل عن أن بولس يوجّه هنا تحريضاً أخوياً محباً. فلكل مسيحي (سواء كان في بداية طريق الإيمان أو كان فيه منذ زمن طويل) يبقى مطلب التكريس الكامل هذا تحدياً متجدداً وأمرًا راهناً. وينبغي أن نقول له «نعم» مرة بعد مرة. وكل مسيحي صادق سيلاحظ أن تكريس حياته، للأسف، عرضة للتقلبات. فالتكريس عملية تتعلق بتفكيرنا. هناك يتخذ القرار: هل نحن مستعدون للتكريس، وإلى أي حدّ نضحي فيه. والتذكير اليومي بذلك أمر مفيد.

9.2.1 أبدأنكم!

من يقدم بدنه ذبيحة حيّة لا يميّز بـ«عمل بطولي متطوّف» كالذي كان الوثنيون يُنتظر منهم أن يقدموه لألهتهم الوثنية⁴⁸، بل يحيا حياة عادية، غير استعراضية، موجهة على الدوام نحو الله. ولا شك أن مثل هذه الحياة مع الله تعرف الارتفاعات والانخفاضات، والانتصارات والهزائم، والتعثّر والنهوض. ولكن فيها اختبارات مشجّعة رائعة وثمراً. وإن سلّمنا حياتنا لله وسرنا هكذا مسكين بيد الله الأبدي غير المنظور، فستصير حياتنا مشوّقة.

ولكن لماذا يتكلّم بولس عن «البدن» الذي ينبغي أن يُقدّم ذبيحة؟ أليس تفكيرنا (كما في الآية 2) جزءاً من ذلك أيضاً؟ بالتأكيد، فالأمر يتعلق بتكريس وجودنا كله، وحياتنا كلها. ولكن هذا يجد تعبيره بالذات من خلال جسمنا. فالجسم هو نقطة التماس مع العالم الذي نعيش فيه. وهذا الجسم كان قبل خلاصنا «بدن الخطية» (رومية 6: 6). كان الأداة التي صارت بها للخطية يدان ورجلان. لقد طوّر الجسم عادات خاطئة، وعاش حياة خاصة خاطئة، وطالب بالطاعة. لنفحص مرة مرة، أو كم مجالاً من مجالات حياتنا، يحدّده جسمنا أو يؤثّر فيه. وبضعة أمثلة فقط تكفي لتبيّن أننا قد نستخفّ بسهولة بدور جسمنا في تكريسنا. فالأمر يتعلق بالعادات، أو بمسألة كيف نأكل ونشرب، وكَم، ومتى،

48. فريد ستالان (Fred Stallan)، Was die Bibel lehrt, Römerbrief، Dillenburg 2001، ص. 358.

وماذا، وبعادات النوم، وبسلوكنا في مشاهدة التلفاز واستعمال الإنترنت. كل هذه الجوانب تؤثر في جسمنا وتترسخ بوصفها طرائق تصرف متأصلة فينا. وليس المقصود «قائمة خطايا»، بل أن نرى في النور الصحيح دور بدنا وتأثيره الذي كثيراً ما يستهان به. فالبدن يُقدّم هنا ذبيحة، أي إننا نتخلّى عن مطالب بدنا، لكي نستطيع بدلاً من ذلك أن نضعه تحت تصرف الله.

علينا أولاً أن «نُميت أعمال البدن» (رومية 8: 13). وهذه الكلمة أيضاً تؤكد دور البدن، ولكنه في الواقع دور «عدائي»، لأن البدن يريد أن يعمل أموراً ينبغي أن نُميتها. وهذه، إن استعملنا كلمة أخرى لبولس، هي أعمال الجسد (غلاطية 5: 19)، أو أيضاً الأعضاء التي على الأرض (كولوسي 3: 5). وحين تُضبط العادات الخاطئة بقوة الروح القدس، يفتح الطريق لنضع هذا البدن تحت تصرف الله أكثر فأكثر. إن «بدن الخطية» لم يُصلّب، وإلا لكان أمواتاً. بل جرد من فاعليته على الجلجثة. وما كان يوماً بدن الخطية، هو الآن «بدن البر»! بولس يستعبد بدنه (1 كورنثوس 9: 27). إنه يقلب الأدوار، فالبدن الآن هو الذي يجب أن يتبعه. ولا ينبغي للبدن أن يتكّن من فرض شهواته الخاطئة وراحته المفرطة: فالبدن يجب أن يكون لله، وأن يصير أداة للبر.

9.2.2 العالم: صديق أم عدو؟

ببدنا نعيش في العالم. والمجتمع (وهذا بالضبط ما يقصده بولس بالعالم) قد جعل البدن إلى حد بعيد الأمر الأهم. قطاعات صناعية بكاملها تقدّم كل ما يحتاجه البدن، أو ما يفترض أنه يحتاجه: الاستجمام، واللياقة البدنية، والرياضة، والصحة، والتجميل، وطول العمر، والطعام والشراب الجيّدان، والطب، وجراحة التجميل. ولا اعتراض من حيث المبدأ على مثل هذه الأمور، ما دامت خاضعة لسيادة الله. والسؤال هو: أي دور نعطيه للبدن؟ هل هو عبد أم سيد؟

ثمّة خطر ملبوس قد يعيقنا عن التكريس الكامل، وهو يتربّص بنا في العالم الذي نعيش فيه. إنه عالم البشر الذي يحيط بنا وتحرّك فيه (مع أننا، كما يقول يسوع، لسنا منه كما أنه هو ليس منه). لقد ربّ الناس حياتهم بدون الله. فالمجتمع، والاقتصاد والتجارة، والصناعة، والثقافة، والدين، والموسيقى، والفلسفة، وأوقات الفراغ، والتسليّة، والتغذية، والتعليم،

والحياة العائلية، والأخلاق - كل ما يشكل الحياة قد أصابته عدوى نسيان الله وطبعته بطابعها: فالإنسان لا يريد أن يكون الله معه في المركب (رومية 1: 28).

العالم جذّاب ومغرّ لجسدنا. فنحن قد أتينا من العالم، وكان جسدنا هناك في بيته. والآن ينبغي أن ننتبه لثلاث نعيش كالعالم (أي كأهل العالم). فمط حياة العالم على تناقض واضح مع التكريس الكامل لذبيحة حياة! فأهل العالم يعيشون لأنفسهم، ولا يسألون عن مشيئة الله لحياتهم!

وكلمة **العالم** (باليونانية **aion**) تُترجم أيضاً «الدهر» (أي مجرى الزمن). فزمن العالم ينقضي. وهذا الدهر العالمي على وشك أن يبلغ نهايته: نحن نعيش «في الأيام الأخيرة». وفوق ذلك يتطور العالم في الاتجاه الخاطئ - وبسرعة متزايدة. فهو يمضي إلى البعد عن الله، مبتعداً عن الله، لا مقرباً إليه. وإذا نظرنا إلى الأمر في مجمله، فالدهر مثل «الطريق الربح» (متى 7: 13-14) الذي يؤدي نزولاً إلى الهلاك. الدهر يشبه نهراً تتجرف فيه الأسماك الميتة مع التيار. أما السمكة الحية فتسبح في الاتجاه المعاكس؛ وهذا بالضبط هو معنى الآلة تتخذ شكل العالم (قالبه⁴⁹). وكلمة **العالم** تُترجم أيضاً «روح العصر». فاتجاه فكر الإنسان، أو موقفه الفكري، هو ما يجعل العالم على ما هو عليه. وفضلاً عن ذلك يتكلم الكتاب المقدس مراراً وبوضوح عن أن الشيطان نفسه هو إله هذا العالم، رئيس هذا الدهر.

العالم و(روح) عصره شرّيران. وكلمة الله لا تترك في ذلك مجالاً للشك (غلاطية 1: 4). ومن أراد أن يكون «محباً للعالم» (لأن الحياة المتكيفة أكثر راحة)، فقد صار عدواً لله (يعقوب 4: 4). ولا شك أن هناك درجات لمدى ما يمكن أن تبلغه الروح العالمية. فليس بالضرورة أن تكون قد استولت على الحياة كلها. فرمما يتعلق الأمر بمجال أو آخر فقط، بمجال كبير أو صغير من الحياة يطبعه العالم بطابعه. لذلك ليفحص المرء نفسه: أين تسَلَّت إليه طريقة العالم في التفكير والعيش؟ كيف هو حال مالي؟ وكيف هو حال ممتلكاتي، وأهدافي المهنية، وسلوكي في الزواج، وعاداتي المفضلة، وصدقاتي؟

ألا نصير مشاكلنا للعالم، وألا نكون متكيفين معه، أمر لا يبدأ بالأشياء الخارجية، بل يبدأ أولاً بالتفكير. فقبل الفعل تأتي الفكرة، كما أن الأفكار تسبق التكيف مع العالم.

49. باليونانية **schematizein**، أي أن يتشكل المرء وفق نموذج (Schema)، أو أن يدع نفسه يُصاغ وفق قالب محدّد مسبقاً.

9.2.3 التغيّر بالتفكير الجديد

الله يريد أن يغيّرنا. يريد أن نصير ما نحن عليه! ينبغي أن يتّخذ المسيح فينا صورة أكثر فأكثر. ينبغي أن المسيح يزد، وأما نحن فننقص. إن العيش كالعالم (في طريقة تفكيره وفي مظهره الخارجي أيضاً) هو بالضبط عكس ما يريد الله أن يحقّقه. فكيف يمكن أن يحدث هذا؟ على أساس ما سبق شرحه في الأصحاحات 5 إلى 8 يحدث الآن تغيّر تدريجي، عملية نموّ روحي وتقديس. فالإنسان الذي آمن للتوّ لا تزال لديه أنماط تفكيره القديمة المعتادة. وهذه لا تُمحي بضغطة زرّ. بل تُستبدل من خلال عملية التجديد بتفكير يطبعه الله بطابعه.

يتكلّم بولس مراراً عن عملية التجديد المستمرة. والمقصود أكثر من مجرد عملية التفكير:

- 2 كورنثوس 4: 16: التجديد اليومي للإنسان الداخل في ميدان التوتر بين الآلام والمجد
- أفسس 4: 23: تجددوا باستمرار في تفكيركم.
- كولوسي 3: 10: الإنسان الجديد يتجدّد على الدوام.

يبدأ التحوّل من تفكيرنا. والذهن (باليونانية **nous**) يشمل عالم الأفكار، والعقل، والتفكير، والفهم، ومركز التفكير. ووراء كلمة «الذهن» أكثر من مجرد التفكير المحض، أي العقل المنطقي. فالقلب، الذي يدلّ في الكتاب المقدس أيضاً على التفكير والإرادة (وأحياناً على الشعور أيضاً)، لا يمكن فصله عن مفهوم الذهن. فالذهن هو مركز التحكم في التفكير والإرادة والتصرّف. وفي مركز التحكم هذا تجري عمليات التفكير الذي يصنف ويقيّم ويكتشف، وعمليات اتخاذ القرار. والتصرّف هو نتيجة التفكير واتخاذ القرار. «الذهن هو ... المكان الذي تجري فيه عملية المعرفة، ومنه تصدر الأفكار. إنه بالمعنى الحرفي المكان «الحاسم» لتصرّفنا، ومن ثمّ للأخلاق العملية كلها».⁵⁰

50. يورغ بوخيجر (Jürg Buchegger)، Wuppertal، 2004، *Ein Mensch, was ist das?*، ص. 211.

9.2.4 التحول الكامل (الميتامورفوز)

هذه هي الكلمة التي ترد في النص اليوناني للدلالة على «التغير». فتجديد التفكير يُحدث التحول. ومفهوم الميتامورفوز (التحول الكامل) مفيد في إطار موضوعنا. فنحن نعرف هذه الكلمة من عالم الحيوان. ونعلم أن الفراشة تحتاز واحدة من أعجب عمليات التحول. فمن يرقة زاحفة (لا يكون منظرها جميلاً دائماً) تنشأ، عبر طور الشرنقة، فراشة طائرة. وهذه عملية مبرجة تحتاج إلى وقت، ولكن لا يمكن إيقافها. ومن المدهش أنه ينبغي لنا نحن أيضاً، ويمكننا، أن نجتاز تحولاً جذرياً كهذا. وهذا يُبين أن التغير كما يريده الله ممكن دائماً، لا شيء مستثنى منه. والعدر القائل إن هذا الأمر أو ذاك هو هكذا وسيبقى هكذا لا يصحّ، إذا تذكّرنا أن يرقة قبيحة يمكن أن تصبح فراشة رائعة الجمال. فالحشرة تبقى حشرة، وتبقى الكائن الحي نفسه. ولكنها تتغير تغيراً كاملاً. أفلا يشبه هذا قوة الإنجيل التي تستطيع أن تغير الإنسان تغييراً حقيقياً وعميقاً (في قلبه وفي تفكيره)؟

وُسُتعمل كلمة «ميتامورفوز» نفسها حين تغيرت هيئة يسوع أمام التلاميذ على جبل التجلي، واتخذ لمعان نور مجد الله. وفي سياق آخر سُتعمل الكلمة نفسها في ما يتعلق بنا: «ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، نتغير إلى تلك الصورة عينها، من مجد إلى مجد، كما من الرب الروح» (2 كورنثوس 3: 18). إن «ميتامورفوزنا» هدفها مثال المسيح. ولا يمكن أن نؤكد هذا الهدف الإلهي ونكره بما فيه الكفاية. فهو ليس حلم يقظة، ولا هدفاً بعيد المنال، ولا وهماً جديداً يريد الله أن يُحبطنا به. بل هو خطته ومشئته، التي يجد فيها فرحاً عظيماً يريد أن ينقله إلينا. لذلك سينجح أيضاً. فإن أردنا ونظرنا إلى يسوع المسيح (أي اشغلنا به وبكلمته وبملكوته)، وجعلناه هدفنا، وإن ملأ حياتنا حقاً، فإن عملية التغير تكون مبرجة برجة صحيحة.

9.2.5 لماذا التجديد؟

منذ الولادة، وبالطبيعة، لنا تفكير وذهن لا يجعلان الله مركزهما، بل الذات. وحين يتوب إنسان، يخلق الله فيه شيئاً جديداً، وتنبت بذرة الكلمة في قلبه؛ فيصير المسيح الآن حياته. وهذه الحياة يجب الآن أن تنمو، كما هو الحال عند الطفل الرضيع. وهذا النمو يخص

الإنسان الداخل، والذهن مشمول فيه أيضًا. وعملية التجديد هذه تستمر طوال الحياة. والنمو يحدث على أساس الكيان الجديد في المسيح. ففي المسيح صرنا في لحظة أبرارًا وقديسين أمام الله. ولا ينبغي أن يبقى هذا مجرد تعبير عن مقامنا، بل ينبغي أن يتغلغل في حياتنا اليومية. ولذلك يلزم تجديد مستمر يتم بالله نفسه، ويراعي مراعاة كاملة الوضع الذي نقف فيه، والمحيط الذي نعيش فيه، وتكويننا الخاص (الطبع، والمزاج، والمواهب، والضعفات، وظروف حياتنا، إلخ)، ويتلاءم مع هذه المعطيات.

9.2.6 كيف يتم التجديد؟

إنه يتم بالله نفسه. فالتحول أمر ينبغي أن نسمح بحدوثه فينا. والتجديد عمل الله. ونحن لا نستطيع أن نحُدثه. ومهمتنا هي أن نسلّم الله وجودنا كله، وآلا نشاكل العالم. هذا هو إسهامنا في عملية التجديد هذه. فإن انشغلنا بالعالم أكثر مما ينبغي، وأدخلنا طرائق التفكير العالمية إلى مركز تحكّمنا في التفكير والإرادة والتصرّف، وتكيّفنا، فسنغيّر نحن أيضًا، وسيظهر علينا (بطء ولكن بيقين) التشكّل بشكل العالم. ويحدث هذا داخليًا، ثم، بوصفه نتيجة لا مفرّ منها، خارجيًا أيضًا. وكثيرًا ما تجري هذه العملية خلسةً، دون أن تكاد تلاحظ. فسمّ العالم يقتل الحياة الروحية ببطء، حتى إن المرء يكاد لا يدرك العملية.

وفي المقابل هناك الحياة في «عالم الله»، في ملكوته، في الشركة مع الله، حيث أدعه هو نفسه يملأ تفكيرى ويرتبه ويوجهه. وفي هذه الحالة أيضًا لا أدرك أنا بالضرورة عملية التجديد.

فبأي شيء يتمّ التجديد؟ لا يتكلّم هنا عن ذلك. إنه عمل الله السيادي. فهو يستعمل كلمة الله، مقروءة مباشرة أو مسموعة في الوعظ. ويستعمل الهدوء، والصلاة والسجود، والقبول الواعي للتجديد والتقويم. ويستعمل شركة المؤمنين. وينتفع بكل موقف في الحياة، وكل اختبار. فكل شيء تربية وتدريب وتعليم من الآب. فأنا أستطيع إذن أن أدفع هذا التجديد إلى الأمام وأن أسنده، ولكنني أستطيع كذلك أن أعيقه. أستطيع أن أقرر أن أصير أكثر مشاكلة للعالم، كما أستطيع أن أصير أكثر شبهًا بيسوع. ونحن نقف أمام هذا القرار لا مرة واحدة، بل في النهاية كل يوم.

9.2.7 عالم الأفكار ساحة للمعركة

«أنا أفكر، إذن أنا موجود!» أفكارنا هي الرموز، أو الشيفرة، لحياتنا. والتأثير فيها، بل توجيهها، هو الـهدف الأكبر لعدو الله. فن يسيطر على مركز القيادة يمسك بكل شيء في يده. وهذا أيضاً لا يمس بالضرورة جميع مجالات الحياة، ولكنه قد يكون ذا تأثير بعيد المدى في سلوكنا. ويستطيع إبليس أن يبلغ حد إقامة حصون في عالم أفكارنا، بخطوة كبيرة واحدة، أو على مدى زمن أطول بخطوات صغيرة كثيرة (2 كورنثوس 10: 3-5):

«لأننا وإن كنا نملك في الجسد، لسنا حسب الجسد نحارب. إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية، بل قادرة بالله على هدم حصون (معازل)، هادمين ظنوناً وكل علو يرفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح.»

«إن أول أهداف المعركة التي يجب أن تُدمر هي <الحصون> التي في رؤوسنا. والمعنى الأصلي للكلمة اليونانية المستعملة هنا هو <معقل>. والمعازل هي أنماط تفكير سلبية انطبعت في أدمغتنا، إما بالتكرار الدائم، وإما بحدث صادم.»⁵¹

تنشأ أنماط التفكير وطرائق السلوك أو ردود الفعل المعتادة، من بين أمور أخرى، بفعل مؤثرات خارجية: «كانت هذه المؤثرات البيئية قصيرة في كل مرة، ولكنها تركت أثراً دائماً. ومنها مثلاً أحداث وأماكن ولقاءات معينة، وكذلك اختبارات شخصية. وفضلاً عن ذلك تشكّلنا بالكتب التي قرأناها، والأفلام التي شاهدناها، والموسيقى التي نحب أن نسمعها ... لقد طورنا طريقة، ربما تتوافق (وربما لا تتوافق) مع مشيئة الله، في كيفية معالجة هذه الأمور وفي كيفية حل الصراعات التي أثارها. والمؤثرات الدائمة في حياتكم تأتي من علاقات طويلة الأمد مع محيطكم، مثل تأثير العائلة، والأصدقاء والمعارف، والجيران، والمعلمين، وزملاء العمل.

في الولادة الروحية الجديدة غُسلت جميع خطاياكم، ولكن أنماط تفكيركم وسلوككم السابقة، التي نتجت عن التكيف مع محيطكم، بقيت متجذّرة في جسدكم. فيمكن للهزّ فعلاً أن يُولد من جديد، ومع ذلك يواصل رعاية أسلوب حياته <الإلحادي> السابق (وهذا يصحّ

51. نيل تي. أندرسون (Neil T. Anderson)، Lage، 1994، Neues Leben – neue Identität، ص. 153.

كذلك على الذين نشأوا في محيط مسيحي، ملاحظة المؤلف). لذلك يَحْتَنَّا بولس بإلحاح أن
تتغيّر بتجديد أذهاننا (رومية 12: 2).⁵²

كل ما اعتدناه وتعلّمناه يمكن أن يتغيّر بالتجديد الذي يريد الله نفسه أن يُجْريه في تفكيرنا
وحياتنا، إن سمحنا بذلك. فهناك أسلحة من الله تعيننا على تغيير البرمجة (الجسدية جزئياً)
لتفكيرنا.

9.2.8 كيف نريح المعركة؟

نحتاج أولاً إلى الموقف الأساسي المذكور أعلاه: التكريس تجاه الله - والرفض تجاه العالم.
ويقدم الكتاب المقدس إرشادات أخرى:

- أن ندع كلمة الله تملأنا بقراءة الكتاب المقدس (بانتظام)
- أن ندع سلام المسيح يملك (كولوسي 3: 15)
- أن ندع كلمة المسيح تسكن فينا بغنى (كولوسي 3: 16).

المعاقل والظنون هي في الغالب أكاذيب الشيطان. ولكي نكشف الأكاذيب، نستعمل
أسلحة النور والبر. فإن طرأت فكرة أو نمط تفكير، وإن فتح معقل أبوابه للهجوم، فإن
النداء الملحّ يرمي إلى أن نأسر هذه الفكرة فوراً إلى طاعة المسيح. فالمسيح أقوى. إنه
المنتصر.

أمثلة على معاقل الأكاذيب:

- الخوف والأوهام
- المخاوف من المستقبل ومن الفشل
- عُقد النقص ومشكلات تقدير الذات
- انعدام السلام والعصبية
- التجارب الفكرية
- الأفكار القهرية

52، نيل تي. أندرسون (Neil T. Anderson)، المرجع السابق، ص. 155.

- التعلّق بالناس، والأشياء، والأمر، والخيرات، والممتلكات، وبضمانات بشرية وملذّات.

يجب أن نكشف جميع هذه الأكاذيب وأن نأسرها تحت سلطان المسيح. وفي حالات كثيرة يكون الجواب أننا في أمان في المسيح، وأننا إلى الأبد أولاد الله المحبوبون، وأننا نعرف عناية الله بنا. لم يعد للخطية حق في أن تقمعنا وتعدّ بنا. لقد حرّنا المسيح.

9.2.9 أحلام اليقظة والتمنّيات

إن قدرة التفكير البشري مذهشة. ففي الخيال يستطيع المرء أن يسافر دون أن يدفع سنتاً واحداً. ويستطيع أن يبني عالماً موازياً يحقّق فيه الأمنيات التي حرّم منها في الحياة الحقيقية: يستطيع أن يكون نجماً مشهوراً، وأن يربح في اليانصيب، وأن تكون له عائلة مثالية، أو امرأة أخرى أو رجل آخر؛ كل هذا وأكثر منه بكثير ممكن في الخيال. ولكن لننتبه! فهذه الأفكار لا تسرق الوقت فحسب، بل تخدعنا بعالم لا وجود له. وهذه الأحلام والأمنيات، إذا ترسّخت عادات، ستؤثّر في تفكيرنا وقراراتنا. ونحن أنفسنا محور هذه الأحلام ومدارها! ومن الخطر أن نتخيّل أفعالاً لا تحدث إلا في عالم الأحلام. فالمرء يفقد صلته بالواقع.

«العقل البشري عقل شارد، والعقل الشارد عقل تعيس.»⁵³ لقد توصّل باحثون أمريكيون في دراسة إلى نتيجة مذهشة. فبحسبها يكون الناس نصف الوقت شاردي الـهن. فهم يسترسلون في أفكارهم، ويُطيلون التفكير في هذا وذاك، أو يحلّون ببساطة. والمشكلة: أن شرود الأفكار يجعل الناس تعساء على ما يبدو. وحتى إن لم تصح هذه الملاحظة دائماً، فإنها تدعونا إلى التفكير في أن عدوّ نفوسنا يستطيع بهذه الطريقة أن يلحق الضرر.

فماذا نفعّل إزاء ذلك؟ إليكم بعض النصائح التي تساعد على مقاومة ثقل عالم أفكارنا وزنحه الذاتي:

53. كاتب مجهول.

- بوجه عام ودائماً: لنركز على ما نفعله الآن، أي على اللحظة الحاضرة، لكي تؤدي مهمتنا والتزاماتنا أداءً حسناً!

وحين نكون أحراراً أن نفعل ما نريد:

- لنصل لأجل كل ما يخطر ببالنا! لنجعل من كل شيء صلاة!
- لنقرأ في الكتاب المقدس أو في كتاب ذي قيمة روحية!
- لنحفظ آيات من الكتاب المقدس غيباً، لكي نستطيع أن نتأمل في كلام الله حتى بدون كتاب مقدس في أيدينا! فربما سنختبر يوماً زمناً بلا كتاب مقدس!
- لنفكر كيف نستطيع اليوم أن نقدم خدمة للرب يسوع!
- لنأمل في الرب يسوع، في حادثة من الأناجيل نتذكرها!
- لنهض ونفعل شيئاً شبيهاً للشيطان! لنتحرك، ولنقم بعمل ما!
- لنبحث عن محادثة! لنصل بأحد ونسأله عن حاله!

9.2.10 مشيئة الله – مختبرة وثبت صلاحها!

... لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

مشيئة الله على تناقض مع دهر العالم. فهذا الدهر (أي أهل العالم) لا يبالي كثيراً بما يريده الله. ولكن هذا لعب بالنار - بكل معنى الكلمة. ويقول يوحنا ذلك هكذا (1 يوحنا 2: 15-17):

«لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب؛ لأن كل ما في العالم، شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة، ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضي وشهوته، وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد.»

للعالم تاريخ انتهاء صلاحية. ومن ينظر بدقة يرى أن هذا التاريخ قد انقضى تقريباً. فالعالم الذي بناه الإنسان محكوم عليه بالزوال. ولا شيء فيه أو عليه يبرر تمديد المهلة. فرائحة الموت عالقة به. ويبدو أن هناك اليوم مسيحيين لم يعودوا يشمون رائحة التحلل هذه.

الله وحده صالح وكامل، وهذا يصح أيضاً على مشيئته، التي هي فوق ذلك مرضية. وهذا يذكر بذبائح العهد القديم التي كان يجب أن تكون بلا عيب ولا لوم. فهذه وحدها كان يجوز تقديمها. وهكذا ينبغي، مع معرفة مشيئة الله في جميع ظروف الحياة، أن يُقدّم وجودنا كله في البدن (ويدخل فيه الإنسان الداخل أيضاً) ذبيحة لله. والتجديد المستمر لذهننا يجعل معرفة مشيئة الله ممكنة. قد تكون قوائم المراجعة والنصائح الجيدة مفيدة، ولكن الله يريد أيضاً أن يصنع في تفكيرنا الشروط اللازمة لمعرفة مشيئته.

9.3 رومية 13: 13-14: البسوا المسيح - ولا تصنعوا تدييراً للجسد

لنسلك بلياقة كما في النهار، لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، لا بالخصام والحدس (الغيرة)؛ بل البسوا الرب يسوع المسيح، ولا تصنعوا تدييراً للجسد لأجل الشهوات.

قبل أن نهي دراسة الرسالة إلى رومية، لننظر أيضاً في هذا المقطع، لأنه الوحيد بعد الأصحاح 8 الذي يذكر «الجسد».

يبقى قصد الله لنا قائماً إلى آخر يوم لنا: إنه يريد أن يغيّرنا إلى صورة ابنه. وليس المقصود نسخة من حياة يسوع؛ فلا ينبغي أن نصير نجارين. بل المقصود بالأحرى أن نتخذ في حياتنا، بحسب شخصيتنا الفردية، طبيعة يسوع أكثر فأكثر. وهذا يشمل محبته، وحقه، ويره - وفي النهاية كل ما نستطيع أن نراه فيه من سمات أخلاقية. لقد منحنا الحياة الجديدة من قبل، وعلينا الآن أن نعطيها إمكانات النمو، وأن ندع الرب يعظم في حياتنا، وأما نحن فنراجع.

هذه الكلمة تدعونا إلى أن نلبس الرب يسوع المسيح كالثوب. وهذه في الحقيقة استعارة قوية لا تُشرح أكثر. ففي ليل العالم الخالي من الله تمارس الخطية بكل أشكالها، ولا ينجل الناس من ذلك حتى أمام الملاء. وفي مقابل ذلك تقف مشيئة الله الحاسمة لكل شيء. فلا ينبغي أن يرى فينا الجسد، بأن نستسلم لشهواته، بل يسوع المسيح.

وهنا أيضاً يُشار إلى أن أموراً كثيرة يمكن أن تحدث ويُسمح بها في الفكر، إلى أن تُشبع الشهوة فعلاً ويسقط المرء في التجربة. فلا يجوز أن يُعتنى بالجسد أو يدُلّل. وترجم «ترجمة شلاتر» (Schlachter، ترجمة ألمانية للكاتب المقدس) ترجمة لا لبس فيها: «لا تعتنوا

بالجسد إلى حدّ إثارة الشهوات» (Schl 2000). علينا أن نُثْمِت أفكار الجسد وأعماله! نحتاج إلى موقف لا مساومة فيه، وقد وصفه بولس بالتفصيل في رومية 8. «إن الرغبة في حياة مريحة خالية من الصراعات قد تُغرينا بأن نتهرب من قرارات مهمة ومن تبعاتها، لكي نريح جسدنا، ولكننا بذلك سنعتني به حتمًا، فيستطيع أن يُثر بلا عائق. فإن دُلل الجسد ورعي، فسيقوم دكاتوريته في حياتنا. وإن أعفني بسبب عدم الحزم، وأُشْبعت رغبته، فسيصير أكثر جوعًا وشهوة باستمرار. إن رعاية الجسد لا تخدم (كما يدعى اليوم كثيرًا) قبول الذات وتنمية الشخصية، بل تُثير شهوات تعارض أفكار الله.»⁵⁴

9.4 خلاصة القول

من يقدم بدنه وحياته على مذهب الله يخسر حياته، حياة الأنا. ولكن ماذا يقول الرب يسوع بمعنى كلامه؟ «من يخسر حياة الأنا، يربحها» (قارنوا لوقا 9: 24؛ 17: 33). وقد كتب جيم إليوت (Jim Elliot): «ليس أحق من يعطي ما لا يستطيع أن يحتفظ به، لكي ينال ما لا يستطيع أن يخسره.»⁵⁵

إن كُنا راغبين، فسواصل الله تغيير تفكيرنا. وعندئذ سنصل إلى حيث يبدو لنا، ونحن نعمل مشيئة الله، كأننا نعمل مشيئتنا نحن. هذا هو ناموس الحرية (يعقوب 1: 25؛ 2: 12): أن نريد طوعاً ومن القلب ما يريده الله. هذه هي الحياة الوحيدة التي تستحق العناء. وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد!

54. فالتر نيتشه (Walter Nitsche)، Versagen und innere Zerrissenheit، ص. 76.
55. النص الأصلي هو الآتي: «He is no fool who gives what he cannot keep to gain what he cannot lose.»

10. القديم والجديد - نظرة شاملة

القديم	الجديد	الشواهد
الأشياء العتيقة قد مضت قد صار	جديداً 2 كورنثوس 5: 17	
في	آدم في	رومية 5: 12 - 8: 11 المسيح وغيرها
خطاة	أبرار	رومية 5: 19
الإنسان	العتيق الإنسان	القديم رومية 6: 6؛ أفسس 4: 20- 24؛ كولوسي 3: 9-11
بدن	أن تقدّم بدنا وأعضاءنا رومية 6: 6، 12-23؛ 8: الخطيئة ذبيحة	لله 13؛ 12: 2-1
في	الجسد في	الروح رومية 8: 9-8
ناموس	الخطيئة والموت ناموس روح	الحياة رومية 8: 2
الجسد	(فيما) الروح القدس	رومية 8: 1-11؛ غلاطية 5
الخطيئة - تسود علينا، ونحن أموات عن الخطيئة: جدّة	الحياة؛ «أحياء من رومية 6 (ورومية 8) تحتها الأموات»	
الموت	حياة رومية 8: 15؛ 1 كورنثوس 15: 45؛ 1 الروح أحيينا	جديدة، يوحنا 3: 14؛ أفسس 2: 5؛ وغيرها
الجسد (لا يفيد شيئاً؛ والإنسان المعني لا يستطيع أن مولود يتمّ ناموس الله) في	من	جديد يوحنا 3: 6؛ 63 رومية 8: 7
النهاية: الموت في الغاية: الحياة الأبدية رومية 21-23		

الموت	التجديد	رومية 6: 21؛ أفسس 24-22: 4
أرضي - الأعضاء التي على الأرض: الزنى، سماوي النجاسة، الهوى، الشهوة الردية، الطمع، الدعوة، الغضب، السخط، الخبث إنلج الهدف	- كولوسي 3: 1-11؛ 1 كورنثوس 15: 48-49	
ممتلئون من ذواتنا: ليس فينا شيء صالح ما دام المسيح ليس فينا. المسيح	كولوسي 3: 11؛ غلاطية 2: 19-20؛ فينا وغيرها رومية 7: 18	

11. ما هو الجسد؟

كثيراً ما يُسمَّى الجسد بين المسيحيين «الطبيعة القديمة»، في مقابل «الطبيعة الجديدة» التي نلناها في الولادة الثانية. ومن التعابير الأخرى عنه: الطبيعة الآدمية، طبيعة الخطية، الطبيعة الجسدية، الكيان البشري أو المتمحور حول الذات، الكيان الخاطئ، العتيق، أو أيضاً الأرضي. ومع أن هذه التعابير مفيدة، فإن العهد الجديد يسمِّيه دائماً «الجسد». يقصد بـ«الجسد» الطابع الذي طبعته الخطية في الإنسان، كما هو متأصل في وجوده الجسماني والنفسي.⁵⁶

ترد كلمة الجسد بمعان مختلفة. وفي معظم الحالات يكون المقصود الإنسان. ويجب أن يُوضَّح معنى الكلمة في كل سياق نصي على حدة. فقد يكون المقصود الجانب الأخلاقي، أو الجانب المخلوق المادي، أو الجانب الزائل (إشعيا 40: 6-8)، أو العاجز (إرميا 17: 5، 7)، أو الضعيف من الجسد البشري، أو الشركة الزوجية (تكوين 2: 24؛ 1 كورنثوس 6: 16)، أو القرابة العائلية (رومية 1: 3؛ 9: 3)، أو البشرية كلها (رومية 3: 20). ويستعمل بولس الكلمة 78 مرة في المجموع (منها 63 مرة في الرسالتين إلى رومية وغلطية) للدلالة على الكيان البشري الساقط والخاطئ.

فبولس إذن يستعمل كلمة «الجسد» بالمعنى الأخلاقي. وبهذا المعنى يستعملها أيضاً بطرس (1 بطرس 2: 11؛ 2 بطرس 2: 10، 18) ويوحنا (1 يوحنا 2: 16). ويتكلم يعقوب عن الشهوة (يعقوب 4: 3-1).

إن مفهوم «الجسد» - في مقابل «الروح» - ذو أهمية مركزية لموضوع «تغيير الجانب». والقول الجوهرى، حين يتعلق الأمر بالصراع في الحياة المسيحية، هو ما يقرره بولس: «لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر» (غلطية 5: 17).

56. رولاند أنثولتسر (Roland Antholzer)، (GIBB) e.V. Gemeindeorientierte Initiative für biblische Beratung.

لا يقف في حياة المسيحي طرفان أحدهما مقابل الآخر كما يوجدان بقدر أو بآخر في كل إنسان. فالأمر ليس مجرد صراع بين الشر والخير، الذي يجري بقدر أو بآخر في كل إنسان. بل الأمر هنا يتعلق ببعد آخر: فالروح هو الروح القدس، الله نفسه، الذي دخل حياة إنسان آمن، وكانت حياته تحت سيطرة الجسد. والجسد هو ذلك الجزء من الكيان البشري الذي بقي في المسيحي بعد ولادته الثانية من الحياة القديمة في آدم.

في الحياة اليومية تُستعمل كلمة **الحم** (بالألمانية كلمة واحدة مع «الجسد»: Fleisch) حين يكون الكلام عن الجزار والطعام، وكذلك في علم التشريح حين يكون الكلام عن الأنسجة البشرية. وكلا الاستعمالين يوافق استعمال الكلمة في الكتاب المقدس. فكثيراً ما يقصد ببساطة البدن البشري (مثلاً رومية 2: 28). ولكن معنى الكلمة يتجاوز مجرد المادية. فالجسد (أي الإنسان في وجوده الأرضي) ليس ضعيفاً وفانياً وزائلاً فحسب. بل قد اتخذ بفعل الخطية سمات تعارض طبيعة الله. ومعنى الجسد، كما يستعمله بولس في رومية 7 و8 وفي مواضع أخرى، لا يصف الجانب المادي من الإنسان، بل جانبه الأخلاقي والسلوكي. فالجسد يعني إذن هشاشة الوجود البشري وسقوط الطبيعة البشرية. «الجسد هو الطبيعة البشرية كما صارت بفعل الخطية».⁵⁷

الجانب الأخلاقي والسلوكي يصف **كيف** هو الإنسان: ما دافعه، وما أهدافه، وكيف يتصرف تجاه الله، وكيف تجاه قريبه؟ فالأمر يتعلق بكيانه، وطبيعته، وجبلته من الناحية الأخلاقية، مقيسةً بكيان الله وطبيعته. فالجسد (أي كيان الإنسان واتجاه حياته) ليس متجهاً نحو الإله الحقيقي، مع أنه قد يكون متديناً. لقد أوضح الرب يسوع لنيقوديموس أن الولادة الجديدة ضرورية، لأن المولود من الجسد جسد هو (يوحنا 3: 5-8). وبما أن الجسد لا يفيد شيئاً في ما يتعلق بالله (يوحنا 6: 63)، فلا بد من ولادة من الله، من الروح، لكي يُخلَق شيء جديد.

11.1 الخطية والجسد

الخطية مبدأ موجه ضد الله، يرفض احتكاره للسلطان. وقد كان هذا المبدأ موجوداً من قبل، حين لم يكن هناك بعد «جسد» بمعنى بشر مخلوقين، بمعنى خلائق من لحم ودم. فإبليس، وربما كان أسمى كائن روحي مخلوق، اتبع هذا المبدأ، إذ أساء استعمال حرّيته.

57. ولیم باركلي (William Barclay)، 1968، «Fleisch oder Geist»، ص. 19.

وآدم، الإنسان الأول، فتح الباب للخطية، إذ تعدّى وصية بسيطة. وبذلك دخلت الخطية إلى الإنسان، بل إلى أعمق كيانه ووجوده (إلى قلبه). ومنذ ذلك الحين تسكن الخطية في كل إنسان (رومية 7: 17)؛ فهو **خاطئ**. ونقل آدم طبيعته إلى جميع نسله. وهكذا صرنا خطاة بالولادة.

الجسد هو الإنسان، كيانه، شخصيته الفردية، التي تحددها الخطية الساكنة فيه. ويعبر بولس عن ذلك بإيجاز حين يقول: «أنا ... جسدي مبيع تحت الخطية» (رومية 7: 14). فالخطية هنا هي السيد ومستخر العبيد، والجسد (أي الإنسان) عبدها. والخطية والجسد متشابكان تشابكاً وثيقاً، حتى إنه يكاد يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر.

الجسد ليس مبدأ تمرّد على الله فحسب (كالخطية)، بل يعني أيضاً كل إنسان بدون المسيح في فرديته. فالجسد هو مزيج خصائص الشخصية والطبع. والجسد من الناحية الأخلاقية هو أداة الخطية. فجسدي، أي جسمي، مستعبد للخطية. والخطايا ترتكب بالبدن (أي بالبدن والرجلين واللسان). وهكذا فالبدن ليس أداة محايدة فحسب، بل هو أيضاً موسوم بالعادات الخاطئة والشهوات والميلذات.

11.2 الجسد والإنسان غير المؤمن

لا يمكن في أي موضع أن يُشَهد لـ«الجسد» بشيء إيجابي. فمن منظور الله لا أمل في إصلاح الجسد. وأول إشارة إلى هذا المعنى للجسد، الذي لا يُسَـط بالتفصيل إلا في العهد الجديد، هي قول الله عن الإنسان قبيل الطوفان: «ورأى الله الأرض فإذا هي قد فسدت، إذ كان كل جسد قد أفسد طريقه على الأرض» (تكوين 6: 12)؛ انظروا أيضاً الآية (3).

الإنسان غير المؤمن هو «حسب الجسد» و«في الجسد» (رومية 8: 5-8). فوجوده كله، في ضوء قداسة الله وبرّه، ليس إلا «جسداً»، أي ليس إلا كياناً خاطئاً يحدده تفكيره الخاص وشهواته (رغباته غير المشروعة) ونزواته. ولا يُسمى غير المؤمن جسدياً. فهذه الصفة لا تُستعمل إلا للمسيحيين الذين يتبعون الكيان العتيق، مع أنه كان ينبغي لهم في الحقيقة أن يعيشوا عيشة روحية بالروح الساكن فيهم (1 كورنثوس 3: 1).

الإنسان البعيد عن المسيح ينظر إلى ما هو أمام العيون (أي إلى المنظور). فالأهم تطلب الأمور الأرضية أو المتعلقة بهذه الحياة الدنيا (وهي متورطة في «هموم ... الحياة»⁵⁸)، إذ تبذل كل شيء لأجلها، دون أن تدرك أن الله هو معطي كل الأشياء (متى 6: 32). وبهذا المعنى فالجسد متجه إلى هذه الحياة الدنيا وموجه نحو المنظور. إنه متعلق بالمنظور - بما يبدو آمناً. وهذه أيضاً سمة من سمات الجسد لا تعرف للوهلة الأولى على حقيقتها، إذ كثيراً ما نعدّ الهمّ القلق على معيشتنا أمراً إيجابياً، أي حساً بالمسؤولية نأخذه بمجدية.

11.3 الجسد والمسيحي

لم يعد المسيحي «في الجسد»، بل هو «في المسيح» و«في الروح». ولكن الجسد لا يزال موجوداً فينا، غير أنه لم يعد في الموقع الذي يحق له فيه أن يحدد تفكيرنا وأفعالنا. إنه يبقى العدو اللدود للروح القدس، ومن ثم للمسيحي. بل لا تزال لديه الإمكانيات لأن يحدد حياة المسيحي ويطبّعها بطابعه، إن لم تقبل ما عمله الله لأجلنا، وإن لم نطبق نحن بأنفسنا حكم الموت على أعمال الجسد (رومية 8: 13). لقد دان الله في يسوع الخطية والجسد وصلبهما. وهذا قد قبلناه بالإيمان، وعلى هذا الأساس ننظر إلى الجسد الذي فينا. ومع ذلك فهو لا يزال فينا، بلا تغيير في طبيعته. والإشارات الكثيرة الملحة إلى التعامل الحازم مع شهوة الجسد (أي إلى عدم إعطاء الجسد مكاناً) تفترض أن هذا الجسد لا يزال فينا.

لقد شهد يسوع لنيقوديموس بعدم نفع الجسد وعجزه. «مرة أخرى يتطرق يسوع إلى لب المشكلة، ويبين الاستحالة التامة لجعل الجسد روحياً. فالمولود من الجسد جسد هو، ولن يكون أبداً أي شيء آخر. قد يكون جسداً متعلماً تعليماً جيداً، جسداً مثقفاً، جسداً ذا خبرة واسعة في الحياة، جسداً صالحاً أخلاقياً، بل جسداً متديناً، ومع ذلك يبقى جسداً»⁵⁹.

«الجسد يبقى خاطئاً! هل هيأنا أنفسنا بوعي تامّ لحقيقة أننا في حالتنا الأرضية نملك <جسداً> لا يزال يشتهي أن يقاوم ناموس الله، ويعرض نفسه بسرور أداة للخطية؟ هل نحن مستعدون لذلك؟»⁶⁰

58. قارنوا لوقا 8: 14.

59. روث باكسون (Ruth Paxson)، Life on the Highest Plane، ص. 190.

60. فالتر نيتشه (Walter Nitsche)، Versagen und innere Zerrissenheit، ص. 11.

ولكن لا يجوز لنا أن نسمّي مجرد وجود الجسد وعلامات حياته خطية. فالخطية تحدث حين نستسلم للجسد، وندع نزعات الجسد وأعماله تأخذ مجراها ولا نُميتها. وسندرك مع الوقت أكثر فأكثر الفساد الكامل الذي لا يتغيّر لجسدنا، دون أن نعيش حسب الجسد. فالجسد كوحش، كأخطبوط ذي مجسات كثيرة. وكلما دخل حياتنا مزيد من الفهم الروحي، صرنا أكثر وعياً للفساد الكامل لجسدنا نحن. وينبغي أن تزداد معرفة الذات هذه، بموازاة معرفة النعمة والمحبة اللتين مات فيهما المسيح لأجلنا. فَنَ يحِبُّ أمله من شرّ جسده وانخطاطه، لم يفهم بعد أنه لا يمكن انتظار شيء من الجسد، وأنه لا أمل في إصلاحه.

لقد قرّر الله ألا ينزع الجسد منا. ومن الواضح أن وجود الجسد وعدوانيته في المؤمن ضروريان للنمو الروحي:

- إنه يكشف ضعفنا الداخلي.⁶¹
- إنه يقتل كبرياءنا وخطرستنا.
- إنه يذلنا مرة بعد مرة.
- إنه يدفعنا باستمرار إلى أن نطلب العون من الله.
- إنه يرينا عدم جدوى الجهد البشري.
- إنه يعلمنا أن نتكل على الرب وحده.
- إنه يقودنا إلى أن نحبّ المخلص الذي أنقذنا من الخطية.
- إنه يأتي بنا إلى حياة توبة دائمة.
- إنه يجعلنا ساهرين ضد اعتداءات الخطية.
- إنه يعزز الشوق إلى السماء.
- إنه يدفعنا إلى أن ننتفع بجميع إمكانيات النعمة الإلهية.
- إنه يشجعنا على تنمية عادات مقدّسة (أو صالحة وروحية).
- إنه يدفعنا إلى أن نطلب عون إخوتنا وأخواتنا.

الجسد يحملنا على أن نحث كل يوم عن حلول، وذلك في ضوء ما يقوله الله لنا عن ذلك في كلمته. ولا ينبغي أن نتظر معجزة مفاجئة. فالله لا «يخفي» المشكلات المتعلقة بجسدنا

61. http://www.keepbelieving.com/sermon/2001-08-26-Full-Speed-Ahead-One-Step-at-a-Time-How-You-Can-Walk-in-the-Spirit-Every-Day

بلهسة سحرية، لأنه ينبغي لنا ويمكننا أن نتصرّف، إذ أعطانا ما نحتاج إليه حياة منتصرة. وهذا ما سنتعمّق فيه خاصة في الأصحاح التالي. وسيقع في ذلك تكرار أكثر من مرة. ويصحّ هذا أيضًا على الأصحاحات التي تليه. فجميع الأصحاحات تعالج في النهاية موضوعًا واحدًا، ولكن من زوايا نظر مختلفة. ولكن بما أنه موضوع **واحد** - تغيير الجانب من آدم إلى المسيح - فسننشغل، ونحن نعالج زاوية نظر واحدة، مرة أخرى بأمور مختلفة سبق أن تناولناها. فزاوية النظر الواحدة ترجع إلى زوايا النظر أو الجوانب الأخرى. ولا يمكن شرح جانب واحد بمعزل عن الجوانب الأخرى.

12. الجسد ضد الروح

الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر.

غلاطية 5: 17

لقد اختبر أهل غلاطية اختباراً مؤثراً ما أحدثه الإنجيل: لقد تبرّروا، ونالوا الروح الذي أكّد بآيات وعجائب أن الله نفسه هو مصدر رسالة الإنجيل المجيدة. ولكن ماذا حدث؟ إن متهودين، نشطوا بوصفهم معلمين للناموس، تعقبوا بولس، وحاولوا أن يدخلوا الناموس الموسوي في الكنائس المؤسسة حديثاً. لقد قدّموا الناموس على أنه ضروري للخلاص وللحياة، ولعلّ المسيحيين من أصل يهودي خاصةً تجاوبوا مع ذلك تجاوباً إيجابياً. هذا هو سبب الرسالة إلى غلاطية، التي يتصدى فيها بولس لذلك بشدة: إن أسس الإنجيل تُمسّ حين يُمزج الناموس بالإنجيل. فمع الناموس والإنجيل يصطدم عالمان لا يجتمعان.

12.1 ما الذي كانت عليه المشكلة؟

بإعادة إدخال الناموس ارتدّ أهل غلاطية إلى زمن الناموس، ومن ثمّ إلى زمن الحياة الجسدية أيضاً. لقد التجأوا إلى الناموس، زاعمين أنه ضروري للخلاص وبوصفه مقياساً للحياة. ولعلّهم دافعوا عن هذا الرأي أمام بولس أيضاً. ولكن الرسول يوضح لهم أنهم لن يخلصوا في هذا الطريق. وفوق ذلك (وهذا يخصّ موضوعنا الرئيسي) ظهر أنهم لم يستطيعوا أن يحفظوا الناموس. فقد تصرفوا بعضهم مع بعض كالوحوش الضارية التي كأنها يفتقأ بعضها عيون بعض ويفترس بعضها بعضاً. ويقول بولس بشيء من السخرية إنه ينبغي أن ينتهبوا لثلاً يأكل بعضهم بعضاً. وهو بذلك يشهر بحقيقة أن محبتهم للناموس وأمانتهم المزعومة للناموس كانتا تأتيان بعكس المقصود. فلم يخرج من ذلك شيء صالح. لقد نسي أهل غلاطية أن زمن الناموس، ومن ثمّ زمن الجسد، قد انقضى. فالنظام القديم قد أبطل. والآن قد بزغ عصر الروح والحرية.

الجسد (الطبيعة الآدمية العتيقة الساقطة) يحتاج إلى الناموس وأوامره ونواهيه. ولكنه كان ولا يزال عاجزاً: ليس الناموس هو الذي فشل، بل الإنسان. فماذا يضع بولس في المقابل؟ روح الله. إن الرسالة مرافعة مؤثرة عن روح الله بديلاً من التوراة! فروح الله،

الذي أرسله المسيح، يكفي لكل شيء! به نحيا ونسلك، يقول بولس. المسيح هو المركز، أساس تبريرنا؛ والروح هو الذي به نحيا ونلبس طبيعة المسيح. ولكن الهدف ليس الانفلات من كل ناموس؛ فناموس المسيح يصير الآن حقيقة في حياتنا اليومية بروح الله.

12.2 عمل الجسد

الإشارة إلى الحيوانات المفترسة تُرينا إلى حدّ ما كيف هو جسدنا. فالجسد يشبه سنّوراً مفترساً، يسعى دائماً وراء الفريسة والسيطرة. وفي السيرك يروّض المروّض مثل هذه السنّوريات الكبيرة، ولكن ذلك لا ينجح إلا بحضور واثق وبتواصل بالنظر دائم ومراقب. وهذا الموقف مثال لنا أيضاً. وسنتكلّم عن ذلك لاحقاً.

لأن أهل غلاطية أحبّوا الناموس بدلاً من الروح، ظهرت أعمال الجسد. فتعاملهم بعضهم مع بعض كان يحدّده سلوك جسدي (أي خاطئ). ولا يهتم بولس في الصراع بين الروح والجسد بما يحدث **فيّنا**، بل بما يجري **بيننا**. فلا يتعلّق الأمر في هذا الصراع بانتباه موجه إلى الداخل وبتأمّل في الذات - بما يجري فيّ، بل بسلوك يشعر به الآخرون: إما حبّ الجسد الباطل والجسد، وإما الاستعداد لحمل ثقل الآخر (5: 26 - 6: 2). ومصدر الأول هو الجسد. أما الروح فيريد الخير للآخر، كما تحقّق يسوع المسيح. لذلك ينبغي أن يتّخذ المسيح فينا صورة من خلال ثمر الروح، الذي ليس إلا التعبير عن طبيعته. وأعمال الجسد الميتة، التي تشهد لآدم المحكوم عليه بالموت، ينبغي أن تُتفنى من شركة المؤمنين. وهذا لا ينجح إلا بعمل الروح. فالثمر الإلهي لا ينمو بالجهد الذاتي، بل يحدّثه الله، الذي وحده يعطي النمو.

الروح والجسد في صراع لا ينتهي. فالأمر يتعلّق بمبدأين عظيمين، يمثّل أحدهما الطبيعة الخاطئة، ويمثّل الآخر روح الله. ونحن جميعاً معنيّون شخصياً، لأن الجسد لا يزال يسكن فينا. والله القدّوس يتصدّى له، إذ يستعمل روحه القدّوس. أمر مدهش! لا بدّ أن هذا يتطلب قوة هائلة - فالله نفسه ينزل إلينا ليخوض هذه المعركة.

إن الصراع بين الروح والجسد في الرسالة إلى غلاطية لا يرمي في المقام الأول إلى أن قلّبين يخفّقان في صدرنا. فهو لا يعلم صراعاً متواصلاً بلا انقطاع في داخلنا (على غرار ما يوصّف في رومية 7). بل يتعلّق الأمر أولاً بسلوك أهل بيت الله بعضهم مع بعض. لا يتعلّق الأمر بما أخبره حين أكون وحدي، بل بما نكون عليه حين نمارس الشركة معاً.

وطبعاً يتعلّق الأمر أيضاً بصراع فينا، لأنّ لنا الجسد فينا، بينما يسكن روح الله فينا في الوقت نفسه. فنزعات الجسد موجودة أيضاً حين نكون وحدنا.

بعد هذا المدخل السريع إلى الرسالة إلى غلاطية في إطار الموضوع الأشمل، نجمع من الرسالة أولاً ما صرنا عليه بوصفنا مسيحيين. فالصراع بين الروح والجسد لا يعالجه بولس إلا في نهاية الرسالة.

12.3 المسيحي في الرسالة إلى غلاطية

- بذل يسوع نفسه لأجل خطايانا (4: 1).
- مُنقَدِّون من العالم الحاضر الشرير (أو من الدهر الحاضر) (4: 1)
- الحرية في المسيح يسوع (2: 4؛ 5: 1)
- متبرِّرون بالإيمان بالمسيح (2: 16-17)
- أموات للناموس (2: 19)
- نحيا لله (2: 19)
- مصلوبون مع المسيح (2: 19)
- المسيح يحيا في المؤمن (2: 20)
- محبوبون من المسيح (2: 20)
- نلنا الروح (3: 2، 5)
- مباركون بالإيمان (3: 9)
- مُفتَدِّون من لعنة الناموس (3: 13)
- نلنا موعد الروح القدس (3: 14)
- لا حياة بالناموس، بل بالإيمان (3: 21-22)
- أبناء الله بالإيمان (3: 26)
- لقد لبسنا المسيح (3: 27).
- نحن في المسيح (3: 28؛ 5: 6).
- نحن للمسيح (ملكه) (3: 29؛ 5: 24).
- مُفتَدِّون لننال التبني (4: 5-6)
- روح الابن في قلوبنا (4: 6).

- الله أبونا الحبيب (4: 6).
- ورثة بالله (4: 7)
- المسيح يتصورّ فينا (4: 19).
- مولودون حسب الروح (من الروح) (4: 29)
- مدعوون من الله (5: 8، 13)
- نسلك بالروح (5: 16، 25).
- الروح يقودنا (5: 18).
- نحيا بالروح (5: 25).
- ورثة ملكوت الله (5: 21)
- حياة أبدية (في القيامة) (6: 8)
- أهل الإيمان (6: 10)
- مصلوبون للعالم (6: 14)
- خليفة جديدة (6: 15).

هذه حصيلة هائلة لعمل الله الخلاصي. هذا هو الخلاص بصيغة الخبر - أي ما هو ملكنا «منذ الآن» على الأرض بالإيمان. وبعد أن وعينا قائمة الخلاص هذه وعياً مفصلاً، نشغل انطلاقاً من هذا المنظور بالطريقة التي ينبغي أن نتعامل بها مع الجسد وشهواته، وبكيف يمكن أن ينمو ثمر الروح.

12.4 الناموس والجسد - ترسان في جهاز تروس واحد

كيف يحدث أن يتناول بولس في هذه الرسالة إلى أهل غلاطية موضوع شهوة الجسد والشهوات تناولاً ملهوساً إلى هذا الحد؟ إنه يُبين أن الناموس لم يُعِهم على حياة مقدّسة. بل على العكس، لقد أخرج الناموس من جديد حياة أهل غلاطية القديمة. فالناموس يستفز الخطية وشهوة الجسد بنواهيه وأوامره (انظروا أيضاً رومية 7). ويقدم بولس البرهان فوراً: لم يحفظ أهل غلاطية الناموس الذي كان يطالب بحبة القريب. فحتى هذه الوصية (التي ليست موسوية فحسب، بل مسيحية أيضاً) صعبت عليهم، لأنهم تعاملوا بعضهم مع بعض بأي شيء إلا باللطف (غلاطية 5: 15). فادّعاء الأمانة للناموس والواقع كانا متباعدين جداً. الجسد والناموس متلازمان، لأن الناموس موجه إلى الإنسان الطبيعي غير المولود من

جديد. وهذه الرابطة، التي تنفصم عند مَنْ آمن، أعادها أهل غلاطية من جديد. أفلم يكونوا بذلك يُحيون الإنسان العتيق من جديد؟ ولكن بولس يريهم كيف تبدو جِدَّة الحياة في الروح.

12.5 الصراع الكوني القديم والصراع الشخصي الحاضر

في بداية تاريخ البشرية وقع السقوط. ونتيجةً لذلك وضعت عداوة بين نسل المرأة ونسل الحية، إبليس (تكوين 3: 15). فالمسيح هو نسل المرأة، وسيسحق رأس الحية، وإن كان ذلك مع الآلام. وهذه العداوة، التي هي في النهاية المواجهة بين النور والظلمة، ذات طابع كوني وحاضرة في كل مكان، ولكنها وصلت أيضًا إلى داخل كل مسيحي. فبالحياة الجديدة وبدخول الروح إلى قلب المسيحي يوجد هناك الآن قطبان متضادان لا يمكن أبدًا التوفيق بينهما، ولا يمكن أبدًا توحيد اتجاههما، أي حرب بين طبيعتين. قائدان، أي الروح والجسد، يقف أحدهما مقابل الآخر ويتحاربان. «المسيحي هو في آن واحد مسرح المواجهة بين الجسد والروح وموضوعها، ساحة المعركة وجائزتها»⁶² والخصمان لا يعرفان هدنة. أبدًا. فحيثما كنّا، كان الجسد هناك؛ فنحن نحمله معنا. ولكن روح الله القوي أيضًا فينا. إنه يقف دائمًا إلى جانبنا ليعيننا في هذا الصراع. وبتعبير أفضل: إنه يريد أن يقود هذه المعركة. ولكن بولس لا يؤكّد المعركة الدائمة، بل الحياة اليومية بالروح. وبحقّ للمسيحي أن يكون واثقًا من أن الروح سيغلب. والاستثناءات، أي الزلات، تؤكّد هذه القاعدة!

12.6 عيشوا واسلكوا بالروح!

اسلكوا في الروح (بالروح)، فلا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح، والروح ضد الجسد، وهذان يقاوم أحدهما الآخر، حتى لا تفعلوا ما تريدون.

غلاطية 5: 16-17

بدلاً من أن يعيش أهل غلاطية حسب الناموس، كان ينبغي أن يسلكوا بروح الله، لئلا يعطوا الجسد وآثاره مكاناً. فهذا وحده كان يمكن أن يتعامل متلقّو الرسالة بعضهم مع بعض بحبة.

62. ه. شليير (H. Schlier)، Galater، ص. 181، مقتبس عند إ. ماورهورف (E. Mauerhofer)، Der Kampf zwischen Fleisch und Geist bei Paulus.

الجسد شيء مفعم بالحياة. **فالشهوة والرغبة** قوتان شديدتان، وهما علامة حياة الجسد. وشهوة الجسد تشمل كل رغبة غير مشروعة تدور حول تحقيق أهداف أنانية والسعي وراءها. ويمكن أن تكون أموراً كثيرة - حتى أموراً ربما لم نكن لنخمنها أبداً. فيمكن للمسيحي أن يعمل الأمر الواحد نفسه بالروح أو بالجسد. والمصدر والدافع والهدف هي التي تحدد هل يعمل المرء ذلك الأمر في الروح (أي بفكر روحي) أم في الجسد (أي بفكر جسدي). والمالك القديم المخلوع لحياتي القديمة يتجسد في الجسد، أو في الخطيئة. والمالك القديم لا يزال موجوداً، وإن لم تعد له صلاحيات ولا حقوق. إنه لا يزال يرافقنا في الطريق، ما دمنا لسنا بعد عند الرب ونعيش في جسمنا الأرضي. والجسد ليس مطابقاً للجسم البيولوجي، بل بالأحرى يستعمله، كما تستعمله النفس والروح أيضاً أداة. وأعمال الجسد لا تتضمن الأفعال التي تعمل باليدين والرجلين فحسب، بل أيضاً أموراً ذهنية تنتمي إلى مجال الأفكار والأحاسيس والمشاعر (الكبرياء، والعناد، والازدراء، والجحود، والكراهية، والأفكار النجسة، والزنى في الفكر، والطموح الخاطئ أو المفرط، وأمور السحر والتنجيم، وأشياء أخرى كثيرة).

الجسد يعارض الروح ويريد أن يطالب بحقوقه القديمة. فقد كان له يوماً موقع الاحتكار في تحديد كل شيء، وقد برمج عادات خاطئة في تفكيرنا وأفعالنا. ولكن الروح الآن قد تولّى الملكية والقيادة، ليتخذ موقعه في مواجهة الجسد وعاداته. وهذه البرمجة القديمة لا تُحى في يوم خلاصي (أي يوم تحوّل الخلاصي الشخصي وتوبتي). بل يأتي بها الروح إلى المكان الذي تنتمي إليه: إلى الموت.

ثمة صراع في المسيحي يجري بين جسدي والروح القدس. ويتكلم بطرس عن ذلك حين يقول إنه ينبغي أن تمتنع عن الشهوات الجسدية التي **تخارب النفس** (1 بطرس 2: 11). والشهوات، كما يقول يعقوب، تخارب في أعضائنا (يعقوب 4: 1؛ انظروا أيضاً 1: 13-15)، إذ تطلب أن تُغذى وتُسَبَّح.

12.7 عمل الله وعملنا - هل هما متناقضان؟

في العهد الجديد كثيراً ما ندعى إلى العمل، بينما الله في الوقت نفسه هو الذي يحدث ما يقابله. وهكذا الأمر هنا. فالقول الوارد هنا («اسلكوا في الروح») هو إذن خلاص بصيغة

الأمر. إنه «صيغة فاعلة-منفعلة». فنحن الذين نسلك (فاعلون)، ولكن ينبغي أن نفعل ذلك بقوة الروح (منفعلون).

الجسد والروح يقاوم أحدهما الآخر، **حتى لا تفعلوا ما تريدون**. فإذا يريد بولس أن يقول بذلك؟ هل في هذا الصراع ثلاثة أطراف؟ هذا واضح: هناك الجسد، وهناك روح الله، وهناك أنا، الشخص المسؤول الذي يقرّر الانحياز إلى أحد الجانبين. والجملة القصيرة «... حتى لا تفعلوا ما تريدون» لها على الأقل ثلاثة جوانب:

1. لقد دُعينا للحرية (5: 13)، لكي لا نفعل ما يريده جسدنا.
2. المعركة لا نخوضها نحن، بل يخوضها الروح.
3. نحن (أي أنا) نقف في وسط هذا الصراع بوصفنا معنيين به.

12.8 مدعوّون للحرية - ولكن أيّ حرية هي؟

الكلمة المفتاحية للصراع بين الروح والجسد (5: 1) - أي رسالة الرسالة - تشمل الحرية. ولكن بولس يحذّر في النَّفس نفسه من استعمال هذه الحرية من الناموس الموسوي رخصةً للجسد. فخارج الناموس الموسوي يسري ناموس جديد، أي ناموس المسيح (6: 2)! والناموس الجديد هو ناموس الروح، الذي به يطبع المسيح حياتنا بطابعه، والذي تظهر آثاره في ثمار الروح. «الحرية تنشأ داخل الناموس، لا خارجه. متى تكون للقاطرة أعظم حرية؟ حين نتعرّض فوق العصي والحجارة؟ طبعاً لا! فحين تدع نفسها <ترغم> على السير في القضبان، تجري بسلاسة وبلا احتكاك، لأنها هكذا صُمِّمت. إنها تحتاج إلى <نظام> القضبان و<انضباطها> لكي تستطيع أن تجري بسلاسة وسرعة»⁶³. وهذا المسار على القضبان يسمّيه بولس «قيادة» روح الله و«السلوك» به. ونتيجةً لذلك ينمو ثمر الروح المتنوع، بينما تحتفي أعمال الجسد في الوقت نفسه أكثر فأكثر. هذا هو البديل الإلهي عن الناموس الموسوي، مع أننا في الوقت نفسه ننمّ الناموس الموسوي حين «نحب بعضنا بعضاً» بروح الله (5: 14؛ انظروا أيضاً رومية 8: 3).

يتعلّق الأمر هنا بمغادرة نطاق الناموس. وهذا قد حدث لنا بالفعل على الجليظة: لقد متنا للناموس (غلاطية 2: 19؛ رومية 7: 6). وإذا حدث هذا، فنحن لا نقف في أرض لا صاحب لها لا تسري فيها أي نواميس. نحن لله - إنها أرضه هو. وهذه الأرض متنازع

63. جاي إي. آدامز (Jay E. Adams)، Grundlagen biblischer Lebensberatung، ص. 256.

عليها، لأن الهدف لم يُبلَّغ بعدُ. فالصراع بين الروح والجسد ينتظر كل مَنْ يدخل الحياة الجديدة. وإن كُنَّا ننقاد بالروح، فلسنا تحت الناموس؛ فطريقتنا الحياة (الناموس والروح) لا تجتمعان.

12.9 الروح يحارب لأجلنا

يبدو فعلاً كأن لنا في هذا الصراع دور المتفرِّج نوعاً ما. فلأن الروح والجسد يتحاربان فينا، لا نستطيع بعدُ أن نفعل ما نريد، لأن الاثنين يفعلمان ما يريدان! فالجسد يُخرج أعمال الجسد، والروح يُخرج ثمر الروح. وترجم ترجمة ألبرشت (Albrecht)، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس): «لأن الجسد بشهوته يقف في وجه الروح معادياً، والروح كذلك في وجه الجسد. كلاهما في حرب أحدهما مع الآخر، ولا يسمحان بأن تعملوا بحسب إرادتكم». والدرس هو أننا في هذه المواجهة «لا نفعل ما نريد»، مهما كانت النية حسنة. فالمعركة ضد الجسد يخوضها الروح. ولكنها لا تترنَّ بجانبنا كأنها لا تعيننا. فلا نستطيع أن نذهب في إجازة وندع الروح يحارب. بل المقصود أن المعركة ضد الجسد جزء من اختباراتنا الخاصة، ولكنها تُخسر بالجهد الذاتي. فلا قوة لنا ما دمنا لا نترك المعركة لله. لنا الإرادة، ولكن ليست لنا الوسائل. والصراع يجري في نفسي، أو في قلبي، حيث تولَّى القائد الجديد، الروح، زمام الحكم.

12.10 في وسط المعركة

لنكرِّر النص بكلمات «الترجمة الجينية الجديدة» (Neue Genfer Übersetzung، NGÜ، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس):

«ماذا أريد أن أقول بذلك؟ دعوا روح الله يحدّد سلوككم، فلن تستسلموا بعدُ لشهوات طبيعتكم الخاصة. لأن الطبيعة البشرية تتجّه بشهوتها ضد روح الله، وروح الله يتجّه بشهوته ضد الطبيعة البشرية. الاثنان في نزاع أحدهما مع الآخر، وكل جانب يريد أن يمنعكم من أن تفعلوا ما يدفعكم إليه الجانب الآخر.»

لا توجد أنا محايدة تستطيع أن تفلت من هذا الصراع بين الجسد والروح. فأنا تستمدّ القوة الدافعة لتصرّفها إما من الجسد وإما من الروح. ونحن لسنا أبداً مراقبين سلبين، بل نقف في بؤرة الصراع. نحن مسؤولون عن كل ما نقرّره ونفكر فيه ونفعله. وحين أقف في

المواجهة المباشرة، في التجربة والامتحان، يجب أن أقرر بوضوح وأن ألتزم موقفًا. «مع أن الروح القدس قد دخل إليك، ويمثل فيك بشخصه الله الآب والله الابن معًا، فإنه لن ينتهك أبدًا سيادة إرادتك الخاصة. لن يعفيك من قراراتك بمسؤوليتك الخاصة. ... وإن كان مع ذلك يمارس السيادة على كل ناحية من نواحي قلبك، وإن كان يحدد هكذا طرائق سلوكك، فلا يحدث ذلك إلا بناءً على اختيارك الحر وموافقتك الفرحة. وحق الاعتراض هذا هو بالذات ما يرفعك بوصفك إنساناً فوق مملكة الحيوان، ويجعل منك الكائن الأخلاقي الذي قصده الله لك. وهذا أيضاً - وهذا وحده - هو ما يؤهلك لأن تحب الله بالمقابل، ومن ثم أن تبادل محبته. وهذه «النعم» الفرحة لله في كل لحظة من حياتك تملأ قلب الخالق بفرح أعظم من كل العجائب المثيرة (المدهشة) للملايين العوالم التي قذفت بكلمته القديرة إلى لانهاية الكون. فكلها لا تملك القدرة على أن تحبه، لأنه ليست لها القدرة على الاختيار الحر. فامتياز أن تكون أنت نفسك وأن تكون إنساناً يكمن إذن في أنه يحق لك أن تعرف الله وتختاره وتحبه. هذا هو امتيازك الشخصي تماماً»⁶⁴

إن حضور الروح ليس آلية تلقائية ذات ضمان ربح مدح فيها. وينبغي أن يكون شعار حياتنا: أن نحيا مع يسوع، وأن نبقي قريبين منه، وأن ندع كلمته تسكن فينا بغنى. وبذلك سنقرر الانحياز إلى الروح وضد الجسد.

عمل الله ومسؤوليتنا لا يتنافيان أبداً. فإن تكلمنا عن عمل الله وحده، فقد نجرف إلى السلبية. وإن نظرنا باستمرار إلى واجبنا ومسؤوليتنا، فإننا لا ننظر إلى المسيح، بل إلى الخطية التي نريد أن نغلبها. وبهذا المنظور سنكون في خطر أن نحارب بقوتنا الخاصة وأن نتشجع. فالروح يشمل قاعدة الحياة الجديدة والقوة على العيش بحسبها. وقيادته ليست مجرد إرشاد إلى الطريق، بل الروح رفيق سفرنا؛ إنه يسير أمامنا.

12.11 الفيروسات واللقاح

واليك مقارنة أخرى توضّح دور إرادتي ودور الجسد ودور الروح. لنقارن جراثيم المرض الكامنة في جسمي بجسدنا. فمع نمط حياة صحي نادراً ما يحدث مرض. ولكن إن تغذيت تغذية غير صحية، ولم ألبس ما يكفي من الثياب، فقد يؤدي ذلك إلى زكام. فإن تناولت حينئذ دواءً (وهذا قرار يجب أن ألتزمه)، فسيبدأ هذا الدواء في جسمي المعركة ضد

64. و. إيان توماس (W. Ian Thomas)، «Tote können nicht sterben»، ص. 115.

الزكام. وهذه المعركة تجري في جسمي، ولكنني لا أخوضها بنفسي. غير أنني أستطيع أن أبدأ هذه المعركة بقرار واعي أن أتناول دواءً. وفوق ذلك أستطيع أن أساعد على نجاح الدواء بالراحة الكثيرة والتغذية الجيدة والهواء النقي.

12.12 ما هي أعمال الجسد؟

لا يترك بولس مجالاً للشك في ما يقصده بالجسد وأعماله. فقائمته لهذه الأعمال ليست شاملة، كأنه لا توجد خطايا أخرى غير هذه المذكورة هنا. فبالكلمة الختامية للقائمة «وأمثال هذه» تعطي كلمة الله كل قارئ لا إمكانية متابعة القائمة فحسب، بل أيضاً، على نحو غير مباشر، الأمر بأن يحدد أعمال جسده هو.

أعمال الجسد مختلفة، سواء في أثرها أو في الحكم عليها. وليس عبثاً أن يقف الزنى في المرتبة الأولى. ولكن سواء كانت «خطايا صغيرة أم كبيرة»، فهي كلها تأتي من المصدر الشرير نفسه. فحسدنا قادر على كل واحد من الأمور المذكورة هنا (سواء من جهة الأفعال أو من جهة الفكر). والجسد من هذه الناحية كبدرة تكمن فيها كل الخطايا الممكنة، لكي تستطيع أن تظهر يوماً ما. وكون بولس لا يتكلم، كما في حالة الروح، عن ثمر الجسد، يبدو أن له علاقة بأعمال الناموس التي أراد أهل غلاطية أن يستندوا إليها. وبعبارة أخرى: نحن قادرون على أن نعمل أعمال الجسد بقوتنا الخاصة، بينما نحن عاجزون عن أن نُخرج ثمار الروح بأنفسنا. فلذلك نحتاج إلى الروح القدس. وأما أعمال الجسد فظاهرة، وهي (5: 19-21):

- الزنى (باليونانية *porneia*) - الفجور، كل نشاط جنسي خارج الزواج
- النجاسة - الشذوذ والقذارة؛ السلوك المنفلت أو الوقع في المجال الجنسي، سواء داخل الزواج أو خارجه؛ فساد الشخصية كلها كما يسمّى كل مجال من مجالات الحياة
- الدعارة - عدم الاعتدال، والانفلات، وتخدير الحواس
- عبادة الأوثان - تعظيم كل ما يُزيح الله ومشيئته عن المكان الأول في حياة الإنسان المعني (عبادة الأصنام وكذلك عبادة الأوثان الفكرية في أيامنا)؛ الأثانية
- السحر (باليونانية *pharmakeia*) - الشعوذة، وأعمال السحرة، والتنجم والأمور الخفية، وتحضير الأرواح، والمخدرات

- العداوة - الانصراف عن الناس، والمشاحنة، والكراهية، وسوء المزاج تجاه أشخاص آخرين
- انحصام - الشقاق، والمشاجرة، وروح النزاع
- الغيرة - الحسد، وطرائق السلوك الأنانية وغيرها المنشغلة بالمنفعة الذاتية، والاتهامات بالظنون
- السخط - الغضب، ونوبات الغضب، والهجوم الجاح على المحيطين، والإصرار العنيف على الرأي الخاص
- المنازعات - الخلافات، والدسائس
- الشقاق - التفرق، والقطيعة، والنزاعات
- التحزبات⁶⁵ - المهرطقة، والانقسامات، والسَّيِّع، تكوين جماعات مُحَلِّ بالوحدة
- الحسد - عادة ألاَّ يتنَّى المرء للآخر شيئاً من الخير
- القتل - الكراهية، والقتل (فعلياً لا في الفكر فقط)
- السكر - الإفراط في تناول الكحول، وحالات التمثل
- البطر - مجالس الإفراط في الشرب والأكل، والشرهة، والتنعّم المسرف
- وأمثال هذه.

لا مستقبل في ملكوت الله لأناس يفعلون هذه الأمور، ويرون مثلها أمراً عادياً، ويثبتون فيها، ولا يعترفون بالخطية ولا يتركونها (5: 21).

12.13 ثمر روح الله

الثمر الشهي الذي يُسرُّ به الآب والابن، والذي هو كذلك فرح للذين يتباركون به، يُخرجه روح الله في المؤمن. ولا أستطيع أن أجعل ثمراً ينمو، لأن الله هو الذي يعطي النمو⁶⁶ (1 كورنثوس 3: 6). أما أنا فينبغي أن أهَيَّ «الشروط الملائمة» التي يصير بها النمو الجيد ممكناً. أستطيع أن أحاول توفير تربة جيدة، وأستطيع أن أُمْنَع أعشاب الجسد الضارة وأُقلِّعها، وأستطيع أن أعطني بد«الري» الكافي بكلمة الله. ولكن لا يجوز لنا في كل ذلك أن نغفل عن «الأمر العجيب»: فأكثر من كل آية وعجيبة، إنه عمل فائق للطبيعة من الله حين يتحوّل

65. هكذا نصّ الحاشية في Eib 2003 (ترجمة ألمانية للكتاب المقدس). وفي النص الرئيسي لهذه الترجمة ترد هنا كلمة «سَيِّع» (Sekten).

66. انظروا أيضاً متى 6: 28: «تأملوا زنايق الحقل كيف تنمو: لا تُعَب ولا تغزل» (التشديد من المؤلف).

الناس من خطاة ممثلين كراهية إلى خلائق انسكبت محبة الله في قلوبها، فصارت هي نفسها تحب كما يحب الله. وأما ثمر الروح فهو (23-22: 5):

1. محبة - محبة إلهية مستعدة للتضحية، وهنا خاصة داخل كنيسة الله، وهي ليست شعوراً، بل قرار إرادة. فبدون هذه المحبة لله وللناس يكون كل شيء بلا قيمة حتى في الحياة المسيحية (1 كورنثوس 13). نحن نحب لأنه هو أحبنا أولاً.

2. فرح - الفرح المشترك لأبناء شعب الله الذين يسلكون بالروح، في اجتماعاتهم أيضاً؛ فرح حقيقي بما عمله الله فينا وفي الآخرين، وبما يعمله الآن، وبما سيعمله بحسب وعده؛ الفرح بالحياة في المسيح

3. سلام - ليس مجرد غياب النزاع، بل المصالحة، والعشرة القلبية، والترابط، والتمام

4. طول أناة - الصبر وسعة الصدر في التعامل مع الآخرين؛ الاستعداد الدائم لاحتمال الناس والظروف؛ المحبة من جانبها المنفعل ولكن المثار

5. لطف - موقف خير، معين دائماً ومتفهم، وطبع رقيق، وسخاء؛ الجانب الفاعل من المحبة

6. صلاح - الطيبة القلبية، على غرار اللطف؛ أن نعطي الآخر ما هو حق وصالح

7. أمانة (إيمان) - الثقة بالله؛ فضيلة الاعتمادية، والإخلاص، والولاء؛ الاقتداء بالله الذي يفني دائماً بكلمته ويبقى أميناً لمواعيده

8. وداعة - اللين والقوة والرفق (ولا توجد في الألمانية كلمة تطابق المعنى تماماً)؛ عكس الأنانية والمطالبة المفرطة؛ تواضع الفكر من جهة النفس

9. تعفف - ضبط النفس، والانضباط الذاتي، والسيطرة على الذات، والاعتزان.

الثمر، أو الثمار، متنوعة وواسعة. وهذه «القائمة» أيضاً، كسابقتها، ليست شاملة، بل تمثيلية. ويقول وليم باركلي (William Barclay) إنه من الصعب أن نجد في هذا التعداد تعريفاً دقيقاً وتمييزاً لكل واحد منها عن الآخر معاً.⁶⁷ ويمكن أن نرى في جميع هذه الصفات والفضائل الأخلاقية أنه يكاد يستحيل على الإنسان أن يجتبرها في حياته على نحو ثابت بقدر أو بآخر. فالأمر في الحقيقة يتعلق بثمر من الله.

67. وليم باركلي (William Barclay)، 1968، «Fleisch oder Geist؟»، Augsburg.

ويختم بولس قائمته بالعودة إلى الخيط الأحمر: «**ضد أمثال هذه ليس ناموس**» (الآية 23). وبعبارة أخرى: إن كانت هذه الفضائل ظاهرة بيننا بفضل حضور الروح، فلا يعود للناموس شأن. فالتناس الذين يحبّ بعضهم بعضاً بالروح لا يحتاجون بعدُ إلى تورا تأمرهم: لا تقتل.

12.14 مكان الجسد هو الصليب

لقد اتخذ المسيحي من الجسد أوضح موقف ممكن. فهو نفسه قد سمر الجسد على الصليب. ونحن نؤمن بذلك وتتصرّف بحسبه. نجسدنا لا يستحق شيئاً غير الموت على الصليب. وهكذا تماماً يقول بولس:

«ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.»

غلاطية 5: 24

من ينتمي إلى المسيح قد فعل هذا مرة واحدة وإلى الأبد: حين آمنّا بالمسيح، دنا حياتنا القديمة وتبرأنا منها. لقد اعترفنا بحكم الموت الذي أصدره الله على حياتنا الخالية من الله، وعلى ما كان القوة الدافعة لهذه الحياة الخالية من الله: الجسد. ولماذا الصلب؟ لأن المسيح أخذ على نفسه نيابة عنا على الصليب حكم الموت على إنساننا العتيق.

يحمل الجسد في داخله الأهواء والشهوات بوصفها إكسير حياته. وبخطوة الإيمان نحو المسيح تبرأنا من ذلك. وهذا يضعنا أمام واجب، لأن ما صلبه المرء بنفسه وأماته ينبغي أن يبقى في الموت، وألا يرى بعد في حياتنا. ولكن رغم الصلب، ورغم الإماتة، لا يزال الجسد بأعماله موجوداً. إنه لا يزال فينا بلا أمل في إصلاحه. وهذا يوافق الكلمة الموجهة إلى أهل رومية، أنه ينبغي أن نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية (رومية 6: 11). لقد عمل الله شيئاً لأجلنا، لكي يكون من الممكن أن نفلت من دكتورية الخطية. وهكذا الأمر أيضاً في هذه الكلمة. فصليب يسوع المسيح هو نهاية الجسد، ونهاية الإنسان العتيق، ونهاية الأنا العتيقة. وبدون الصلب وبدون هذه المعرفة لا يكون السلوك بالروح ممكناً.

لا يُقال إنه ينبغي أن نصلب جسدنا كل يوم. كثيراً ما يُقال هذا بنية حسنة. ولكن الحقيقة هي أنه ينبغي أن نطلق من أنه قد صلب مرة واحدة - مع المسيح. هذه هي الانطلاقة إلى حياة جديدة بأفضل الشروط التي أعطاهها الله نفسه. والآن، بعد حدث

الصليب، وفي جِدَّة الحياة، نتعامل مع أعمال الجسد المفردة. فالجسد يشنّ «حرب عصابات» من الكمين. وهذه الهجمات ينبغي أن «تُميتها» بقوة الروح القدس (رومية 8: 13؛ كولوسي 3: 5). والإماتة تعني ألا ندعها تنتعش. أذكر نفسي بموت المسيح لأجل إنساني العتيق، وبما كلّفه أن يموت لأجل ذلك. وبهذا أعود مرة بعد مرة إلى نظرة الله إلى الجسد وحكمه عليه، وهذا يعينني بعد ذلك على أن أتصدّى له بحزم.

12.15 مَنْ يَكُون الْإِنْسَانُ بَعْدَ أَنْ صُلبَ مَعَ الْمَسِيحِ؟

حين نوصّف بأننا الذين صلبوا الجسد بأنفسهم، فهذا ليس إلا وجهاً واحداً من العملة. أما الوجه الآخر فيصفه بولس في بداية الرسالة:

... مع المسيح صُلبت، ولكنني أحياء، لا أنا بعد،⁶⁸ بل المسيح يحيا فيّ؛ فما أحياء الآن في الجسد، فإنما أحياء بالإيمان، بالإيمان بابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي.

غلاطية 2: 19-20

لعلّ هذا أدقّ وصف لما تعنيه المسيحية. فحياتنا القديمة، أو حالة تقرير المصير الذاتي التي كانت فيها إبرة البوصلة تشير دائماً إلى أنفسنا، قد صُلبت مع المسيح. وكان هذا الطريق الوحيد للتحرّر الحقيقي من الحياة القديمة - وفوق كل شيء على نحو يكون نافذاً قانونياً أمام برّ الله وقداسته. فلا أحد من الناس يريد أن يخسر حياته وأن يتخلّى عن تقرير مصيره، لأنه يخاف الخسارة في ضوء ما يأتي بعد ذلك. هكذا «برمجنا» الجسد، وهذا «البرنامج» لا يزال يعمل فينا. كم مرة تتعلّق بما نحن عليه وبما نملكه! إننا لا ندرك إلا قليلاً ما يضعه الله مكان القديم. ولكن هذه الكلمة لا لبس فيها. «على نحو جذري تماماً: لقد متّ، وأنا أحياء! ميت في موت المسيح، حيّ في حياة المسيح. هذا مصوغ بقوة شديدة حتى إنه ليس من السهل على قدرتنا على الفهم أن تستوعبه. فنحن نفكّر: هذا لا يمكن أن يكون، فالإنسان يبقى هو نفسه، وأنت تبقى الشخص الذي أنت عليه، أليس كذلك؟ لقد بحث بعضهم هنا عن حلّ لذلك بتقسيم الإنسان إلى ثلاثة أجزاء: الروح والنفس والجسد، حيث يجب أن يموت الجسد والنفس لكي يحيا الروح. ولكن لا يجوز لنا أن ننظر إلى كلمات بولس من

68. «ولكنني أحياء، لا أنا بعد» يعيد نصّ الحاشية في Elb 2003 في هذا الموضع.

المنظور الغربي، بل أن نأخذها لما قُصِدَتْ له، وأن نحاول أن نفهمها بحسب الغاية التي تهدف إليها. فالحياة في آدم قد انتهت، إذ قد أُعلن الآن برّ الله في الإنجيل. وحياة المسيح تبدأ لكل من يقبل الإنجيل».⁶⁹

وفي الحقيقة ينبغي أن نفهم هذه الآية الكتابية المركزية لحياتنا بأبسط ما يمكن. «ستبقى دائماً أنت نفسك، ولا أحد آخر غيرك. فالإنسان الذي ينهض في الصباح هو تماماً الإنسان نفسه الذي ذهب إلى الفراش في المساء السابق. لذلك عليك أن تتقبل هذه الحقيقة: أنت نفسك الإنسان الذي عليك أن تعيش معه بقية أيامك. وثانياً، هذه مشيئة الله! فهو لم يُرد أبداً أن تكون أحداً آخر غير نفسك. ولكنه يريد أن تكون الآن حقاً الإنسان الذي قصده لك ...

إن أناني (الأنا نفسها التي ترتكب في الخطية) قد صُلبت مع المسيح. فأحيا (الأنا نفسها التي صنعها المسيح مني)، لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ» (غلاطية 2: 20) ... إنك لا تخسر شيئاً من شخصيتك الخاصة حين تأخذ بالإيمان مكانك على الصليب مع المسيح. بل على العكس، فشخصيتك تختبر تحولاً. إنك ببساطة تصبح تحت قيادة أخرى، فيقال عنك حينئذ: «إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (2 كورنثوس 5: 17).⁷⁰

وفي مكان الإنسان العتيق والأنا العتيقة يحلّ الآن آخر، وبملاء حياته. هذه حياة منتصرة، حياة قيامة، حياة إلهية. فهو على أي حال الرب يسوع المسيح نفسه الذي يدخل الآن إلى حياتي، إلى شخصيتي، أو إلى قلبي، ليبقى هناك إلى الأبد. هذه هي المسيحية! وعلامة المسيحية صليب فارغ، وقبر فارغ، والمسيح على العرش، والمسيح فيّ! ليس تغيير الحياة المفروض عليّ من الخارج، كلا، بل المسيح الذي يحيا فيّ ويصنع ما يرضي الله. إنها حياة جديدة نابعة من القلب المتجدد. المسيح نفسه هو العامل، وهو مصدر القوة الذي لا ينضب لحياتي الجديدة. إنه ليس المصدر لـ«الأمر الروحية» فحسب (قراءة الكتاب المقدس، والصلاة، والتبشير، إلخ)، بل هو المصدر لحياتي كلها، ولعملي أيضاً، ببساطة لكل ثانية من حياتي. أنا لا أظاهر فقط كأن الأمر هكذا - بل إنها حقيقة أن المسيح يحيا فيّ. وهذه الحياة تسم بالثقة بآب الله الذي جعل كل شيء ممكناً بذبيحته لأجلي ولأجل كل واحد شخصياً.

69. إتش. بي. ميدما (H. P. Medema)، Romeinen 7 enzovoorts، ص. 80.
70. و. إيان توماس (W. Ian Thomas)، Tote können nicht sterben، ص. 106 وما بعدها.

12.16 حمل الصليب كل يوم

قبل أن يُصلب يسوع على الجلجثة، تكلم من قبل عن الصليب، لا عن صليبه هو فحسب، بل عن صليب كل واحد يتبعه. ففي لوقا 9: 23 (انظروا أيضاً لوقا 14: 27؛ متى 10: 38؛ 16: 24؛ مرقس 8: 34) يقول:

«وقال (يسوع) للجميع: إن أراد أحد أن يأتي ورأي، فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني.»

يتكلم الرب يسوع هنا عن إنكار الذات (المؤلم في الغالب). فمن يتبعه لا يتبع نفسه، ولا ذاته، ولا أهدافه، بل سيده ومعلمه. إن أناني قد أسلمت إلى الموت، ولم تعد لها أهمية. وأن نحمل هذا الصليب بوعي ونجره إلى مكان الإعدام هو واجب يومي على التلميذ. وهذا طبعاً تشبيه. فالأمر يتعلق بمبدأ يوضحه الرب بهذا المثال الصارخ. فمن يخسر حياته (أي على صليب إنكار الذات والتخلي عنها) يجد الحياة الحقيقية، الحياة الفضلى (متى 10: 39). وكلمات يسوع هذه لا تطابق تماماً ما قاله بولس لأهل غلاطية عن أنهم صلبوا الجسد. ويرجع ذلك مثلاً إلى أن الأمر عند بولس يتعلق بأمر الجسد الشريرة. أما يسوع فينظر أيضاً إلى أمور ليست بالضرورة شريرة، بل على العكس. فهناك أمور كثيرة صالحة في حد ذاتها، ولكنها، إذا فخصناها بدقة، تعيقنا عن اتباع يسوع اتباعاً حازماً.

صليبي أنا (الشخصي) ليس شيئاً مجرداً، بل يستهدفني أنا شخصياً، ويستهدف خصائصي ووضعي. إنها تلك المجالات التي لا يزال الجسد يرى فيها عندي. وصليب أختي وأخي يبدو علي الأرحم مختلفاً. وإنكار الذات على هذا النحو يكلف كثيراً جداً. وحمل الصليب هو أيضاً مشهد من أبشع نوع. فمن يحمل الصليب لا يستطيع أن ينتظر كرامة من الناس.

12.17 الحياة والسلوك بالروح: أن نكون أو لا نكون

إن كنا نعيش بالروح، فلنسلك أيضاً بحسب الروح.

غلاطية 5: 25

لقد أنهى الصليب القديم بشمولية الله. وقد ولدنا أيضاً ولادة ثانية بالروح، لأن الجسد كان فاسداً. لقد أحيينا، وانتقلنا من الموت الروحي إلى الحياة. هذه الحياة هي الوجود الجديد

في المسيح، وهذا هو الإنسان الجديد. والروح القدس يُسمّى هنا مصدر هذه الحياة الجديدة وقوتها. فكيف ترتبط الكلمتان «يعيش» و«يسلك» إحداها بالأخرى؟ وما الذي يميز بينهما؟ الحياة هي نبض قلب الإنسان الجديد - أي حقيقة أنه موجود. إنه يجسّد الخليقة الجديدة التي خلقها المسيح نفسه بوصفه الفادي والقائم من الأموات. نحن تحفّته. الأشياء العتيقة قد مضت، وهذا الكل قد صار جديداً.

ولكن المولود ثانية ليس تمثالاً، بل إنسان جديد حيّ، مخلوق على مثال يسوع المسيح. والإنسان الجديد يسلك بحسب مثاله، أي المسيح، بداءة الخليقة الجديدة ومُبدعها. السلوك لا يعني أن نكون (أن نحيا) فقط، بل أن نعمل أيضاً. فالحياة تلزم بالحركة والحيوية. والسلوك يعني أن نخطو خطوة بعد خطوة. والحياة التي من الله تأتي دائماً بثمر، أي بثمر الروح. السيارة تحتاج إلى وقود لكي تسير. فإذا فرغ الخزان، وجب دفعها. والمحرك الكهربائي يحتاج إلى تيار، وإلا فلن ينفع أحداً. والمسيحي يحتاج إلى الروح القدس لكي يأتي بثمر الروح. «إن قيادة الروح تعني أنه يبقى فينا ومعنا، قائداً قوياً، ومعلماً حكيماً، ومدرّباً صبوراً. وهذه «القيادة» ليست حدثاً مثيراً يقع مرة واحدة، بل عملية متواصلة ننتقدّم باستمرار.»⁷¹ ومرة أخرى: الحياة وحدها لا تكفي، كما لا يكفي مجرد حضور الروح. فلا يجوز لنا أن نقول فقط إن الروح لنا، بل يجب أيضاً أن نخضع أنفسنا لحقّه في امتلاكنا وقيادتنا وإرشادنا. وهذه النار يجب أن نضرمها مرة بعد مرة، وبعضنا في بعض أيضاً، بدلاً من أن نطفئ الروح.

12.18 السلوك بالروح - كيف يكون ذلك؟

ربما لاحظنا أن بولس يقول إنه ينبغي أن نسلك بالروح، ولكنه لا يصف بصورة ملموسة كيف نفعل ذلك. فالرسالة كلها أشبه بـ«مرافعة لأجل الروح». ولذلك يُستبعد الناموس نهائياً: «بالنسبة إلى نفس لم تفهم بعد ما هو التحرير الحقيقي الذي أعدّه الله لنا، يكون العلاج الأكثر طبيعية (والأقرب إلى المتناول) هو أن نحاول ذلك بالناموس. ولكن هذا ليس علاجاً، بل هو عكسه تماماً.»⁷² إن الاستعانة بالناموس هي تماماً عكس ما يتضمّنه السلوك بالروح. ويبدو أن بولس يفترض ببساطة أن الحياة بالروح اختبار حقيقي ملموس. ونصّه نفسه يقدم علامات لقيادة الروح:

71. إتش. بي. ميدما (H. P. Medema)، Romeinen 7 enzovoorts، ص. 138.
72. إف. دبليو. غرانت (F. W. Grant)، Numerical Bible، المجلد 6، ص. 313.

- ألا نجعل الناموس (أو ناموساً ما) قاعدةً للحياة
- الشخص المعني **يريد** أن يسلك بالروح. فَن يسلك بالروح يواجه الدعوة الموافقة لذلك، والقرار الواعي المتكرر دائماً أن يعطيه السيادة على حياتنا.
- أن نقبل بالإيمان أن جسدنا شرير ولا ينفع شيئاً، وأنه كان لا بدّ أن يُصلب مع المسيح
- أن ننتبه إلى أن تأتي بثمار الروح تجاه الآخرين
- أن ننتبه إلى ألا نسمح بأعمال الجسد
- أننا أعترف وأؤمن: المسيح وروحه يحيان فيّ.
- ألا نسلك بجهد ذاتي متمركز حول النفس، بل أن نطلب قيادة الروح من الله وننتظرها منه، معتمدين عليه
- ألا نركّز على الصراع ضد الجسد الذي فيّ، بل على المسيح وعلى كل ما يتعلق به.

12.19 التعتُّر والنهوض

أيها الإخوة، إن انسبق إنسان فأخذ في زلّة ما، فأصلحوا أتمّ الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظرًا إلى نفسك لئلا تُجرب أنت أيضًا.

غلاطية 6: 1

«إن مجيء الروح يعني أن «عدوى إلهية» قد تفشّت...، ولكن لا يعني أن «الكمال الإلهي» قد حل. فحياتنا الآن تحت قيادة ذاك الذي أحدث في الأصل وحي الناموس، وهذا بالطبع لا يعني أن أناساً في شعب الله لا يمكن أن «يؤخذوا على حين غرّة في زلّة».⁷³ ليس من الواقعية أن نفترض أننا نعيش دائماً وحصرًا في النصر. فالصراع بين الروح والجسد يستعمل استعارة المعركة، والهزائم أيضًا جزء منها. في المسيح نحن «منذ الآن» منتصرون، ولكننا «ليس بعد» قد بلغنا الهدف. النصر النهائي مضمون لنا، ولكن على خط الجبهة يحتاج العدو أحياناً هذا الموقع أو ذاك. وهذا ما حدث لذاك الذي يسمّيه بولس هنا إنساناً، والذي زلّت قدمه.

73. غوردون في (Gordon Fee)، «Der Geist Gottes und die Gemeinde» Metzgingen، 2005، ص. 192.

ينبغي للروحانيين أن يصلحوا مثل هذا بالوداعة. فشركة المؤمنين الحية المملوءة ثقةً والفعالة، والتعاون والصدقات في الرب، لها وظيفة مهمة في الصراع بين الروح والجسد - سواء في التشجيع المتبادل أو في العودة إلى الطريق المستقيم وإعادة الآخرين إليه. وفي ذلك ينبغي للروحانيين أن يحتسروا لثلاً يسقطوا هم أيضاً في التجربة نفسها، فمع أنهم ذوو توجه روحي، فإن الجسد بكل شهواته وأهوائه وإغراءاته خطر دائم فيهم هم أيضاً.

ليس بولس معنياً هنا بزلة معينة. فعلى جميع الزلات المختلفة التي لا تُحصى، صغيرة كانت أم كبيرة، تسري خطة الطوارئ الإلهية نفسها للإصلاح. الزلة تعدّ، وخطوة خاطئة، وتغرّ في ميدان سباق الإيمان. والزلة تشمل خطية، وعملاً من أعمال الجسد، واستسلاماً للتجربة.

ومن دون تعالٍ يجوز لنا، نحن الذين نقف تحت النعمة ونعيش تحتها، أن نقول إن مثل هذه الهزائم ليست القاعدة في حياة مسيحية طبيعية. ولكن يجب أن نعترف بتواضع أنها تطابق اختبارنا اليومي. يقول يوحنا: إن قلنا إنه ليس لنا خطية، نضلّ أنفسنا. يجب أن نأخذ الخطية في حياتنا بجديّة بالغة.

12.20 العودة إلى الطريق المستقيم

بعد الزلة يجب على المرء أن يعود إلى الطريق الصحيح. فالزلة تجلب دائماً ضرراً روحياً يتوقّف مداه على نوع الزلة وحجم عواقبها. والأمر هنا يتعلّق بمبدأ، أي بأنه لا يجوز بعد الزلة أن تستمرّ الأمور كأن شيئاً لم يكن. المطلوب هو أن نتحرّك نحن. فلا يجوز أن نتجاوز الخطية بلا مبالاة كأن شيئاً لم يحدث.

العودة إلى الطريق المستقيم تعني: المسيح والروح يقوداني بأسرع ما يمكن إلى ألا أخفي خطييتي، بل أن أعترف بها وأكشفها. ينبغي أن أعرف الخطية التي ارتكبتها (بوصفي ابناً للنور)، وأن أندم عليها (أي أن أحنّ بسببها)، وأن أعترف بها (أي أن أقرّ بها)، وأن أكون واعياً للغفران الإلهي.

12.21 معيّننا في السماء

يجب أن يحدث شيء ما إذا أخطأنا. فالمسيح، شفيعنا في السماء، يعمل في هذه الحالة معيّننا لنا:

يا أولادي، أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار.

1 يوحنا 2: 1

إن معيننا وشفيعنا قد حسم مسألة الخطية، بوصفه البار، بذبحته مرة واحدة وإلى الأبد. ولكنه الآن، حين تقع الخطية في حياتنا، يعمل بعد الزلة في قلبنا وضميرنا. فالمعين يهتم بنا، لا بالآب الذي يجلس على عرشه. ولا يحتاج إلى أن يسترضي الآب لكي لا يغضب علينا. فالخطية ليست مشكلة الآب، بل مشكلتنا نحن. يريد يسوع المسيح أن يقودنا إلى أن نعرف خطيتنا، وأن نتوب (أي أن نندم عليها)، وأن نعترف بها. وهو يؤكّد لنا في الوقت نفسه محبة الآب، لكي ندرك أننا مقبولون بلا شروط. فالخطية لا تقطع رابطة الحياة الأبدية مع الآب.

لا يطلب العهد الجديد من أولاد الله أن يسألوا الغفران إذا أخطأوا. فجميع خطاياهم، حتى الآتية منها، قد غُفرت لهم إلى الأبد (أفسس 1: 7؛ 4: 32؛ كولوسي 1: 14؛ 2: 13؛ 3: 13؛ عبرانيين 10: 18؛ 1 يوحنا 2: 12). وهذا بالمناسبة هو الفرق الكبير عن العهد القديم، حيث كان المؤمنون أيضاً، مثل داود على سبيل المثال، يطلبون الغفران. وهذا لم يعد ضرورياً بعد الصليب. ومع ذلك: نحن نعترف بالخطية ونندم عليها، لأنه ينبغي أن نكون قدّيسين كما أن أبانا السماوي قدّوس. وبهذا المعنى نحتاج إلى التطهير بماء كلمة الله: فالكلمة تُرينا الخطية، ثم يجب أن نعترف بها، وأن نتركها بطبيعة الحال: «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (1 يوحنا 1: 9). لقد نلنا الغفران الكامل يوم توبتنا بدم يسوع. ولكن لأننا لا نزال قادرين على أن نخطئ، نحتاج بوصفنا مؤمنين إلى التطهير بماء كلمة الله.

12.22 ماذا لو أخطأنا؟

هل يجب أن نبرهن أننا قادرون رغم كل شيء على أن نفعل أفضل؟ هل يجب أن نخو ذنبنا بأعمال تكفير؟ أم أن الزلة لا أهمية لها، لأن جميع خطايانا قد غُفرت لنا أصلاً؟ ينبغي أن نعرف خطايانا، وأن نعترف بها، وأن نتركها. لا مفرّ من ذلك، فهذا أمر لا بدّ منه: كلها أخطأنا - نحن المؤمنون - وكلّنا نعثر كثيراً وفي أمور كثيرة (يعقوب 3: 2)،

ينبغي أن نعترف بالخطية. والاعتراف يحمل معنى «الكشف». الاعتراف يعني أن نسمي الشيء كما هو في الحقيقة. وهو يعني في الترجمة الحرفية «أن نقول الشيء نفسه»، أي الشيء نفسه الذي يقوله الله عنه. ينبغي أن نسمي الخطية خطية. ولا يجوز لنا في هذا الشأن أن نبرر شيئاً أو أن نجمله.

إن اعتراف المؤمن بالخطية لا يحوّ ذنب الخطية الذي يقود إلى الحميم. فذنب خطيتنا قد حُجّي إلى الأبد بدم يسوع. أما الخطية عند المؤمن فتضعف علاقة الآب والابن المختبرة عن وعي، أي الشركة مع الله. فالشركة العملية المختبرة مع الآب والابن تضعف، وتُشوَّش وتُجرح ب حياة جسدية. ولكن ابن الآب يبقى ابناً حتى إن كف الاثنان عن الكلام معاً وكان الابن قد عصى. ولكي تكون هناك شركة حقيقية حياة ومُحبة في آن واحد، يجب إزالة كل عوامل التشويش، وهذه العوامل في علاقتنا بأبينا السماوي لا توجد إلا من جهتنا نحن. يجب أن نرجع، وأن نرمي مرة بعد مرة في أحضان أبينا السماوي المحب.

أليس الاعتراف بالخطية أمراً سهلاً؟ كلا، ليس دائماً. ولذلك أسباب مختلفة. وأكثرها شيوعاً أننا كثيراً ما نتصرّف في البداية كأن هذه الخطية لم تكن خطية. فقلبنا يمكن أن يكون، بقوة الجسد، متكبراً إلى حدّ أنه يجد كل عذر ممكن يريد أن يثبت به أن الأمر ليس خطية. ومن المدهش كم من الوقت نحتاج في الغالب لكي نصل إلى معرفة الخطية.

وسبب آخر هو أننا، في الخطايا التي نرتكبها مرة بعد مرة، لم نعد نجرؤ على الاعتراف بها. ولأننا نخجل كثيراً، نريد أولاً أن نبرهن أننا قادرون رغم كل شيء على أن نفعل أفضل. ولكن هذا يطرح السؤال عن صورتنا عن الله. فتكون لدينا عندئذ فكرة خاطئة عن الله، نجعل بموجبها قبوله لنا متوقفاً على إنجازاتنا. أما الحقيقة فهي أننا مقبولون إلى الأبد، والآب يحبنا في كل وقت، كما يحب ابنه. وهذه المحبة لنا لا تنقص بسبب خطيتنا، ولا تزداد بسبب أمانتنا!

أما كيف يجري الإصلاح والاسترداد الروحي والشفاء بالتفصيل، وكيف نُختبر، أو كم من الوقت تستغرق، فذلك يتعلق دائماً أيضاً بنوع الخطية المرتكبة وبما سبقها، وبما إذا كانت قد وقعت فجأة أم صارت عادة. المهم هو أن تعود علاقتنا بالآب والابن بعد الاعتراف بالخطية صافية بلا تشويش، حتى إن كان علينا أن نحمل عواقب خطايا معينة.

12.23 الاعتراف

من اللافت أن العهد الجديد لا يتكلّم إلا قليلاً عن موضوع كيف ينبغي لنا، نحن المؤمنين، أن نتعامل مع الخطايا الموجودة في حياتنا. فالخطايا التي نرتكبها بعضنا ضد بعض ينبغي أن نعترف بها بعضنا لبعض (يعقوب 5: 16)، وأن يغفر بعضنا لبعض (أفسس 4: 32؛ كولوسي 3: 13).

في كورنثوس كانت الكنيسة قد صارت مذنبّة، لأنها لم تُخضع للتأديب الكنسي رجالاً كان يعيدش في الزنى. وفي هذا السياق كان الإصلاح يعني الحزن والغم والتوبة، والإقرار بالخطية والاعتراف بها (2 كورنثوس 5: 11-11؛ 7: 9-11).

- الاعتراف بالخطية يعني أن نسمّي الخطية باسمها. فنحن لا نقدّم اعترافاً عاماً في نهاية اليوم لكي «نغطي» به جميع الخطايا. لتتخيّل ولداً يأتي إلى أبيه ويقول: «أعترف لك بكل الشر الذي فعلته اليوم»، فإذا سيقول الأب؟ - إن أبانا السماوي يريد أن يعرف بصورة ملهوسة بماذا نعترف.

- بل لا ينبغي أصلاً أن ننتظر إلى نهاية اليوم. فما إن أخطئ حتى أعترف بالخطية فوراً. فنحن لا نريد أن نترك الخطية قائمة بيننا وبين الآب السماوي إلى نهاية اليوم، أو أن ننساها ببساطة!

- في مؤتمر كلاجي سأل أحدهم هل الخطية التي نرتكبها من دون وعي تُضعف الشركة مع الآب. وكان الجواب: «نعم». ولكن هذا الجواب خاطئ! يجب أن ندرك أننا نفعل، أكثر بكثير مما نظنّه ممكناً، أموراً خاطئة من دون وعي. إنها ليست الأمر الطبيعي، أو ليست مقصودة، ولكنها تحدث. وأحياناً تنقصنا أيضاً المعرفة بما إذا كان أمرٌ ما خطية. لذلك لن نستطيع أبداً أن نعترف بكل خطايانا التي نرتكبها بوصفنا مسيحيين، مع أن هذه رغبتنا الصادقة. فالشركة مع الآب تُضعف حيث لا نعترف بخطية نعيمها.

يشدّد بولس هنا على «الرعاية الروحية»، أي على الخدمة الرعوية التي أوكل القيام بها إلى الروحانيين (والتي ينبغي أن يقبلها الذين أخطأوا). وهذا موضوع لن نتناوله هنا بمزيد من التفصيل. الإصلاح ضروري عند كل زلّة. وعند الزلّة الكبيرة سيدو مختلفاً عنه عند الزلّة الصغيرة. والفكرة الشريرة ليست زلّة تُخرجنا من مضمار الإيمان. ومع ذلك يجب أن نعترف بها.

12.24 المسيحي الروحي والمسيحي الجسدي - هل يوجد ذلك؟

المسيحي الروحي مدعو إلى أن يعين من أخذ في زلة فتعثر أو سقط في التجربة على أن يقف من جديد على «قدميه» (الروحيتين). أولاً: من هو «الروحي» (قارن غلاطية 6: 1)؟ ليس هو كل من يسكن فيه الروح القدس، ومن له حياة بالروح، فهو لذلك ابن لله. بل هو بالأحرى من يسلك أيضاً بالروح ويُقاد به. الروحي ليس صاحب منصب كنسي، بل شخص يطبعه الروح بطابعه: المسيح بالنسبة إليه هو الحياة، وثمر الروح ظاهر فيه. الروحي ليس بلا عيب، بل هو من يقف في الصراع بين الروح والجسد إلى جانب الروح. أما المسيحي المتعثر، الذي ينبغي أن ينال العون من أهل بيت الإيمان الروحيين، فلا يُوصَف بأنه جسدي يختلف عن إخوته وأخواته الروحيين. فالمرء لا يصير تلقائياً مسيحياً جسدياً بسبب زلة. «الزلة» أو «التعدي» ليس أمراً يطبع حياتي كلها. (وهذا يكون الحال لو أن عالم أفكاره كان قد استسلم للتجربة منذ زمن طويل، فتعثرت بالفعل نتيجة لذلك).

لقد بدأ أهل غلاطية بالروح حين آمنوا. ولكن لما أرادوا أن يُخضعوا أنفسهم للناموس، حذّروهم بولس من أن يحاولوا بهذه الطريقة أن يصيروا بالغين وكاملين بقوة جسدهم الخاطئ الفاسد. ففي إطار الناموس يُفعل الجسد، لا روح الله (غلاطية 3: 3). وكانت النتيجة عند أهل غلاطية أنهم صاروا يتعاملون بعضهم مع بعض كالوحوش المفترسة. ولم يكن يرى من الروح القدس، للأسف، إلا القليل.

ويصف بولس أهل كورنثوس بأنهم جسديون (1 كورنثوس 3: 1-3). كانوا قد آمنوا قبل ذلك بسنين، ولكن لم يكن يرى من النضج الروحي إلا القليل. والأحوال في كورنثوس معروفة لنا. فمجموع هذا السلوك، الذي اتسم بالخصام والانشقاق، جعل منهم مسيحيين جسديين.

المسيحي الجسدي يدع نفسه يُقاد، بقدر أكبر أو أصغر، بجسده (بما هو حسي، وبما هو دنيوي، وبتصوراته وأفكاره وقواه الخاصة). وهو لا يحاول حقاً أن يحارب أفعال الجسد أو أعماله. وهذا لا يتم إلا بالاعتراف بالخطية (1 يوحنا 1: 9) وبالتكريس المتجدد (رومية 6: 13؛ 12: 1-2)، وبعمل قوة الروح القدس الذي يغيرنا.

ولكن المسيحي المؤمن منذ عقود، والذي تطبعه مع ذلك أنانية ظاهرة، يثبت أنه جسدي. إنه مولود ثانية، كما كان الحال مع كثيرين في الكنيسة في كورنثوس. ولكن رغم الولادة الثانية وامتلاك الروح القدس، يمكن للمرء أن يكون جسدي الفكر مدةً (أو مُدداً) طويلة، بل حياته كلها. وسيظهر ذلك في الدينونة، حين تحترق جميع الأعمال الجسدية، ويخلص المرء نفسه «كما بنار»، أي بشق الأنفس إن صح التعبير (1 كورنثوس 3: 15).

يؤدّي النمو الروحي دوراً كبيراً في هذه المسألة. فأن يكون المرء روحياً يعني أن يكون ناضجاً وبالغا في الإيمان. «إن أحد شروط الروحانية»⁷⁴ هو الوقت. فالأمر يحتاج إلى وقت لكي يصير المرء ما يُسمى في 1 كورنثوس 2: 15 الإنسان الروحي. فكما أن النمو الجسدي يحتاج إلى وقته، كذلك يتطلب النضوج الروحي وقته. لا أحد يصير روحياً فوراً حين يولد ثانية. فالأمر يحتاج إلى وقت حتى يصير المرء إنساناً روحياً».⁷⁵

12.25 جوهر الصراع بين الروح والجسد

لنتتبع الخطيط الأحمر للصراع بين الروح والجسد حتى نهايته: الروح والجسد يتقاضمان في حياتنا، وفي الحياة اليومية، وفي علاقاتنا بعضنا ببعض. ويبقى هذا سارياً إلى أن نبغ الهدف. ليست هذه نظرية بالية، بل هي اختبار الحياة عند كل مسيحي. فالروح والجسد يُعرفان بلا لبس من ثمارهما. وكلاهما يتنازعان القيادة في حياتنا. ونحن أنفسنا نقف في كل وقت في وسط هذا الصراع: فكل ما نفعله وكل ما نمتنع عنه يتغذى من أحد هذين المصدرين. وبعبارة أخرى: كل حركة من حركات جسمنا أو أفكارنا تستمد قوتها الدافعة وطاقتها من أحد المصدرين. وفي النهاية نحن من يقرر. نحن نقول نعم أو لا! «إن الدور النخلص الذي يقوم به الأشخاص أنفسهم في هذه المعركة ليس سلبياً ولا محايداً، فعليهم أن يتخذوا قرارات تحدد مجرى هذه المعركة. والسلوك في الروح يتضمن قراراً جاداً، ولكن ليس قراراً ينطوي على جهد شديد من الإرادة للتغلب على مقاومات هائلة من أجل إنجاز شيء ما. بل إن المسيحيين مدعوون بالأحرى إلى أن يأتمنوا الروح وعمل الله على أنفسهم، وأن يتبعوا ببساطة قيادته».⁷⁶

74. «الروحانية» لا ينبغي أن تُفهم هنا بمعنى «التدين الحديث». بل الأمر يتعلق ببساطة بـ«النضج الروحي» أو «الفكر الروحي» أو «الطابع الروحي». وبما أن الأمر يتعلق باقتباس، لم تغير الكلمة المعنى في النص الأساسي.

75. أرنولد ج. فروختنبوم (Arnold G. Fruchtenbaum)، 2010، Hünfeld، «Gesetz und Gesetzlichkeit»، ص. 109.

76. شارلز ب. كوزار (Charles B. Cousar)، Galatians، ص. 138.

يقوم مفهوم الحياة الجديد على أن روح الله يُتَمِّمَ فينا ما يُرضي الله. فلم يعد الناموس الموسوي هو المقياس لذلك، بل المسيح، أو بالأحرى ناموسه. نحن الآن أحرار في ألا نُرضي أنفسنا، بل المسيح. السلوك بالروح في قوّته يعني أن نزرع للمستقبل، وأن نحصد عن ذلك يوماً ما الحياة الأبدية (غلاطية 6: 8).

«إن تطبيق نصرّة المسيح والاستفادة منها إلى أقصى حدّ يتطلبان أكثر من عمل إيمان واحد. إنهما يتطلبان موقف إيمان كاملاً. إنه احتساب دائم لله. يوماً بعد يوم، وساعة بعد ساعة، ولحظة بعد لحظة. واحتسابك له في هذه اللحظة لن يكفي للخطّة التالية. «اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد.»⁷⁷

الجسد يشدّ إلى أسفل، إلى البحث عن الإشباع والرضا هنا والآن؛ وهو يميل دائماً نحو الخطيّة. أما الروح فيشدّ إلى أعلى، نحو المسيح. فلندع أنفسنا نُشدّ إلى أعلى! فالطائفة الشراعية لا تستطيع أن تقلع بنفسها، بل تستطيع فقط أن توجّه نفسها وأن تستفيد من الريح. يجب أن تُسحب إلى أعلى. فلنهمّ إذن بما فوق، حيث المسيح!

77. دبليو. إيان توماس (W. Ian Thomas)، Tote können nicht sterben، ص. 111.

13. الإنسان الجديد والإنسان العتيق: الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً

لا يتكلم بولس عن الإنسان الجديد إلا ثلاث مرات: مرة في الرسالة إلى كولويسي، ومرتين في الرسالة إلى أفسس. الإنسان الجديد هو خلاصة ما أتمه الله بالمسيح. فعمل الله الخلاصي يخلق إنساناً جديداً واحداً على مثال ابن الإنسان الممجّد، ويخلق في الوقت نفسه أناساً جديداً كثيرين!

هؤلاء الناس لا يريدون ببساطة أن يكونوا مختلفين بأن يتكيفوا مع معايير سلوكية جديدة - لا، بل هم بالفعل خليفة جديدة. فكما خلق الله الإنسان الأول، كذلك خلق الإنسان الجديد حقيقي بالقدرة نفسه! وهذا التغيير الجذري، هذا الاستبدال للقديم بالجديد، يتم من الداخل، إنه تغيير للقلب، ينشأ منه شيء جديد كلياً، أي حياة الله نفسها.

الإنسان الجديد يجسّد ما صار إليه الخاطئ المفدي الآن في المسيح. فكلتا رسالتي بولس اللتين تستعملان هذا المفهوم تصفان جوانب مختلفة من مقامنا الخلاصي الجديد في المسيح. ويمكن أن نسمي مجموع هذه الجوانب الخلاصية الكثيرة غير المستحقة الإنسان الجديد. والنصوص التي يذكّر فيها مفهوم الإنسان الجديد هي كما يلي:

«... لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً.»

أفسس 2: 15

«... أنكم، من جهة التصرف السابق، قد خلعتم الإنسان العتيق الفاسد بحسب شهوات الغرور، ولكنكم تتجدّدون في (أو ب) روح ذهنكم (أو روح تفكيركم) وقد لبستم الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البرّ وقداسة الحق.»

أفسس 4: 22-24

«لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم (الإنسان) الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه؛ حيث ليس يوناني ويهودي،

ختان وغرلة، بربري، سكيثي⁷⁸، عبد، حرّ، بل المسيح الكل وفي الكل.»

كولوسي 3: 9-11

وقبل أن نفحص هذه الكلمات عن كذب، لنجمع، كما فعلنا في الرسالة إلى غلاطية، الجوانب الخلاصية الكثيرة في هاتين الرسالتين أيضًا:

13.1 الإنسان الجديد في الرسالة إلى أفسس

- قديسون (1: 1، 4)
- مباركون (3: 1)
- مختارون (4: 1)
- بلا لوم (4: 1)
- التّينّي لله (5: 1)
- منعم علينا (6: 1)
- مختومون (13: 1)
- أحيينا (5: 2)
- أجلسنا معه في السماويات، أي في العالم السماوي (6: 2)
- مُخلّصون (8: 2)
- نحن عمله (صنّعه، خلاّقه)، مخلوقين في المسيح يسوع (2: 10).
- صرنا قريبين، نحن الذين كنّا بعيدين (2: 13).
- خَلَقْنَا إِنْسَانًا وَاحِدًا جَدِيدًا (اليهود والأمم متحدون في المسيح) (2: 15).
- مُصالحون مع الله (2: 16)
- لنا قدوم إلى الآب (2: 18)
- رعية مع القديسين (2: 19)
- أهل بيت الله (2: 19)
- شركاء في الميراث (3: 6)
- شركاء في الجسد (3: 6)
- شركاء في الموعد (3: 6)

78. أي فرد من شعب من البدو الفرسان عند البحر الأسود.

- متّايّدون بالقوة بروح الله في الإنسان الباطن (3: 16)
- المسيح يحلّ في قلبه (3: 17).
- ممتلئون إلى كل ملء الله (3: 19)
- أولاد نور (5: 8).

13.2 الإنسان الجديد في الرسالة إلى كولوسي

- قدّيسون (1: 2، 22)
- مؤهلون لشركة ميراث القدّيسين في النور (1: 12)
- منقذون من سلطان الظلمة (1: 13)
- منقولون إلى ملكوت ابن محبته (1: 13)
- لنا فيه الفداء (1: 14)
- غفران الخطايا (1: 14)
- مُصالحون (1: 22)
- بلا لوم (1: 22)
- بلا شكوى (1: 22)
- المسيح فينا، رجاء المجد (1: 27)
- كاملون في المسيح (1: 28)
- مملوؤون - بلغنا الملء - فيه (2: 10)
- مُختونون (روحياً) في المسيح (2: 11)
- أقنأنا معه فيه (2: 13؛ 3: 1)
- مُتنا مع المسيح (2: 20؛ 3: 3)
- المسيح هو حياتنا (3: 4).
- مختاروا الله (3: 12).

إن هذا «الفهرس الخلاصي» المؤثّر يلقي ضوءاً ساطعاً على ما هو الإنسان الجديد في المسيح.

13.3 الإنسان العتيق في الرسالتين إلى أفسس وكولوسي

وإن أراد المرء أن يشرح مَنْ هو الإنسان العتيق وما هو، فإن هاتين الرسالتين تقدّمان الإيضاح في ذلك أيضًا:

أفسس

- أموات بالذنوب والخطايا (أفسس 2: 1؛ قارن 5: 6)
- مُوجَّهون ومتلاعَب بهم من رئيس سلطان الهواء (2: 2)
- أبناء المعصية (2: 2)
- محكومون بشهوات الجسد (2: 3)
- أبناء الغضب بالطبيعة (2: 3)
- بدون مسيح (2: 12)
- أجنبيون عن رعوِيَّة إسرائيل (2: 12)
- غرباء عن عهود الموعد (2: 12)
- لا رجاء لهم (2: 12)
- بلا إله في العالم (2: 12)
- يعيشون في بطل ذهنهم (4: 17)
- مظلَّمو الفكر (4: 18)
- متجنِّبون عن حياة الله (4: 18)
- قساة القلوب (4: 18)
- بلا أحاسيس سليمة (4: 19)
- ليس لهم ميراث في ملكوت المسيح والله (5: 5)
- (أخلاقيًا) ظلَّمة بالكامل (5: 8).

كولوسي

- تحت سلطان الظلمة (1: 13)
- أجنبيون (عن الله وعن الوجود الإنساني الذي يريده الله) (1: 21)
- أعداء لله من جهة الفكر (1: 21)

- غير مُصالحين (1: 22)
- أبناء المعصية (3: 6).

وبذلك تتحدّد الفروق بين الإنسان العتيق والإنسان الجديد بوضوح. فالإنسان العتيق هو السيرة القديمة قبل أن يحدث التحوّل الخلاصي الكامل، وقبل أن يخلق الله بفعل خلقه في عمل الفداء إنسانًا جديدًا. والإنسان الجديد لا يحسّد ببساطة مجرد السيرة الجديدة، أو طريقة سلوك جديدة أو أفضل في مقابل الحياة القديمة. فهناك أناس لا علاقة لهم يسوع، ويستطيعون بانضباط قوي أن يغيّروا حياتهم أيضًا نحو الأفضل. بل إنهم يعيشون سيرة أفضل أخلاقيًا من كثير من المسيحيين الذين هم «إنسان جديد». ولكن الإنسان في الجسد، وإن كان يستطيع أن يتصرّف تصرفًا حسنًا من الناحية الأخلاقية، فإنه ما دام في الجسد قد يرضي الناس، ولكنه لا يرضي الله. نحن هنا أمام بُعد آخر من التغيير، لا مجرد طريقة سلوك. والأمر لا يتعلق أيضًا بإصلاح الإنسان، بل بخلق جديد حقيقي، أي بخلق حياة جديدة في الإنسان. وهذا الجديد، أي الحياة الجديدة، هو بصورة ملهوسة شخص: المسيح (1 يوحنا 5: 11-12؛ كولوسي 3: 4، 11). أما الإنسان العتيق فلم يعد فيه، للأسف، من وجهة نظر الله ما يصلح لشيء.

13.4 قصة خلق الإنسان الجديد

الإنسان الجديد مخلوق بحسب مقتضيات طبيعة الله، أي في البرّ والقداسة والحق. لقد نشأ بالفعل إنسان جديد، لا مجرد نمط سلوك جديد. والأمران مرتبطان ارتباطًا لا ينفصم: فالإنسان الجديد له أيضًا سلوك أخلاقي وأدبي جديد. وهذا لا يكون ممكنًا إلا إذا تجدد الإنسان أيضًا من الناحية الأخلاقية والأدبية. وهذا يمسّ إذن قلبه وضميره وشعوره وروحه وذهنه ونفسه، وكلها ذات صلة بالأخلاق والآداب، وهي التي تحددها.

عند هذه الكلمات الكَلِمات الكَلِمات يفكر المرء في قصة خلق الإنسان الأول، لأن هنا على الأقل تشابهًا واحدًا. فقد خلق آدم على صورة الله وكشبهه (تكوين 1: 26-28). «وجبل الرب الإله الإنسان ترابًا من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة. فصار الإنسان نفسًا حيّة» (تكوين 2: 7). إن عملية الخلق هذه تجعل الإنسان، بخلاف الحيوان، مخلوقًا من روح ونفس وجسد. وذكر هذه الجوانب الثلاثة لا يريد أن يطرح سؤالًا أنثروبولوجيًا، بل أن

يشير فقط إلى أن الإنسان، بوصفه حاملاً لصورة الله، له أيضاً روح. وبهذه الصفة هو قادر على أن يتواصل مع الله، وأن يؤمن به، وأن يصلي إليه.

والإنسان الجديد في المسيح أيضاً يجد ما يقابله، أو بالأحرى مثاله، في الذي خلقه. فمن خلق الإنسان الجديد؟ الله خلقه. فالله وحده يستطيع أن يخلق جديداً. ولكن هناك أيضاً فروقاً عن التاريخ البدائي. فالخلق الجديد للإنسان صار ضرورياً بسبب خاطئية الإنسان الكاملة وفساده الأخلاقي. لذلك يتسم الإنسان الجديد الآن بالنقيض الكامل: بالبر والقداسة والحق، كما كانت موجودة أيضاً في حياة يسوع إنساناً على الأرض. وهذا ذو أهمية خاصة لحياتنا اليومية، حيث يعيش على هذا الكوكب الناس العتقاء والجدد معاً بعد.

لقد نفخ الله إذن نسمة الحياة في أنف آدم. وبذلك صار الجسم المخلوق من التراب كائناً حياً، صار شخصاً. وكان لروح الله أيضاً نصيب في هذا الحدث. فكانت إذن نسمة الله هي التي جعلت آدم شخصاً، كائناً له روح. وفي الخلق الجديد للإنسان يحدث، بالمقارنة مع خلق آدم، أن حياة المسيح تنفخ فينا إن صحَّ التعبير (قارن أيضاً يوحنا 20: 22). وفينا تتحد هذه الحياة بشخصنا، بذاتنا. لذلك يمكن أن يُقال عنا إننا أناس جدد.

الإنسان الجديد يقف بمثابة عنصر نائب عن كل إنسان فرد. وبعبارة أخرى: الإنسان الجديد هو هانس-يورغ (Hans-Jörg) الجديد، وكريستينه (Christine) الجديدة - في المسيح. والأمر الحاسم في هذا الإنسان الجديد هو المسيح الذي يحيا فينا والذي نحيا فيه. إنه هو الجديد بحق. حياة المسيح تنبض فينا! ومثال المسيح لا يتشكّل إلا بالمسيح الساكن فينا! ولا شيء آخر (لا نواميس، ولا قواعد، ولا عزائم، ولا جهد، ولا تربية) يستطيع أن يحل محل هذا المسيح الحي فينا.

لقد كانت هذه الصفات الثلاث المذكورة (البر والقداسة والحق) حاضرة في يسوع حضوراً كاملاً. وهو الذي جعل خلق إنسان جديد ممكناً أصلاً على الصليب، لأنه أخذ على عاتقه على الصليب كل العواقب، أي الحساب الكامل للإنسان العتيق (رومية 6: 6). وهذا وحده هو الذي فتح الطريق لشيء جديد كلياً. والآن المسيح نفسه هو الصورة التي خلق الإنسان الجديد بحسبها. المسيح هو الصورة الأصلية وهو أيضاً الصورة المنعكسة؛ الصورة المنعكسة من حيث إنه هو نفسه يسكن الآن في وهو هذه الحياة الجديدة. «وكما

لبسنا صورة الترابي، سنلبس أيضًا صورة السماوي» (1 كورنثوس 15: 49). وهذه ليست إلا كلمة كتابية واحدة بين كلمات كثيرة أخرى تشهد بأن خطة الله هي أن يغيّرنا إلى صورة يسوع (مثلاً رومية 8: 29؛ 2 كورنثوس 3: 18؛ 1 يوحنا 3: 2). وصورة السماوي تشمل في النهاية البدن أيضًا، ولكن عملية التحوّل إلى صورة يسوع لم تبدأ إلا يوم خلق (أو ولادة) الإنسان الجديد. والطريق إلى ذلك يمرّ بالمسيح نفسه. المسيح فينا هو الحياة الجديدة، وهو بهذا المعنى «الإنسان الجديد».

13.5 الكثيرون إنسان واحد جديد

يرد مفهوم الإنسان الجديد في الرسالة إلى أفسس أول مرة في 2: 15: «... لكي يخلق الاثنين في نفسه إنساناً واحداً جديداً، صانعاً سلاماً». والأمر هنا يتعلق باتّحاد اليهود والأمم في إنسان واحد جديد. والمسيح نفسه هو هنا خالق الإنسان الجديد. وفي المركز هنا تقف الكنيسة العالمية بوصفها هيكل الله ومسكن الله في الروح، وبذلك يتقدّم إلى الواجهة ذلك الجانب الذي يشدّد على الوحدة والشركة بوصفهما سمة أساسية للوجود الإنساني الجديد. فالأمر هنا يتعلق بما هو الآن مشترك بين جميع المسيحيين. وبهذا المعنى أيضاً فإن هذه الهيئة الجديدة هي في النهاية المسيح نفسه: 1 كورنثوس 12: 12: «... هكذا المسيح أيضاً»: المسيح هو الجسد، وهو في الوقت نفسه الرأس.

الإنسان الجديد يُذكر دائماً بصيغة المفرد. وبهذا المعنى يتعلق الأمر أيضاً بجماعة بشرية جديدة، المسيح رأسها وبدايتها (كولوسي 1: 17-18). وهي تقف في مقابل الجماعة البشرية التي رأسها آدم الساقط (رومية 5: 12-21). ويلزم جميع المؤمنين لكي يعكسوا في سيرتهم طبيعة المسيح الكاملة، أي طبيعة الإنسان الجديد.

«إن التركيز الفردي في عمل الله الخلاق للتخلص يجد تعبيره في أفسس 2: 10، حيث يشير بولس إلى كل شخص بوصفه «مخلوقاً في المسيح يسوع». والانتقال إلى منظور أكثر جماعية يأتي في 2: 11-22. ونموذج آدم والمسيح يقف أيضاً وراء هذا المقطع. ولكن التركيز في أفسس 2: 15 لا يقع كثيراً على المكانة الفردية أمام الله و«الكيونة في المسيح» في مقابل «الكيونة في آدم»، بل يقع أكثر على العلاقات الجديدة القائمة على المستوى الإنساني بين الذين هم «في المسيح». فقد تصالح اليهود والأمم، ومعاً في المسيح يشكّلون «الإنسان الجديد». «الإنسان الجديد» مجتمع جديد، للجميع فيه قدوم حرّ ومتساوٍ إلى الله،

وهم مُجَلِّسون في السماويات (أي في العوالم السماوية) (2: 5-6). وبحسب تصميم الله للإنسان الجديد لا توجد انقسامات ولا عداوة بين أعضائه، بل سلام فقط (2: 16).⁷⁹

لم يعد للإنسان الجديد أي علاقة بأصلنا العرقي، ولا بخلفيتنا الاجتماعية والدينية، ولا بكل المزايا والمساوئ والعواقب التي كانت مرتبطة بها يوماً ما. فكل هذه العلاقات والروابط قد انتهت. ونشأت روابط جديدة - داخل بيت الله، داخل الكنيسة، داخل جسد المسيح. لقد وجدنا، إن صح التعبير، بيتاً جديداً في هذا الإنسان الجديد. وبمنا الآن أيضاً الجانب الشخصي للإنسان الجديد، أي ما صرنا إليه - كل واحد منا شخصياً، فردياً.

13.6 الشخصية الفردية تصير إنساناً جديداً

إن «النموذج الأول»، أي مثال الإنسان الجديد، هو الإنسان المسيح يسوع. إنه مقياس كل شيء. ومع ذلك فهو ليس إنساناً نمطياً موحداً يسوي أو يوحد أو يلغي كل السمات الفردية التي تشكل شخصية كل إنسان. وحتى إن كان الجانب الذي وصفناه للتو، والذي يشدد على الشركة والوحدة، قد يوحي بذلك، فإن الإنسان الجديد يتكوّن مع ذلك من خلائق جديدة كثيرة (قارن 2 كورنثوس 5: 17). ومن البراهين على قدرة الله الكلية، وعلى حكمته وفه أيضاً، أن خليقته تفيض بالتنوع والفردية فيضاً. فيقال إنه لا توجد ورقة مطابقة لورقة أخرى، بل إن ندفة الثلج نفسها لا تشبه أخرى في بنيتها البلورية. وهكذا الأمر أيضاً مع الإنسان. فلا يوجد إنسان مطابق لإنسان آخر مئة في المئة، لا في الخارج ولا في شخصيته.

وكذلك تبقى الشخصية الفردية لكل إنسان قائمة عند ولادته الثانية. فإذا آمن إنسان، فلا يكاد يتغيّر شيء في الخارج (في سلوكه) في البداية. ولكن في داخله يبدأ أمر عظيم: تُغرس بذرة كلمة الله، أي الحمض النووي لله إن صح التعبير، فيولد بها ثانية (1 بطرس 1: 3، 23).

79. غريغ هيريك (Greg Herrick)، «Old Man and New Man in Paul»، 1999، ص. 5.

وصار للإنسان نفسه الآن حياة مُستبدلة: «لا أحيأ أنا بعد، بل المسيح يحيا فيّ؛ فها أحيأه الآن في الجسد، فإِذَا أحيأه بالإيمان ... بآبَن الله، الذي أَحْبَبَنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي» (غلاطية 2: 20). هنا يُعَادَل «الأنا» العتيق، الذي لم يعد يحيا، بالإنسان العتيق. ولكن لا يزال هناك الآن «أنا»، وإلا لما بقي الشخص موجودًا. وهذا «الأنا» هو الآن الإنسان الجديد، «الأنا» الجديد، أنا في المسيح، الذي يحيا الآن فيّ (في داخلي). فعبارة «أنا أحيأ، والمسيح يحيا فيّ» تعني إذن الإنسان الجديد، الذي هو في الوقت نفسه الشخص ذاته الذي كانه من قبل، ولكنه الآن مُحَدَّد بالمسيح نفسه ومملوء بالمسيح نفسه.

«كانت حياة جديدة ضرورية على الإطلاق. ففني ما يتعلّق بما أنا عليه، انتهى كل جهد، وكل ضرورة للاجتهاد. فأنا لا أستطيع أن أمنح ذاتي تقوى. وعند «الإنسان في المسيح» (2 كورنثوس 12: 2) لم يعد الجسد والخطية موجودين (في الخليقة الجديدة التي أنا هي في المسيح). بل أكثر من ذلك - وبأدقّ معنى: «أنا» (بمعنى الإنسان العتيق) لم أعد موجودًا - «مع المسيح صلبت، أنا ميت؛ ومع ذلك فأنا أحيأ، ولكن لا أنا، بل المسيح يحيا فيّ». أو بدقة أكبر: «أنا أحيأ، ولكن لم أعد أنا». وهذا «أنا»، لم أعد أنا» هو سر التطبيق العملي للإيمان المسيحي وقوّته. أنا أحيأ، لأن الشخص (الفرد، أي كل إنسان بمفرده) يبقى بطبيعة الحال هو نفسه. ليس الأمر أمر تصوّف أفلاطوني، ولا ذوبانًا حلوليًا في محيط الوجود. فالفرح الذي يملأ قلبي، والنور الذي يضيء حياتي أنا، هما لي. إنهما لي كليًا. كلا، بل أنا أحيأ من الآن فصاعدًا حياة أبدية حقيقية، يمكن حقًا أن تُسمى كذلك. فلأوّل مرة صارت لي، كما يقول الرسول، «الحياة الحقيقية» (1 تيموثاوس 6: 19).

إن سلامه هو، وفرحه هو، وحياته هو، وروحه هو، صارت الآن لي، وسعيه هو، وأهدافه هو، واهتماماته هو، صارت الآن لي، ومحبة الآب صارت الآن لي، ورفضه هو الحاضر ومجده هو الآتي كذلك؛ وكل هذا في قوة محبة بها جعلني حراً حرية كاملة، على حسابه الشخصي وبدفعه هو الثمن»⁸⁰.

إن الإنسان الجديد (أي المسيح فيّ) هو ثمرة تضحية مخلصنا الشخصية بنفسه وثمره الآله. وهذه الخليقة الجديدة موسومة إلى الأبد بحبة يسوع!

80. إف. دبليو. غرانت (F. W. Grant) ?Deliverance: What is it

13.7 ما هو الإنسان الجديد؟

في كولويسي 3: 11 نجد الشرح الملموس لما هو الإنسان الجديد:

المسيح (هو) الكل وفي الكل.

أولاً، المسيح هو مثال الإنسان الجديد - في خلقه وفي سيرته على حدّ سواء؛ إنه مجال حياته ورجاؤه. ولكن المسيح أيضاً **فيّنا**. هذا هو الإنسان الجديد. وهذه أيضاً رسالة الرسالة إلى كولويسي: **المسيح فيكم**، رجاء المجد (1: 27). **المسيح هو حياتنا** (3: 4).

وإن سمّي المرء المسيح نفسه الإنسان الجديد، فلا يمكنه أن يتكلّم عن خلق. فالمسيح لم يُخلَق، إنه أزلي، لأنه هو الله. كان لا بدّ أن يُخلَق شيء آخر، لأنه لم يكن موجوداً من قبل: إنسان يصير خليفة جديدة بأن ينال حياة المسيح ونصيباً في طبيعته. فحياته تغرس في أعماق أعماقي. وفي شخصيتي الفردية تغمر حياة المسيح إن صحّ التعبير، كما نفخ الله نسمة الحياة في أنف آدم. وبهذه الطريقة قد «بلغنا الملء» (كولويسي 2: 10؛ ER)، أي صرنا كاملين. فحياة المسيح قد ملأت الآن، أو أفعمت، وجودنا كله كما ولدنا يوماً ما. «All of me in all of Him» - «كل ما هو منه في كل ما هو مني»⁸¹. وبهذه الطريقة لا أصبح بطبيعة الحال مسيحاً جديداً، بل بالأحرى إنساناً جديداً، هانس-يورغ (Hans-Jörg) جديداً. ويمكن أن يتكلّم عن «جديد» لأن حياته تمتلئ الآن بالمسيح، إذ تشمل هذه الحياة الجديدة وجوده الداخلي كله (الإنسان الباطن، والقلب، والذهن، والضمير، والنفوس). وهذا لا يتضمّن أولاً شعوراً، بل حقيقة خلاصية نفذها الله وأتمّها!

«الإنسان العتيق، هذا كان آدم، أو بالأحرى نحن في اتّحادنا بآدم. والإنسان الجديد، هذا هو المسيح، أو بدقّة أكبر: نحن أنفسنا متّحدين بالمسيح»⁸².

يصف آرثر سي. كستانس (Arthur C. Custance)⁸³ عملية الخلق الجديد هذه بأنها تجسّد المسيح في المؤمن. فكما اتّخذ الابن الأزلي حملاً ودماً عند صيرورته إنساناً، هكذا يولد الآن المسيح يسوع بوصفه الإنسان الحقيقي فينا بالمعنى الروحي (الفائق للطبيعة)، لكي ينمو

81. ديليو، إيان توماس (W. Ian Thomas)، *The Indwelling Life of Christ*.

82. سي. كيه. باريت (C. K. Barrett)، مقتبس عند إتش. بي. ميدما (H. P. Medema)، *Romeinen 7 enzovoorts*، ص. 79.

83. آرثر سي. كستانس (Arthur C. Custance)، *Man in Adam and in Christ*، ص. 273.

من الآن فصاعداً ويتصوّر في حياتنا (انظر أيضاً غلاطية 4: 19). وبهذه الطريقة يختبر كل إنسان في ولادته الثانية «عيد ميلاده الشخصي». وفي هذا الاعتبار وحده يكون لتجسّد يسوع في النهاية معنى بالنسبة إليه.

«المؤمن في المسيح يسوع يصير مالكا لثروة لم يملكها قط من قبل - إنه يصير شريكاً في الطبيعة الإلهية. فالحياة الأبدية لله غير المخلوق مغروسة في الجزء الأعمق من شخصيته الإنسانية، وكأنه ووجوده كله تسري فيه نبضات الطاقة الإلهية لحياة جديدة. الولادة الجديدة هي منح طبيعة جديدة تشمل العقل والعواطف والإرادة، وتنشئ في الإنسان حياة جديدة كلياً، وتجعله قادراً على أن يعيش في مجال جديد تماماً»⁸⁴

13.8 الخليقة الجديدة

نذكر أنفسنا في هذا الموضع مرة أخرى بأن شيئاً جديداً قد نشأ بالفعل وجوهرياً (روحياً)، وهو الآن موجود في المؤمن. وإلى جانب مفهوم «الإنسان الجديد» توجد تسميات أخرى قريبة منه:

«نحن **عمله** (تحفته، صنعته)، مخلوقين في المسيح يسوع» (أفسس 2: 10). هذا هو الجانب الفردي أكثر. وهو يبيّن أنه كما وضع الله محبته وحكمته وقدرته الإلهية في الخليقة الأولى، كذلك الأمر في الخليقة الجديدة. وهناك تبرز محبته بوضوح أكبر، لأنه لم تكن قدرته هي اللازمة، بل محبته اللانهائية. فموت ابنه (الذي رمز إليه حبة الحنطة المزروعة، البذرة للحياة الجديدة) هو الذي يأتي بالثمر الجديد.

«إذاً إن كان أحد في المسيح، فهناك **خليقة جديدة**؛ العتيق قد مضى، وهذا **الجديد** قد صار» (أو «الكل قد صار جديداً» [Eib]؛ 2 كورنثوس 5: 17). في الواقع قد مضى العتيق، حتى وإن كانت الطبيعة العتيقة لا تزال فينا اليوم. فالصليب هو نهاية الإنسان العتيق. نحن عند الله منذ الآن كاملون «في المسيح»، وهو لم يعد يرى العتيق.

«لأنه في المسيح يسوع لا اختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل **الخليقة الجديدة**. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون ...» (غلاطية 6: 15-16؛ Schl 2000، ترجمة ألمانية للكتاب المقدس). الخليقة الجديدة تأتي معها بحياة أخرى لا تتوجّه بحسب الخليقة العتيقة

84. روث باكسون (Ruth Paxson)، Life on the Highest Plane، ص. 192.

ولا بحسب الناموس الموسوي. بل إن هذه الخليقة تجهّزنا بالأحرى من الداخل، وتحدّد لنا كيف ينبغي أن نعيش: فكما قبلنا المسيح الرب، هكذا ينبغي أن نسلك فيه (قارن كولوسي 2: 6).

المسيح هو بكر كل خليقة (والخليقة الجديدة أيضاً؛ كولوسي 1: 15)، وهو بدايتها ومُبدعها (كولوسي 1: 18؛ رؤيا 3: 14) بوصفه البكر من الأموات. وعليه فإن الخليقة الجديدة ترجع بوضوح إلى المسيح، لأنها نتيجة الانتصار على الموت. إنها تبدأ فيما وراء الموت، بقوة حياته التي لا تزول (عبرانيين 7: 16). لذلك فإن الإنسان الجديد في المسيح لا يهدم فيما وراء الموت أيضاً، ولا يفقد، ولا يفنى، وهو أبدي.

13.9 ما الذي خُلِقَ جديدًا؟

لا تقول هذه الآيات بالضبط ما الذي خُلِقَ جديدًا. فلم يُخْلَقَ «إنسان موزن» داخل الإنسان، بحيث تكون في إنسان واحد الآن شخصيتان. فني التحول الخلاصي لكل إنسان انتهى تاريخ الإنسان العتيق، أو بالأحرى وجوده كله، على صليب الجلجثة. فالإنسان العتيق والإنسان الجديد لا يستمرّان في الوجود جنباً إلى جنب. الإنسان الجديد حلّ محلّ الإنسان العتيق. الإنسان الجديد هو خلاصة ما صرنا إليه الآن في المسيح - شخصياً وجماعياً أيضاً.

يقتصر الخلق الجديد مؤقتاً على باطن الإنسان (الذي يظهر مع ذلك في السيرة). لذلك يتكلّم عن «إنسان باطن» (أفسس 3: 16؛ رومية 7: 22؛ 2 كورنثوس 4: 16؛ قارن 1 بطرس 3: 4)، يوافق الحياة الجديدة والإنسان الجديد. أما البدن فلا ينال نصيباً في الخليقة الجديدة إلا في التغيير أو القيامة الآتية. ولن يُستثنى شيء في النهاية من هذا الخلق الجديد، لأننا سنكون في القيامة كاملين تماماً وبكل جوانب الوجود الإنساني الذي يريده الله. وعندئذ سنكون مثل الرب يسوع من الناحية البدنية والنفسية والروحية، ولكن ليس عندئذ بوصفنا أرضيين، بل سماويين مثله.

وبالإجمال يمكن القول إننا - من جهة شخصيتنا - قد بقينا من ناحية كما نحن، وصرنا مع ذلك في الوقت نفسه جددًا كليًا. فالله يريدنا بوصفنا أشخاصًا كما نحن (أي كما وُلدنا خلاصًا له، وبوصفنا أصحاب هوية خاصة بنا). ولكنه لا يقبلنا إلا «في المسيح»، أي فقط بوصفنا منقولين إلى المسيح. وقد تكفّل هو بذلك، إذ نقلنا هو نفسه إلى المسيح (1 كورنثوس 1:

(30). وبذلك «غرسنا» أيضاً في عمل يسوع الخلاصي كله. فوت المسيح ودفنه وقيامته وصعوده وتجيده تسري علينا، لأننا قد أجلسنا معه في السماويات (أفسس 2: 6).

13.10 هل يحتاج الإنسان الجديد إلى تجديد؟

تشدد كلتا الرسالتين (أفسس وكولوسي) على أن الإنسان الجديد يتجدد باستمرار. فهل هناك إذن خطر أن يشيخ ويضعف، أو حتى أن يموت؟

ولنا في ذلك ملاحظة مبدئية: لا شيء، ولا أي مخلوق، يوجد في ذاته ومن ذاته. فكل ما هو مخلوق وحي (والخليقة الجديدة أيضاً) يحمله الخالق ويحفظه (كولوسي 1: 17؛ عبرانيين 1: 3؛ نحميا 9: 6). وكون قلبي ينبض (حتى 80000 مرة كل يوم) يرجع إلى قوة الله الحافظة للخليقة. فالمخلوق متوقف عليه! وكذلك الإنسان الجديد. إنه يحيا بخالقه، المسيح.

يجب أن يتجدد الإنسان الباطن ويحيا باستمرار. ويجب أن تغذي الحياة الروحية للمسيحي على الدوام. وينبغي للمسيحي أن يزداد قوة دائماً بروح الله. فهذه القوة تعمل «إلى داخل الإنسان الباطن» (هكذا حرفياً في أفسس 3: 16). وهذا التجديد والإحياء المستمران ضروريان، لأن المسيحي لا يزال في بدن مائت وضعيف، ولا تزال فيه بقية الحياة القديمة (الطبيعة العتيقة)، وكثيراً ما يتأثر تفكيره بها بعد. نحن نعيش في «منذ الآن» وفي «ليس بعد». والتجديد ضروري لأن المسيحي معرض لصعوبات خليقة ساقطة وضيقاتها، وهو موجود في عالم معاد مضل. وليس آخر، فالتجديد والإحياء ضروريان لأن عدو النفوس، المضل والقتال منذ البدء، يقف ضد المؤمن.

المسيحي موجود في حقل توتر. فمسيحيتنا تُهاجم كل يوم على جبهات مختلفة. ولهذه الهجمات هدف واحد: إنها تريد أن تُغرنا بأن نُكيّف حياتنا مع العالم، وأن نعيش كما يعيش الإنسان العتيق، أي لنفسه، من دون اكتراث بالإيمان والطاعة. ويمكن تحديد الأعداء بدقة بمساعدة الكتاب المقدس: ففي وجود الجسد، أي الطبيعة العتيقة. وخارجي يوجد العالم (الناس وعالمهم) الذي لا يبالي بالله. ثم هناك العدو الكبير الذي يسمى إبليس والشیطان. ولن يكون التجديد ضرورياً في السماء بعد، لأن هؤلاء الأعداء لن يكونوا موجودين عندئذ: فالجسد سينتهي مع جسمنا المائت، والعالم يمضي وشهوته، وإبليس سيُسحق تحت أقدامنا.

«إن كلمة <جديد> في عبارة <ولبستم الجديد (الإنسان)> هي باليونانية neos؛ وهي لا تشير إلى حياة أخرى فحسب، بل إلى حياة من نوع جديد كلياً، أي أن هذا <النوع البشري> يُقدّم في شبابه ونضارته، مع افتراض عملية نموّ حيّة. والأمر يتعلّق بحياة فتيّة قويّة تتخذ شكلها بالنمو والازدياد في الحياة المألوفة. وتوصف عملية النمو بأنها تجديد مستمرّ، يعطي فيه الروح القدس هذا الإنسان الجديد (تيطس 3: 5) طريقة تفكير جديدة كلياً وسمات (جديدة)، ولا يُخضع الإنسان العتيق لعلاج تجديد الشباب. وهذه السمات متوافقة مع صورة خالقه، أي مع الله نفسه ومع المسيح: فالله (أفسس 2: 10) والمسيح (2: 15) كلاهما مسؤولان عن الإنسان الجديد. وهما يريدان أن يكون الناس الذين يشكّلون معاً هذا <النوع البشري> الجديد أكثر وعياً لعمل الخلق هذا - إنه تجديد <للمعرفة>. وما يدور حوله الأمر هو حقيقة أن المسيح، الساكن في المؤمنين، هو كل شيء لهم: <الإنسان الجديد> هو المسيح كما يتّخذ صورته في المؤمنين بكل غنى شخصه، أو باختصار: المسيح في المؤمنين».⁸⁵

المعرفة والتفكير يتجددان. فإذا آمن إنسان، تبقى فيه أنماط التفكير والسلوك الخاطئة القديمة. وهي تبقى أيضاً قائمة في جسده. ولكن يقف في مقابلها عمل روح الله، وهذا العمل يبدأ في مركز التحكم عندنا - في ذلك الموضع الذي تتّخذ فيه القرارات. فالإنسان الخارج يفنى في استنزاف الحياة اليومية. ولكن كلمة الله تؤكّد لنا أن إنساننا الباطن (أي الإنسان الجديد) يتجدّد يوماً فيوماً (2 كورنثوس 4: 16). ويختبر المرء التجديد حين ينظر إلى الأبدية، أو بالأحرى إلى المسيح نفسه، الذي ينعكس مجده علينا (2 كورنثوس 3: 18) ويقوّينا (كولوسي 1: 11).

13.11 الإنسان الجديد: نلبسه كالثوب

الإنسان الجديد يشبه ثوباً يلبسه المرء. والعملية المعاكسة تسري على الإنسان العتيق، الذي خلعه المرء كالثوب. «صورة <اللبس> و<الخلع> تتعلّق بتغيير الثياب، وتشير إلى تغيير الطبع في ضوء تحوّل الهوية، إذ استبدل الشخص المعنيّ مجال الحياة القديم (بلا الله) بمجال حياة جديد (عند الله)».⁸⁶ لقد تمّ الخلع واللبس في تحوّلنا الخلاصي، حين دخل المسيح حياتنا.

85. جي. إتش. كرامر (G. H. Kramer)، Christos ons leven، ص. 117.

86. غريغ هيريك (Greg Herrick)، Old Man and New Man in Paul، 1999، ص. 7.

الإنسان العتيق صار ماضيًا من كل ناحية، أم ليس كذلك؟ إن المواضع الكائنية الثلاثة كلها التي يُذكر فيها الإنسان العتيق تصف نهايته: إما بأنه «صَلَب» أو بأنه «خُلِع». وكل ذلك يشير إلى عمل واحد مكتمل. نخلع الثوب يحدث في لحظة واحدة، أما التجديد فيحدث باستمرار. وهو الذي يجعل هذا الثوب الجديد يبقى جديدًا، فلا يلى ولا يتسخ.

الثياب تصنع الناس. الثوب هو ما يراه المرء من الإنسان. وهذا ما يريد بولس أن يقوله هنا: ينبغي أن يتّضح أن الإنسان الجديد لم يكن مجرد فكرة ذكية أو نظرية، بل أن قوة الله الخالقة للحياة والمجددة قد أنتجت تحفة حقيقية. والبرهان على ذلك هو أن الإنسان الجديد يصير مرئيًا في الحياة اليومية. فهو يوجّه حياته الآن نحو فاديه وخالقه. إنه يلبس الرب يسوع المسيح (رومية 13: 14). فالأمر يتعلّق إذن بأن يصير الإنسان الجديد مرئيًا أكثر فأكثر، فالمسيح (طبيعته، ومحبهه) ينبغي أن يربّح الطبيعة الأنانية السابقة للإنسان العتيق.

طريق الإنسان الجديد محاط بلافات إرشاد من الله، تُرينا ما هي أشكال التعبير التي للحياة الجديدة وما ليست لها. والتشديد يقع كثيرًا على تحوّل نمط الحياة. فالإنسان الذي يؤمن لا يغيّر حياته فجأة من القديم إلى الجديد. ولو كان الأمر كذلك، لما احتاج إلى تجديد، بل ولا حتى إلى وصايا العهد الجديد التي تبين كيف تبدو حياة الإنسان الجديد.

لسنا بحاجة إلى أن نصير أناسًا جدّدًا، ببجهد متشنّج وعنيدة مثلاً، تهدف إلى حياة شبيهة بحياة المسيح. كلا! بل الأمر يتعلّق بأن نحقق في الحياة ما نحن عليه في المسيح أصلًا: أبرارًا وقديسين وصادقين.

وامتياز أن يكون المرء إنسانًا جديدًا يلزمه أيضًا بأن يعيش هكذا. ينبغي أن نصير ما نحن عليه! أن نكون أناسًا جدّدًا، وأن نصير في الوقت نفسه أناسًا جدّدًا، هذا يبدو تناقضًا، ولكنه ليس كذلك. فالأول هو الخلاص بصيغة الخبر - أي ما نحن عليه أمام الله على نحو لا يُطعن فيه. والآخر هو الخلاص بصيغة الأمر، الذي يدعونا إلى أن نعيش بما يوافق هذه الكينونة انطلاقًا منها. ولا يجوز أن يوضع أيّ من هذين الجانبين في مواجهة الآخر، أو أن يُخلّ بالتوازن بينهما. فنّ يشدّد على المقام، أي على الخلاص بصيغة الخبر، أكثر من التحقيق العملي، يُخلّ بتوازن الأمور. والكتاب كثيرًا ما يتكلّم عن الجانبين في نفس واحد، لكي يوضّح لنا أنه لا ينبغي أن نشرّحهما بالأعيب لاهوتية (كثيرًا ما تكون ذريعة أو عذرًا). فالمقام الخلاص بالنسبة إلى العهد الجديد مهمّ قطعًا بقدر أثره في الحياة اليومية.

والمقصود بهذا الأمر الأخير هو الخلاص بصيغة الأمر، أن نجتهد بكل ما أوتينا لكي نعيش كما يريد الله، وكما جعل ذلك ممكناً أيضاً.

13.12 ملخص - صورة

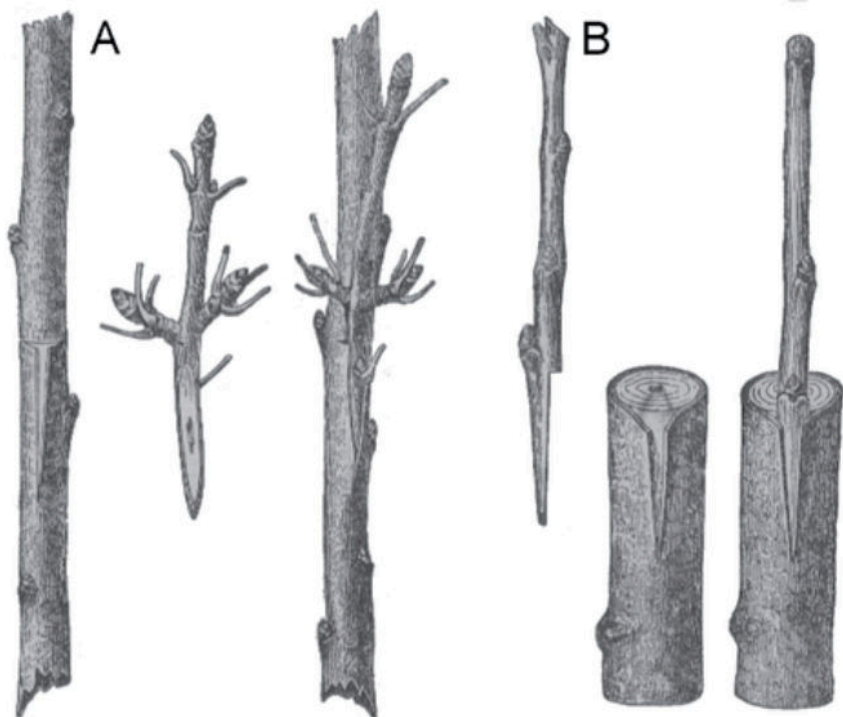
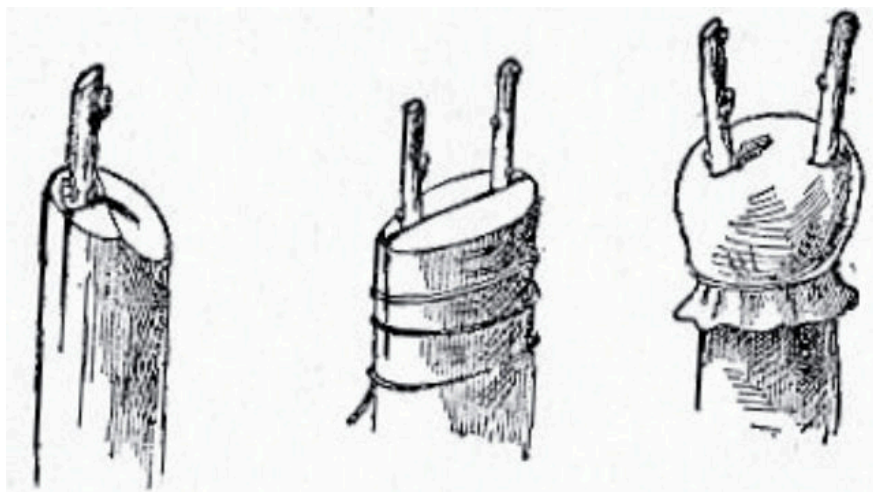
يمكن أن تكون الصور والمقارنات مع الحقائق الكائنية مفيدة جداً. فالكاتب المقدس نفسه (والرب يسوع قبل كل شيء) يستعمل الصور والأمثال لكي يجعل الحقائق الروحية مفهومة. ولكن للصور أيضاً حدودها. فهي تريد أن توضح جوانب معينة، وهذا يعني أيضاً أنه ليس كل جانب موجود في مثل هذه الصورة يناسب الحقيقة التي يراد توضيحها بها. فما يُذكر في الصورة أو في المقارنة هو المهم. أما ما لا يُذكر ولا يُتطرق إليه، فلا أهمية له.

13.12.1 الشجرة القديمة

يشبه الكاتب المقدس الإنسان بالشجرة في بضعة مواضع. ومن الأمثلة الكلاسيكية الملك العظيم نبوخذنصر. فهو يشبه بشجرة عظيمة وقوية. ولأنه تكبر بسبب عظيمته وقوته، قرّر الله أن يقطعها. ولم يكن ينبغي أن يبقى إلا أصل جذورها: فالملك لم يمت، بل أُعطي لمدة من الزمن قلب حيوان، ثم صار ملكاً من جديد (دانيال 4؛ انظر أيضاً قضاة 9: 7-15). وهكذا قُطعت هذه الشجرة، بلغة الصورة، بالفأس على يد الله نفسه. وهذه صورة الإنسان الذي يعيش بلا الله، أي نسل آدم. ويقول يسوع إنه لا توجد شجرة رديئة تصنع ثمراً جيداً (لوقا 6: 43). وبعبارة أخرى: الناس الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله. فالإنسان العتيق شجرة لا تصنع ثمراً جيداً. وهذا يسري على البشرية ككل كما يسري على كل إنسان بمفرده (مزمور 37: 35). ومثل هذه الشجرة الرديئة لا تستحق، من جهة ثمرها، إلا أن تُقطع وتُلقي في النار (لوقا 3: 9). وهذا ما حدث لإنساننا العتيق: فقد دين على الصليب، ونفذ فيه حكم الموت. لقد احترق إن صح التعبير في دينونة قداسة الله. وبذلك انتهت حياتنا القديمة. لسنا نحن من أنهاها، بل هو من فعل. لقد كان المسيح هو الذي مات نيابةً عنا. ولو كنا قد متنا حرفياً، لاستوصل الجذر معها. فالجذر يمثل - في صورتنا - الشخص. إنه يجسد ما أنا عليه بوصفي إنساناً، بوصفي مخلوقاً لله.

13.12.2 شجرة جديدة

فما هو إذن هدف الله؟ يريد الله أن أصبح شجرة مغروسة عند مجاري المياه. هكذا يُقال عن البارّ في المزمور الأول (قارن مزمور 92: 12؛ إرميا 17: 8). ينبغي أن أصبح شجرة جيدة تصنع ثمرًا جيدًا (متى 7: 17)، ثمر الروح (غلاطية 5: 22-23). ولهذا يلزم شجرة جديدة. يجب أن تُغرّس وأن تنمو. ولكي تصبح يوماً ما شجرة قوية ذات جذور قوية وثمار جيدة، يلزمها اعتناء، والماء قبل كل شيء. وصورتنا تسمح بجانب آخر: لقد ولدنا ثانية بزراع لا يفنى، بكلمة الله (1 بطرس 1: 23). وهذا الزرع هو زرع الله (1 يوحنا 3: 9)، الذي ينبت في الإنسان بعد توبته (بلغة الصورة) وينمو حتى يصبح شجرة قوية. وهذا الزرع هو المسيح نفسه (غلاطية 3: 16). وبهذا نجد ما يوازي حقيقة أن المسيح نفسه هو الإنسان الجديد، أي حياته فينا (كولوسي 3: 4، 11). فكل إمكانيات النمو للإنسان الجديد موجودة كاملةً في هذا الزرع، مهما كان صغيراً. وهذا الإنسان ينبغي الآن أن يتفتح، وأن ينمو، وأن يزداد، وأن ينتشر. وهذا لا يتم في لحظة، بل بنمو متواصل وتجديد مستمر. الله وحده يمنح النمو والتجديد والقوة. ويتكلم العهد الجديد في سياق آخر عن شجرة زيتون (رومية 11: 16-24) يطعم فيها غصن آخر لكي يتابع النمو على الشجرة القديمة. لنتصور جذع الشجرة الذي شَبَّهناه بشخصنا. والآن يطعم في هذا الجذع الغصن الجديد، أي زرع الكلمة (المسيح نفسه)، لكي ينمو ويصبح شجرة جديدة. وهذه العملية يسميها أهل الاختصاص «التطعيم».



13.12.3 الجذر القديم الذي لا يزال حيًا

الجذر القديم (جذع جذور الشجرة القديمة التي قُطعت) لا يزال موجودًا، بل إنه لا يزال حيًا. وهو في صورتنا ليس الإنسان العتيق، بل بالأحرى جسدنا - أي الطبيعة الآدمية العتيقة الفاسدة الخاطئة. فهي التي طبعت حياتنا القديمة، أي حياة الإنسان العتيق. وحتى مع خطر أن يكون تكرار هذه الحقائق مُملًا، فلنقلها مرة أخرى: الإنسان العتيق ليس هو الجسد. بل الإنسان العتيق يجسّد وجودي بلا الله قبل أن أؤمن. أما الجسد فيمثل طبيعة الإنسان العتيق وبكائه. وهذا لا يزال موجودًا. وما دمنّا أحياء، سيوجد هذا الجذر القديم فينا. ولهذا الجذر خاصية أن يعود فيصير نشيطًا (أيوب 14: 7-9). فن جذع الجذور هذا تنمو فروخ صغيرة - ثمار رديئة، وأعمال البدن والجسد وعاداتهما. وبينما يتكفل الله بنمو الشجرة الجديدة، يصدر إلينا الأمر بأن نُثْمِت أعضاءنا التي على الأرض، أي أعضاء الجسد الخاطئ (كولوسي 3: 5؛ رومية 8: 13). وهذا ينبغي أن يتمّ بالإيمان وبالروح. ينبغي أن نزيل هذه الفروخ كالأعشاب الضارة، وأن نقطع الأغصان، أو (إن كانت قد صارت من جديد جذوعًا صغيرة) أن نقطعها بفأس قوة الله. ومهمة «البستاني» الذي يهتمّ بالأعشاب الضارة بثبات تقع ضمن نطاق مسؤوليتنا. وفي هذا العمل لسنا متروكين لأنفسنا: فبروح الله القدوس نحيا ونسلك (رومية 8: 13؛ غلاطية 5: 18)!

13.13 بالإيمان وحده

هذا لا يتمّ إلا في الإيمان وبالإيمان بابن الله، الذي (كما يقول بولس) «أحبّني وأسلم نفسه لأجلي» (غلاطية 2: 20). الإيمان هو الاعتماد على الله. وهو يشمل الموقف الذي ينتظر كل شيء من المسيح ولا شيء من ذاته. فالإماتة الموصوفة مثلًا في رومية 8: 13 وفي كولوسي 3: 5 تتمّ في النهاية بالإيمان. ومن ذلك أن نقول للخطية لا، بينما نقول في الوقت نفسه للمسيح نعم (رومية 6: 13، 19). البارّ يحيا (كل يوم) بإيمانه (رومية 1: 17). نحن نتقرب إلى الله بالإيمان (رومية 5: 2)، ونحن نثبت بالإيمان (رومية 11: 20؛ 2 كورنثوس 1: 24). أنا أدع المسيح يحلّ بالإيمان في قلبي (أفسس 3: 17). أنا ثابت وأصير ثابتًا بالإيمان (1 بطرس 5: 9). هذا الإيمان يجب أن أمارسه اليوم. هذا هو المفتاح. الإيمان ليس شعورًا. فبالنسبة إلى الإيمان، ما يقوله الله حقّ مطلق وساري

المفعول: وهذا لا يتعلّق بخلاصي الأبدى فحسب، بل بحياتي اليومية أيضًا. فبدون إيمان لا يمكن إرضاء الله!

13.13.1 البستاني الكسول

يقول سفر الأمثال 24: 30-32: «عبرت بحقل الكسلان وبكرم الإنسان الناقص الفهم، فإذا هو قد علاه كله الشوك، وقد غطّى العشب الضارّ وجهه، وجدار حجارته انهدم. ثم نظرت ووجّهت قلبي. رأيت وقيلت تعلّيمًا.»

كثيراً ما تنمو تحت الطّعم المطعم تماماً (هكذا يُسمّى هذا الغصن الجديد الكريم) فروخ قديمة. وهذه يجب قطعها حتماً، لأنها تأخذ من الغصن الجديد الماء، ثم في المراحل اللاحقة من النمو أيضاً.

فإن لم يقيم البستاني بواجباته، نشأت مشكلة. فالديناميكية الذاتية للجسد لا يُستهان بها. وإن غدّى المرء الجسد وأشفق عليه، بدلاً من أن يسلمه إلى الموت باستمرار، أو بالأحرى مرة بعد مرة، فستنمو الفروخ القديمة في مواضع كثيرة. وهذا له آثار سلبية على نمو الشجرة الجديدة. فنموها يكبح، والجذور لا تعود تنمو متعمّقة في المسيح، فلا تعود الشجرة تنال غذاءً. ويكاد الأمر يكون كأن بولس أيضاً كان أمام عينيه الصورة نفسها (كولوسي 2: 7).

الحياة الجسدية الأنانية تشبه شجرة يابسة تحيط بها فروخ كثيرة من الجذر القديم، يمكن أن تنمو عالياً إلى حدّ أن الشجرة التي كانت يوماً جديدة لا تعود ترى. فالماء المخصّص لهذه الشجرة الجديدة يجري في الفروخ الكثيرة لجذر الشجرة القديم. ويمكن أن تمرض الشجرة، بينما قد تبيس أغصان كاملة، وقد يأتي ثمرها شحيحاً أو صغيراً.

قبل مدة فوجئت حين كُنا نجمع ونقطف التفاح الذي نعصره عصيراً: فقد وجدت على شجرة واحدة صنفين مختلفين من التفاح. كان ذلك نتيجة تطعيم. فالمالك السابق أراد أن يكون لديه صنفان من التفاح على شجرة واحدة. ففكرت فوراً في الحياة المسيحية: هناك أيضاً يوجد نوعان مختلفان من الثمار - ثمار يُنمّيها الروح، ولكن أيضاً ثمار ينتجها الجسد.

13.14 مستقبل الإنسان الجديد

رأينا الإنسان الجديد حتى الآن في حقل التوتر مع العالم الذي يمضي. ولا ينبغي أن تغيب نظرة قصيرة إلى مستقبله. فالإنسان الجديد تهب عليه منذ الآن أنفاس الخليقة الجديدة الآتية، كما توصف في سفر الرؤيا 21. وفيما قد بدأت هذه الخليقة الجديدة منذ الآن. نحن نوع من باكورة خلائق الله الجديدة (يعقوب 1: 18). نحن في المسيح قد أجلسنا منذ الآن في السماويات (في المجال السماوي) (أفسس 2: 6). هكذا تصف كلمة الله مقامنا. وبوصفنا أناساً جددًا سنعيش في الخليقة الجديدة، وفي يوم ما بجسم جديد أيضًا، يكون عندئذ من الجودة نفسها التي للخليقة الجديدة، كما هو الحال الآن في ما يتعلق **بإنساننا الباطن** (1 كورنثوس 15: 35-57). إن مستقبل الإنسان الجديد مذهل، وهو مجيد فوق كل حد تخالقه نفسه: متى أظهر هو، حياتنا، فحينئذ سنظهر نحن أيضًا معه في المجد أمام الكون كله (كولوسي 3: 1-4)!

ولكن لا ننس الجانب الجماعي أو المشترك، الذي ربما كان هو الأهم. فبشرية جديدة، المسيح بدايتها ورأسها، ستكون سكان السماء الجديدة والأرض الجديدة. المسيح الكل وفي الكل!

إن الحقيقة الخلاصية للإنسان الجديد تتجسد في كنيسة العهد الجديد، التي لم تنشأ إلا في يوم الخمسين. وستكون هي (المؤلفة من جميع المؤمنين) هذا الإنسان الجديد الذي خلقه المسيح والذي هو رأسه. وهذا **الإنسان الواحد**، المؤلف من جميع أعضاء الجسد، سيكون إلى كل الأزمنة - إلى أبد الآبدين - مدح مجد نعمة الله ومحبته، أو بالأحرى نعمة المسيح ومحبته.

الإنسان العتيق يفسد بالشهوات؛ وبسبب الموت الروحي يسير نحو الموت الجسدي، الذي يقود في النهاية إلى الموت الأبدي. إنه لا يتحسن، بل هو خاضع للفساد ويهلك. أما الإنسان الجديد فيتجدد برابطة الحياة مع خالقه، إلى أن تبدأ الحياة الأبدية، أو بالأحرى الكمال، في القيامة.

13.14.1 أن نعيش حياة المستقبل منذ الآن

إن مستقبل الإنسان الجديد ليس موضوعاً مجرداً أو منعزلاً عن واقع حياتنا. فهذا المستقبل يشمل من ناحية رجاءنا، ولكنه يتضمن أيضاً منذ الآن ما يحدد حياتنا. ويمكن أن نصوغ الأمر هكذا: نحن نعيش انطلاقاً من الهدف، ناظرين إلى يسوع وإلى ما خلقه وما سيفعله. فإن كانت حياة الخليقة الجديدة تنبض فينا منذ الآن، فهذا لا يعني شيئاً آخر سوى أننا نعيش حياة المستقبل منذ الآن.

إن ثمر الروح القدس، وحياة يسوع نفسه الفريدة والمثالية، ووصاياه في المحبة، وجميع وصايا العهد الجديد إجمالاً، تُرينا كيف ستبدو الحياة في الخليقة الجديدة من الناحية الأخلاقية. ففي خليقة الله الجديدة سيكون كل شيء مملوءاً بحبة الله - بالمحبة نفسها التي ينبغي أن نحققها منذ الآن في حياتنا.

كأنسنا رؤوس جسور ومواقع متقدمة لعالم الله الجديد. هنا يجب أن يلتقي الذين لا يعرفون الله ولا الفداء في المسيح بـ«الإنسان الجديد»، أو بالأحرى بالخليقة الجديدة. يجب أن يرى فينا ما سيكون لله قريباً في كل مكان من عالمه الجديد بوصفه الأمر الطبيعي، والمجيد العجيب في آنٍ واحد.

وحين ننظر هكذا إلى عالم الله الجديد، ونأمل في حقيقة أنه قد بدأ فينا منذ الآن، فإننا نعيش حياة المستقبل لا عن إكراه أو تحت إكراه، ولا بدوافع ناموسية. فينبغي أن يصير نمط الحياة الجديد بالنسبة إلينا هو الأمر الطبيعي، كما سيكون الحال قريباً في مجد الله الأبدي.

فعندئذ، بخلاف اليوم، لن تكون هناك أعداء ولا عوائق يمكن أن تقف في طريق الحياة الجديدة. لذلك فإن الصيرورة إلى ما كان عليه يسوع ترتبط اليوم بقرارات الإرادة، وبالجهد والبدل. ولكننا لسنا متروكين لأنفسنا (كما هو الحال مثلاً مع الإنسان غير المؤمن الذي يريد أن يحسن طبعه أخلاقياً)، بل لنا نعمة الله وروحه الصالح إلى جانبنا.

13.15 نداء

النعمة تعلّمنا، بل إنها تربيّننا وتجذبنا (تيطس 2: 11-12)، حتى يكسب الإنسان الجديد بالفعل مكاناً في حياتنا اليومية. فليس الناموس، بل النعمة هي التي تربيّننا، إذ تذكّرنا أولاً مرة بعد مرة بما نحن عليه أصلاً في المسيح، لا بما يجب أن نصير به بعد. والنعمة تضعنا في غنى المسيح الفائت وتملؤنا به، لأنه انطلاقاً منها وحدها تكون الحياة المتغيرة ممكنة.

لقد خلّعنا الإنسان العتيق مع سيرته القديمة. ولكن ذهن هذا الإنسان العتيق وكيانه، أو بالأحرى طبيعته، لا تزال فينا ما دمنا في بدننا. وفي مواجهة عودة اتّجاه الحياة القديم يقف التجديد المستمرّ لتفكيرنا.

المسيح فينا: هذا هو واقع حياة الإنسان الجديد. وقد شبه إيان توماس (Ian Thomas) ذلك بقفّاز هو بلا يد حية شيء ميت. هكذا نحن - عاجزون تماماً بدون المسيح وخارجة. ولكن حين تدخل اليد الحية القفّاز، يستطيع أن يفعل كل شيء! وهكذا يحقّ لنا أن ننطلق من هذا وأن نؤمن بأننا نستطيع كل شيء في الذي يقوّينا!

14. مولودون ثانية لحياة جديدة

عند قمة الجبل الأخيرة التي نبلغها نصل إلى الأمر الذي ربما كان الأشهر في هذا الشأن. إنه يتعلق بالولادة الثانية، بنوال حياة جديدة وأبدية. وبذلك نصل إلى ما يمكن أن نتعلمه من الرسول يوحنا عن قوة الإنجيل المغيرة، التي تخلق جديداً. لقد تحررنا من سلطان الخطية، ووهب لنا الروح القدس، وجعلنا أناساً جددًا. وكان هذا موضوع بولس على وجه الخصوص. ولكن كان لا بد لنا أيضًا أن نولد ثانية، لأن حياتنا القديمة ثبت أنها غير صالحة بسبب الخطية، ولم تكن لنا بها حياة حقيقية، أي كآمواتاً روحياً.

ولكن لننظر أولاً في مفهوم استعملناه بضع مرات: «الطبيعة الجديدة والطبيعة العتيقة». وحتى إن لم ترد هذه المفاهيم في الكتاب المقدس بهذا اللفظ، فإن الأمر الذي تدلّ عليه موجود فيه. فما نسميه «الطبيعة الجديدة»، في مقابل «الطبيعة العتيقة» (أي الجسد)، ليس شيئاً آخر سوى «الطبيعة الإلهية». يكتب بطرس في رسالته الثانية، الأصحاح 1: 4:

«... لكي تصيروا بها (أي بالمواعيد) شركاء الطبيعة الإلهية.»

من المفيد دائماً أن يكون أمام أعيننا السياق الذي تدرج فيه المفاهيم. وهو في هذا الموضع كما يلي:

لقد نال المسيحي كل شيء من الله لكي يستطيع أن يعيش له. وأولاً الحياة نفسها. ويمكن أن تُسمى هذه حياة الإنسان الجديد. وتحقيق هذه الحياة الإلهية في الحياة اليومية يعني «التقوى» (المهابة الصحيحة؛ الحياة بحسب الله)، أي حياة لمجد الله. لقد أَرانا الله بكلمته مجده الخاص، الذي أمسك بنا وأحدث فينا الحسم الكامل لأن يكون هو نفسه أمام أعيننا هدفاً لحياتنا ولرحلة حياتنا. وهذه الرحلة تمرّ عبر العالم - لا عبر خليفة الله فحسب، بل أيضاً عبر العالم الذي غيرَه البشر وأفسدوه، أي المجتمع الذي نعيش فيه. وبوصفنا متلقين للطبيعة الإلهية وشركاء فيها، هربنا من الفساد الذي في العالم. وبالطبيعة الإلهية صرنا الآن قادرين على أن نعيش بطريقة مختلفة عن العالم الذي تسمه الشهوة. وهنا يتضح أيضاً ما هي هذه الطبيعة الإلهية وما ليست هي. فهي لا تتعلق بمجد الله الخارجي، بل بطبيعة الله

الأخلاقية. إنها حياة روحية فائقة للطبيعة، تحمل في ذاتها سمات الله الأخلاقية والأدبية، التي يضعها بطرس هنا في مقابل مسلك العالم الهالك.

وهذه الطبيعة تتجلى بصورة ملموسة في عملية ديناميكية، يبذل المولود ثانيةً في مجراها كل اجتهاد، ويأتي بثمر روحي. وبهذه الطريقة يجعل دعوته الإلهية واختياره ثابتين. وهكذا يؤكد في حياته عمل الله الخلاصي فيه. «أن (ن) صير شركاء الطبيعة الإلهية» لا يعني فقط أن **ملك** شيئاً، بل يعني كذلك أن **نصير** شيئاً: فالأمر يتعلق بأن نصير مشاهدين لله، وبذلك متمثلين به.

والبرهان على أن طبيعة الله، أو كيانه، يمكن فعلاً أن يدخل إنساناً وأن يطبع حياة إنسان بطابعه، هو يسوع نفسه. ففيه الحياة الإلهية، وهو نفسه الحياة الأبدية. لقد صار إنساناً لكي تصير هذه الحياة في متناولنا نحن البشر، وقابلة للاختبار. لذلك يستطيع يوحنا أن يقول: «ما هو حقّ فيه وفيكم» (1 يوحنا 2: 8).

14.1 ما هي الطبيعة إذن؟

المقصود **بالطبيعة** هو الكيان أو الصفة الطبيعية التي تسم شيئاً منذ البداية، أو كائناً حياً منذ ولادته. فالطبيعة الحيوانية مختلفة عن الطبيعة البشرية (يعقوب 3: 6-7). والطبيعة تشمل في سياقنا شيئاً ورثه المرء - بخلاف ما أنتجه هو نفسه. فكلمة **طبيعة** (باليونانية *physis*) تعني «ما صار إليه الشيء»⁸⁷، والفعل يعني **أنتج**، و**طور**، و**أنتب**، و**ثما** (ولا سيما في النباتات)؛ والاسم يعني أيضاً **الأصل** وال**ولادة**.

نحن البشر **بالطبيعة**، أي منذ الولادة وبحسب كياننا وطبيعتنا، أبناء الغضب (أفسس 2: 3؛ غلاطية 2: 15). وفي الطبيعة يسري القانون الذي بموجبه يُنتج كل نوع نسله الخاص. وهذا يسري على الإنسان كذلك: فهو يصدق على الجسم، أي الإنسان الخارج، كما يصدق على قلبه، أي الإنسان الباطن. فالإنسان لا يزال اليوم أيضاً، في القرن الحادي والعشرين، يحسد كيان آدم (أول إنسان مخلوق)، ولكن أيضاً ما صار إليه آدم بسقوطه. ونحن نميز بين طبيعة الإنسان التي يذكرها يعقوب (أي ما صرنا إليه بوصفنا خلائق لله على صورته) وبين الكيان الخاطئ الذي ورثناه من آدم (بعد السقوط). وبعبارة أخرى: «يجب أن نميز بين طبيعة الإنسان وطبيعتنا بوصفنا بشراً ساقطين»⁸⁸. نحن بشر وسنبقى كذلك

87. Kittel، Theologisches Wörterbuch zum Neuen Testament (باليونانية *phyein*).

دائماً، مهما كان التغيير الذي نختبره بالولادة الجديدة في ما يتعلق بالروح والنفس، ومهما كان التغيير الذي ينتظر جسمنا في اللحظة التي يأتي فيها الرب ليدعونا إليه. لن نفقد أبداً الهوية الجوهرية التي خلقنا الله بها أولاً (بالولادة). فنحن نبقي الأشخاص أنفسهم - الأفراد أنفسهم. لذلك يجب أن نميز بين مفاهيم مثل «طبيعتنا البشرية»، و«طبيعتنا الساقطة»، و«طبيعتنا الجديدة». فالسقوط لم يُلغِ (طبيعة) كوننا بشراً، وولادتنا الجديدة من ناحية أخرى لا تلغي كوننا بشراً. فما هو جوهري للوجود الإنساني لن نفقده أبداً، وفرديتنا لن تتغير أبداً».⁸⁹

إن الطبيعة الآدمية الساقطة ترسم الواقع البشري الذي لم يعد يتحدد بالروح الإنساني وبصلته بالله (بخلاف الحيوان الذي لا روح له)، بل بالنفس والبدن. فروح الإنسان يحوي وعيه بالله، وقدرته الأساسية على معرفة وجود خالق، وكذلك قدرته على أن يؤمن به، وأن يصلي إليه، وأن يطلبه، وأن يكرمه. ولكن هذه الوظيفة أصابها ضرر جسيم بسبب الخطيئة. فالروح لم يمحَ، بل إن وظيفته لم تعد موجهة إلى الله الحي. ويصف بولس النتيجة هكذا: «الإنسان الطبيعي (باليونانية *psychikos*، أي في الأصل النفساني) ... لا يقبل ما لروح الله» (1 كورنثوس 2: 14). لقد أصاب السقوط كل جوانب الواقع البشري. «إن الصلة (بالخالق في) المودة والتوقير والاعتماد، التي كانت تبقيها قريباً من الله، قد تحطمت؛ فهو يشبه بيتاً انهار سقفه وسقط على الأرض. وإذا يسمّى باسم أدنى جانب انحدر إليه الروح والنفس، فهو «جسد». وهكذا فإن «الجسد» هو التسمية الكافية لطبيعته العتيقة، أو بالأحرى الساقطة».⁹⁰

14.2 شركاء الطبيعة الإلهية

بالطبيعة العتيقة كما ننتمي إلى العالم، حيث لا يملك المسيح، بل الشيطان. ولكن بنوال الحياة الجديدة هربنا من فساد العالم ومن نجاساته (2 بطرس 1: 4؛ 2: 18، 20). أما بالبدن فلا نزال في العالم. فنحن إذن نعيش في عالمين في آن واحد (أفسس 2: 6؛ كولوسي 2: 20؛ 3: 1-5). وبالحياة الإلهية ننتمي إلى عالم الله الجديد، إلى خليقته الجديدة المخلوقة في المسيح وبه.

89. إف. دبليو. غرانت (F. W. Grant)، *The two Natures*، ص. 5.

90. المرجع نفسه، ص. 7.

لقد انتهت حياتنا التي كما نقرّر فيها لأنفسنا، و«شركة الأنا» (Ich-AG) قد أفلست؛ فمشروع حياتنا، أو بالأحرى عالم الأنا عندنا، قد انهار. وقد صُفّيت إجراءات الإفلاس على الجلجثة. والمسيح هو الذي سدّد الديون. أما الآن فنحن شركاء في حياة الله، لنا الآن «أسهم مضمونة»، نحن «مساهمون»، لأن لنا نصيباً في حياة الله. وبهذه «الأسهم» تكون هناك بداية جديدة حقيقية، لأن الله نفسه هو مُنشئها.

14.3 الحياة الأبدية هي حياة المسيح

لقد نلنا حرياً نصيباً في حياة الله، نصيباً في حياته الأبدية. وهذا في النهاية ليس شيئاً آخر سوى حقيقة أن المسيح نفسه، بوصفه شخصاً، هو حياتنا الجديدة (وبذلك لا يعبر إلا عن جانب آخر من الأمر نفسه). فكما أنه هو نفسه الإنسان الجديد الذي خُلِقنا إليه، كذلك يجسّد حياتنا الجديدة.

إن كوننا نملك الحياة الإلهية لا يرفعنا إلى مقام الآلهة. وكذلك لا نصير المسيح حين يصير المسيح حياتنا. بل نبقى خلائق، بشراً على صورة الله، يمكنهم الآن بفضل هذه الحياة أن يكونوا من جديد في شركة مع الله. لنا الحياة «في المسيح»، الذي هو مُنشئها والذي نعتمد عليه. ونحن لا نملك هذه الحياة منفصلة عنه.

14.4 كيف نصير شركاء في الحياة الإلهية؟

كلمة **طبيعة** لها صلة بالولادة والنمو، وتوجّه انتباهنا إلى ما أوضحه يسوع لمعلم الناموس نيقوديموس: **الولادة الثانية**.

الأمر يتعلّق في جوهره بالولادة الثانية التي بها نصير شركاء الطبيعة الإلهية. **الولادة الثانية** مفهوم كلامي لا علاقة له بديانات الشرق الأقصى، ولا بـ«الدورة الأبدية للصورورة والفناء» (كما في البوذية مثلاً)، ولا بأيّ نظرة إلى العالم أياً كان نوعها. وقد تطرّق بعض الكتبة في العهد الجديد إلى الولادة الثانية، ولكن الرسول يوحنا هو الذي وصفها بأكبر قدر من التفصيل. فبينما لا نتقالنا من آدم إلى المسيح جوانب مختلفة، فإن جانب الولادة الثانية هو بالذات ما يصفه يوحنا. الولادة الثانية تخلق حياة جديدة مختلفة. وهي تختلف عن الحياة التي ورثناها بالطبيعة (من آدم).

لقد قدّم جميع كتبة العهد الجديد إسهاماتهم في ما يتعلّق بكيف ينال المرء حياة جديدة، وكيف تتجلّى في الحياة اليومية. والقاسم المشترك بينهم جميعاً هو أن المسيحية تعني تغييراً للإنسان لا يُحدثه الإنسان بنفسه، بل يأتي من فوق، من الله نفسه. وبذلك نكون في صميم موضوعنا. فعبارة «من فوق» هي بالضبط الكلمة التي يستعملها يسوع في سياق الولادة الجديدة.

14.5 الولادة الثانية – مولودون من الله

أراد نيقوديموس أن يتحدّث مع يسوع في مسائل لاهوتية. ولكن الرب يسوع لم يكن لديه وقت لذلك. فقد كانت ضرورة الولادة الجديدة بالنسبة إليه أهمّ. وبذلك يقول الرب يسوع في جملة واحدة إن ما هو عليه الإنسان بحكم ولادته (بالطبيعة) لا يستطيع أن يرى ملكوت الله، فضلاً عن أن يتيح له الدخول إليه (يوحنا 3: 1-36). وضرورة الولادة الجديدة لا تترك شيئاً صالحاً في ما نحن عليه بالطبيعة. وهذا يسري أيضاً على نيقوديموس، معلّم إسرائيل. يقول له يسوع إن هذه الولادة لا تتمّ بالتنازل البشري، بل «من الماء والروح». فالأمر لا يتعلّق بتكاثر طبيعي، بل بعمل من فوق، من عند الله. فأولاد الله لا يولدون من مشيئة الإنسان، بل من الله (يوحنا 1: 13). لا يصير المرء ابناً لله إلا بالولادة الثانية! ولو وُلد أبٌ جسدي الإنسان مئآت المرات وولدت أمّه، لكنت النتيجة دائماً واحدة: المولود من الجسد جسد هو. فإن كان الإنسان ينبغي أن يولد ثانية، فلا بدّ أن يُبحث عن المصدر في مكان آخر تماماً. ولكن كيف تتمّ هذه الولادة العجيبة؟ إنها تتمّ بصورة ملهوسة من الماء والروح، كما يقول الرب يسوع (يوحنا 3: 5).

14.5.1 مولودون من الماء

الأمر هنا لا يتعلّق بولادة حرفية، ولا بالأدوات المستخدمة عند الولادة. فلا بدّ إذن أن يكون للماء معنى مجازي. فإلى ماذا يرمز الماء؟ الماء يرمز إلى كلمة الله، كما يكتب بولس إلى أهل أفسس: «... بغسل الماء بالكلمة» (5: 26). فكلمة الله أداة ملهوسة في الولادة الثانية:

«شاء فولدنا بكلمة الحق»

يعقوب 1: 18

«... مولودين ثانيةً، لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى، بكلمة الله الحيّة الباقية.»
(انظر أيضًا 1: 3)

1 بطرس 1: 23

«أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به.»

يوحنا 15: 3

الماء هو كلمة الله وقوّتها المطهّرة. وهي تحيا بروح الله وتعمل في الخاطئ. فكلمة الله المكرّز بها أو المشهود لها أو المقروءة تكشف الخطيئة، وتقود إلى التوبة والإيمان. وقبل يسوع المسيح بالإيمان يحدث الولادة الثانية (يوحنا 1: 12). والإيمان هو نتيجة الكرازة بكلمة الله (رومية 10: 17). فهي، بوصفها زرع الله، تُنشئ الحياة الجديدة.

والكلمة، الزرع الذي لا يفنى، تُحدث أمرين على الأقل: فهي تُنشئ حياة لا تفنى (أي أبدية) كالكلمة نفسها. وهي تولّد حياة تحمل بالضبط السمات التي لكلمة الله. فكلمة الله هي الحمض النووي للحياة الجديدة. والبذرة تحوي كل المعلومات عن الشكل الذي سيكون عليه النبات أو الكائن الحيّ المولود. وهكذا فإن كلمة الله هي المخطط الأساسي، أي «الشفيرة الوراثية الكاملة» للحياة الجديدة. وهذه الكلمة التي نستطيع أن نقرأها تبين كيف تتحقّق هذه الحياة وتتجلّى. وبهذا المعنى يقول يعقوب إننا ولدنا بكلمة الحق، وإن هذه الكلمة هي في الوقت نفسه الزرع الذي غرس فينا لكي ينمو (يعقوب 1: 18، 21). فطبيعة البذرة تحدّد شكل الحياة. والطبيعة الإلهية كاملة في ذاتها، أو بالأحرى تامّة (وهذا يسري أيضًا على البذرة المعنيّة)، ولكنها فينا يمكن أن تتخذ صورةً وأن تزداد، وينبغي لها ذلك.

وقبل أن تنتقل إلى الأداة الثانية، تكفي، بعد التأمّلات السابقة، الإشارة إلى أن الكلام هنا ليس عن المعمودية الماء. فماء المعمودية الماء لا يُنشئ إنسانًا جديدًا، ولا يجعلنا أولادًا لله. بل إن المعمودية الماء تربطنا بالمسيح ظاهرًا (في اعترافنا).

14.5.2 مولودون من الروح

ليس الروح الإنساني هو الذي يولد ثانيةً. ولا هو الذي يحدث الولادة الجديدة. بل الروح القدس، روح الله، هو الذي به تتطلق الولادة الثانية وتتمّ.

المولود من الروح هو روح. صحيح أن الأمر في عطية الولادة الثانية لا يتعلق بحياة جديدة من الناحية الجسدية أو البيولوجية. إنها حياة روحية في مقابل الوجود الطبيعي للإنسان غير المفدي. ولكنها توافق أيضاً الروح القدس، روح الله، لأنها حياة إلهية. فالحياة الجديدة توافق طبيعة الروح القدس، إذ قد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية (الحياة الإلهية).
لقد عجز نيقوديموس عن الفهم رغم علمه. وكان يمكنه أن يعرف من العهد القديم ما يُحدثه «الماء والروح» حين يعمل كلاهما في الإنسان بفعل الله!

14.5.3 نبوة حزقيال: قلوب جديدة وروح جديد

حزقيال هو الذي لم يتكلم عن الولادة الثانية بالمعنى الحرفي، ولكنه قصد مع ذلك العملية نفسها التي سيستعمل فيها الماء والروح. سيفعل الله ما يلي (حزقيال 11: 19؛ 36: 25-27):

- يرشّ ماءً طاهراً على بني إسرائيل ليطهرهم
- يعطيهم قلباً جديداً وروحاً جديداً
- يعطيهم قلباً من لحم بدلاً من قلب من حجر
- يجعل روح الله في داخلهم، لكي يسلكوا في فرائض الله.

لقد ذُكرت هنا عناصر مهمة من خلاص الله في الولادة الثانية. فأولاً هناك التطهير الذي يُنبئ الماضي. وبدلاً من الحياة القديمة، التي كان التطهير لازماً لها، يحلّ الآن قلب جديد وروح جديد.

إن تعبير «القلب» على وجه الخصوص، وكذلك مفهوم «الروح» (بمعنى «الروح الإنساني»)، يقصدان أعماق الشخص المعنوي (أمثال 4: 23). فالأمر يتعلق بمركز الشخصية الإنسانية، الذي يجب أن يتحوّل تحوّلاً كاملاً. والإنسان لا يصير بهذا التحويل بلا إرادة، بل بالأحرى يصير به قادراً على أن يعمل مشيئة الله. فالقلب الحجري قلب قاسٍ - قلب ميت لا يستطيع ولا يريد أن يحيا متّجهاً إلى الله. وإذا تجددت إرادة الإنسان، احتاج إلى قوة لكي يستطيع أن يعمل مشيئة الله أيضاً. فينال روح الله، فيصير به قادراً على أن يعيش فعلاً بحسب وصايا الله.

وهنا أيضًا يتّضح أن الإنسان يتغيّر من الداخل، لا بوصايا تُفرض عليه من الخارج فلا تقود إلا إلى تغيير خارجي في السلوك. يستطيع الناس أن يغيّروا سلوكهم بانضباط صارم، ولكن المسيحي يتصرّف بطريقة مختلفة لأنه نال قلباً جديداً وروح الله. فالطاعة الجديدة عنده مسألة قلب. والانضباط مهمّ أيضًا في ذلك، ولكنه ليس الحاسم.

المولود من الروح هو روح! وهكذا يميّز حزقيال منذ ذلك الحين بين «الروح الجديد» الموافق للحياة الجديدة، وبين الروح القدس بوصفه شخصاً يسكن في المولود ثانيةً. وإن كان يسوع لا يتكلّم مع نيقوديموس مباشرةً عن عطية الروح القدس، فإنها مع ذلك متضمنة هنا. ويذكر يوحنا بضع مرات الروح بوصفه ملكاً لنا (يوحنا 7: 39؛ 14: 17، 26؛ 15: 26؛ 16: 13).

ويتناول بولس كلمات حزقيال ويوضّح أنها سارية علينا أيضًا: فروح الله يكتب على قلوبنا، التي ليست، بخلاف ألواح الناموس، من حجر، بل من لحم. وهذا يفترض أن قلوبنا أيضًا قد تحوّلت تحوّلًا كاملاً. وهذا «العمل» من الله في قلبنا يبيّن مرة أخرى ما يفعله الله لكي يغيّرنا أكثر فأكثر إلى صورة ابنه. فلنكتبه على قلوبنا هدف: ينبغي أن تتغيّر من الناحية الأخلاقية إلى تلك الصورة عينها، صورة المسيح الممجّد على عرش الله - وذلك بالروح (2 كورنثوس 3: 18).

14.6 مُنْقَذُونَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ: أَحْيَيْنَا

الولادة الجديدة ليست ضرورية لأنه ليس لنا حياة، بل لأن الحياة الصحيحة تنقصنا. فالمولود من الجسد جسد هو، وبذلك لا فائدة منه. يجب أن نولد من الروح. بهذا وحده ندخل ملكوت الله ونمتلك الأمور السماوية.

ولكن من المنطقي أن تكون نتيجة الولادة أيضًا حياة لم تكن موجودة من قبل. لذلك يقول الرب يسوع إنه سيأتي بالناس منذ الآن من الموت إلى الحياة. هنا واليوم (لا في المستقبل فقط) سيفعل ذلك: «تأتي ساعة وهي الآن، حين يسمع الأموات صوت ابن الله، والسامعون يحيون» (يوحنا 5: 25). فكما أن كلمة الله هي زرع الولادة الثانية، كذلك هنا الكلمة (صوت الابن) هي التي تُحيي. فالإنسان بالطبيعة ليس خاطئًا فقط (أي كائنًا يسود عليه الجسد ولا ينفع لشيء). بل هو أيضًا ميت يحتاج إلى حياة. إنه بالطبيعة ميت في خطاياه (أفسس 2: 1؛ كولوسي 2: 13 وغيرهما). والموت يعني دائماً الانفصال

بين أمور تنتمي بطبيعتها بعضها إلى بعض. وهكذا فإن الإنسان، وإن كان حياً تمام الحياة من الناحية البيولوجية والعقلية، فهو بالمعنى الروحي ميت من جهة صلته بالله. فهذه العلاقة، بكل ما ينتمي إلى مثلها، غير موجودة. وبالإقامة الروحية (أو الإحياء، الذي يشمل في النهاية جانباً آخر من الولادة الثانية) ينال الخاطئ الميت روحياً الحياة الأبدية. وبذلك يرفع تغربه عن حياة الله (كولوسي 1: 21؛ قارن أفسس 4: 18). وبهذه الحياة لا تُستعاد العلاقة بالله فحسب، فتعاد إلى مستوى علاقة آدم بالله قبل سقوطه. بل تُعقد بها بالأحرى علاقة تجعلنا أولاداً لله وأبناءً له. لقد انتقلنا من الموت إلى الحياة! «الروح هو الذي يُحيي. أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذي كُلمتكم به هو روح وحياة» (يوحنا 6: 63)، يقول الرب يسوع.

14.7 سرّ النشوء والنمو

من المفيد أن نقرر أمراً ما بوجه عام عن عملية الولادة الجديدة. فالكاتب المقدس لا يقول في أي جزء من الإنسان توجد الحياة الأبدية حين يهبها الله للإنسان. فبعضهم يقول إنها في روحنا، وآخرون يشددون على النفس. ومن المغري أن ننسب العمليات الخلاصية التي تجري في الإنسان إلى الجوانب المفردة من الكيان البشري. ولكن الكاتب المقدس ليس كتاباً في علم الإنسان، لا الإنسان العتيق ولا الإنسان الجديد.⁹¹ نحن في الولادة الثانية أمام سرٍّ أعلن جزء منه، ولكن جزءاً معيناً منه مخفيٌّ أيضاً، وهذا يرجع إلى تعقيد الطبيعة البشرية. وهذا يبين مرة أخرى حدود معرفتنا، ولكنه لا ينتقص شيئاً من حقيقة أننا نملك فعلاً حياة الله الأبدية (الروحية) حياةً لنا. فالرب يسوع نفسه يشبه عملية الولادة الجديدة، التي يُحدثها الروح، بالريح: يمكن أن يُسمع صوتها (أي يمكن أن تلاحظ آثاره في الإنسان المعني الذي يعمل فيه الروح). ولكن لا يمكن أن يرى من أين تأتي وإلى أين تذهب (يوحنا 3: 8). فالولادة الثانية بالنسبة إلينا عملية خفية، لا يمكن أن تجعل مرئية لا بمعرفتنا ولا بالتقنية.

وكذلك لا توصف عملية نمو الحياة الجديدة بالتفصيل، بل تُفترض أمراً مُسلماً به. فجميع كتبة العهد الجديد تقريباً يؤكّدون أن هناك نمواً وتجديداً (مستمراً)، وحركة، وتقدماً ونضجاً متزايداً في الإيمان (يوحنا 3: 30؛ أفسس 4: 13؛ 1 بطرس 2: 2؛ 2 بطرس 3:

91. Hans-Jörg Ronsdorf، ومع ذلك فالأموات أحياء (Und die Toten leben doch)، الفصل 3 (صورة الإنسان في الكتاب المقدس)، ص. 147 وما بعدها.

18؛ كولوسي 1: 10؛ 3: 10؛ 1 يوحنا 2: 12-17؛ غلاطية 4: 19؛ رومية 12: 2؛ 2 كورنثوس 3: 18؛ 4: 16؛ أفسس 4: 23). ويوصف هذا بصورة مبدئية بقدر أكبر أو أصغر. والأمر يتعلق دائماً بمحدث يُطلقه الله نفسه ويواصله من ناحية، ولكنه من ناحية أخرى لا يمكن أن يتحقق إلا بمساهمتنا، وبموافقتنا وقرارنا، وبانضباطنا وثباتنا في اتباع وصايا المسيح (لوقا 8: 15؛ 2 بطرس 1: 8؛ يعقوب 3: 18؛ تيطس 3: 14). وعملية التحول تجري دائماً بحسب المبادئ المذكورة. ولكنها تجري في ملايين المسيحيين الكثيرة (بسبب اختلاف هؤلاء المسيحيين في تكوينهم الجوهري، وفي ظروف حياتهم، وفي حسمهم أيضاً) بسرعة وشدة مختلفتين. والبستاني الإلهي يعتني بحبة بكل نبتة فردية (عبرانيين 12: 11؛ يوحنا 15: 2) - مع الجميع بهدف واحد عظيم، هو أن يكونوا مشابهي صورة ابنه (رومية 8: 29). فإن كان هذا هو هدف الله الأعظم، فلا بد أن يكون أيضاً شغلنا الأعظم. وهذه الشركة مع الله، أو بالأحرى هذا الاتفاق على أن يكون لنا الهدف نفسه، سيبسط أموراً كثيرة في حياتنا ويمنحنا توجّهاً أكبر نحو الهدف. وبذلك سنكتسب نظرة مختلفة تماماً - أي نظرة إلهية - إلى ظروف حياتنا اليومية.

إن حكمة الله وحدها هي التي تُحدث **نشوء** الحياة الجديدة و**ثوفا** كليهما. والحاسم هو النتيجة التي يُعرف بها عمل الله، أي ثمر الروح الجيد في حياة المسيحيين المتغيرة.

14.8 النمو - الحياة تنمو

النمو أمر بالغ الأهمية. فحياة الله كاملة في ذاتها، ولكنها حين توضع في إنسان، ينبغي أن تنمو. ويجب أيضاً أن تتغلغل عملياً في الإنسان كله. فالحياة الجديدة تغير سلوك الإنسان ومعرفته، أو بالأحرى كجانه، أكثر فأكثر من الحياة القديمة نحو الحياة الجديدة (أي إن طبيعة يسوع المسيح تتصور فيه أكثر فأكثر، غلاطية 4: 19؛ 2 كورنثوس 3: 18).

لننظر إلى الطبيعة البرية. هناك لا توجد حقول قمح. فهي لا توجد إلا حيث أنشأها الناس وزرعوا البذار الموافق لها. وهكذا لم ننتج في حياتنا القديمة إلا شوفاً وحسكاً (أفسس 5: 11). ولكن الآن يُبذر زرع الكلمة؛ فينمو قمح جيد، ثم لله (متى 13: 23؛ رومية 6: 22؛ 7: 4). فالبذرة تنبت في «تربة القلب» الخصبية. وهكذا تغير الحياة الجديدة التي من الله الإنسان. ونتيجة ما حدث في الداخل، وما يستمر في الحدوث منذ ذلك الحين، يمكن أن تُرى في سلوك الإنسان المولود ثانية: فهو الآن متّجه نحو الذي ولده.

في الإنسان الذي تُزَرع فيه البذرة لا يزال الشرّ موجوداً، كما يمكن أن يكتشف المرء في حقل القمح أيضاً قدراً أكبر أو أصغر من الحسك والشوك. ولكن الحياة الجديدة، الثمر الجديد، هي أيضاً حياة غالبية (1 يوحنا 5: 4). وفيها يمكن أن تفتّح التغيرات في المولود الجديد: فقد صار الآن متمثلاً بالله الذي وهبه الحياة، وبينما تأتي التربة الجيدة بالثمر الجيد، نزيل من حقل حياتنا ما ليس ثمراً جيداً: أشواك سلوكياتنا القديمة الخاطئة، والحسك ذا الجذور الطويلة العميقة، الذي يمثّل العادات القديمة المستعصية. فبعض الأعشاب الضارة يحتاج إلى انضباط صارم ومثابرة حتى يجعل غير مؤذٍ، ولكن هذه الجهود تستحقّ العناية إذا أخضعنا أنفسنا للهدف الذي لله معنا. والحجارة الملقاة في حقل حياتنا أعباء وأثقال لا لزوم لها، وهي أحياناً الخطايا المحيطة بنا بسهولة، التي تبطئ نمونا وتقدّمنا وتعيقهما (إشعيا 5: 1-7؛ عبرانيين 12: 1).

من المدهش كم من المساحة يشغل النمو في الكتاب المقدس، وكم مرة يطبّق على الإنسان. فقد كان إسرائيل كرم الرب، وكان ينبغي أن يأتي بثمر جيد. والله نفسه هو الكرام. من المهم أن نحرس جيداً كرم حياتنا، أو بالأحرى «كرمنا الخاص» (نشيد الأنشاد 1: 6). فالمسيح هو الكرم، ونحن الأغصان فيها، لكي نأتي بثمر للأب (يوحنا 15: 1-8).

النمو الروحي عملية طبيعية، كما يحدث في الطبيعة وفي طبيعتنا البشرية أيضاً. وهذا النمو يحتاج إلى وقت وإلى كل الشروط اللازمة. فالنمو لا يتم بقفزات، وليست هناك أيضاً طرق مختصرة - أياً كانت الأمور والاختبارات. «لا يعلم في أيّ موضع من الكتاب أن هناك قفزة مفاجئة من الجسدانية إلى الروحانية، أو من حياة لا مبالية نسبياً إلى حياة تكريس للمسيح. بل على العكس، يصور النمو في التقوى بوصفه نمواً ينبغي أن يكون طبيعياً وعادياً كالنمو الطبيعي للإنسان من طفل إلى إنسان ناضج بالغ».⁹²

بالببوت الزجاجية يمكن للمرء أن يفلت من قوانين الفصول، وأن يحصد نباتات وأصنافاً كثيرة من الخضار في كل فصل. ولكننا نعلم جميعاً أنه لا يمكن أبداً أن تُزَرع في البيت الزجاجي نباتات بالجودة التي تبلغها نباتات الحقول المكشوفة. وهذا يصدق أيضاً على طعم ثمار النباتات المزروعة في البيت الزجاجي. وكذلك ينمو الثمر الروحي على أفضل وجه في

92. هنري ألين آرونسايد (Henry Allen Ironside)، Heiligung - Zerrbild und Wirklichkeit، ص. 153.

الحياة اليومية. فلثمر في الطبيعة البرية، حيث يتعرض للريح والطقس، وللحر والبرد، وللجفاف والمطر، أفضل شروط النمو. لا نريد أن نصير «مسيحي بيوت زجاجية».

14.9 الاستصلاح والزراعة

«الاستصلاح والزراعة» يعنيان مثلاً إنشاء حقل قمح حيث كانت من قبل غابة أو سهوب. وفي سياق «الإتيان بالثمر» يقول بولس (فيلي 2: 12-13):

«تمموا خلاصكم

بخوف ورعدة،

لأن الله هو العامل فيكم

أن تريدوا

وأن تعملوا

من أجل المسرة.»

لعله لا توجد كلمة كناية أخرى تُبين باختصار وإيجاز مسؤوليتنا عن العمل، وفي الوقت نفسه عمل الله في عملنا، كهذه الكلمة. فبينما نحن «نعمل»، يكون الله في الوقت نفسه عاملاً. الخلاص يلزم بالعمل: إذ ينبغي أن نقدم البرهان على الخلاص الذي نلناه - بل أن نتممه. وهذه الكلمة الكناية تتضمن توتراً كبيراً بين مسؤوليتنا وعمل الله. ولكن لا يجوز لنا أن نحل هذا التوتر ببساطة بأن نلصق أن الخلاص ينبغي أن يرى منفصلاً عن عملنا، وأن لا علاقة له بجهودنا الخاصة. لنأخذ كلمة الله كما هي! بل بخوف ورعدة (أي بالوعي بأننا قد نرتكب أخطاء) ينبغي أن نعيش الخلاص، وأن نأخذ بجدية «الخلاص بصيغة الأمر» الذي كثيراً ما ذكرناه. وحين تبلغ الهدف يوماً ما، سندرك أنه مع كل بذلنا كان الله بنعمته هو الذي أنجز كل شيء.

ولكن فيم تقوم صلة هذه الآية بالنمو الروحي؟ إن مفهوم «تمموا» كان يُستعمل في اللغة اليونانية أيضاً للفلاحة، أي لحراثة الأرض الزراعية. وهذا يؤكد لنا: لقد غرس الله كلمته في قلوبنا، ووهبت لنا حياة جديدة. ويجب علينا الآن أن نعتني بحقل الحياة الجديدة هذا وأن نزرعه: فينبغي في ذلك أن نزيل كل ما يعيق، وأن نوفر كل ما يعزز النمو. وينبغي

فضلاً عن ذلك أن تتأكد من أن حصاداً جيداً يمكن أن يُجمع. فحياتنا تشبه الحقل، وهذا بالطبع بالمعنى المجازي. وعمل الفلاح هذا هو بدوره عمل الله نفسه. فبالثقة بالله، الذي يعمل كل شيء ويريد أن يعمل، نزرع ونعتني بما خلقه الله فينا.

أمور العالم تجعل تربة القلب قاسية وغير متقبلة لكلام الله. والتربة التي كانت قاسية حتى الآن يجب أن تفكك بجهد، لكي تمتص الماء وتأتي بثمر من جديد. وكذلك يجب أن تزال باستمرار الأعشاب الضارة من الأفكار الشريرة والنجسة. فالنباتات الصغيرة أسهل في الإزالة من القديمة ذات الجذور العميقة. فلنتصد لها إذن فوراً وباستمرار!⁹³

14.10 هوية أم واجب؟

البستاني الهاوي يهتم بالأعشاب الضارة لأن هويته، بكل بساطة، أن يكون له بستان جميل. وهو ليس مضطراً إلى ذلك، ولا أحد يجبره عليه. فإذا طبقنا صورة البستاني أو الفلاح على تقديسنا، فالأمر لا يتعلق بخيار يمكن أن نأخذ به أو أن نهمله. فأن يقرر المرء أن يعيش حياة التقديس وأن ينو روحياً ليس أمراً لطبقة خاصة من المسيحيين يريدون أن يذهبوا إلى الإرسالية أو أن يصيروا وعظاً. بل إن الخلاص يلزمنا بالأحرى بأن نتبع القداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب. ومهما بدا ذلك غريباً لهذا أو ذاك: بدون قداسة في حياتنا لن نرى الرب في النهاية (عبرانيين 12: 14)!

«لأن أرضاً قد شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة، وأنتجت عشباً صالحاً للذين فُلتحت من أجلهم، تنال بركة من الله. ولكن إن أخرجت شوفاً وحسكاً، فهي غير مُزكاة وقريبة من اللعنة، ونهايتها للحريق» (عبرانيين 6: 7-8).

14.11 الخلاص بصيغة الخبر عند يوحنا

حياة الله (الحياة الأبدية) هي موضوع يوحنا. وهو يتناول كذلك الولادة الجديدة التي بها ننال هذه الحياة. ولنجتمع من رسائله الثلاث ما صرنا إليه بوصفنا أولاداً لله وما وهب لنا. فعنده يعني الخلاص بصيغة الخبر ما يلي (ولنتنبه إلى أوجه الشبه الكثيرة مع بولس):

- الشركة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح (1 يوحنا 1: 3)
- الفرح الكامل (1: 4)

93. سي. جي. ويليس (C. G. Willis)، Betrachtungen über den Brief an die Philipper، ص. 184.

- نحن نسلك في النور (1: 7؛ 2: 9-11).
- هو، ابن الله، وضع نفسه لأجلنا (3: 16).
- دم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية (1: 7).
- هو كفارة لخطايانا (2: 2؛ 4: 10).
- خطايانا مغفورة (2: 12).
- خطايانا قد رُفعت (3: 5).
- الغفران الدائم (بعد الاعتراف) والتطهير من الإثم (1: 9)
- لنا شفيع (معين) عند الآب إن أخطأنا (2: 1).
- فينا قد تكلمت حقاً بحبة الله (2: 5؛ 4: 12، 17).
- حبة الآب قد وهبت لنا (3: 1).
- الله يحبنا (4: 16).
- نحن فيه (2: 5).
- نحن في الحق، في ابنه يسوع المسيح (5: 20).
- ما هو حقّ فيه هو حقّ فينا كذلك، أي الحياة الإلهية (2: 8).
- نحن نثبت إلى الأبد (2: 17).
- لنا الروح القدس، المسحة من القدوس (2: 20، 27).
- لقد أعطانا من روحه (3: 24؛ 4: 13).
- نحن في الآب وفي الابن (2: 24).
- وعده لنا: الحياة الأبدية (2: 25)
- أعطانا الله حياة أبدية، وهذه الحياة هي في ابنه (5: 11، 13).
- لنا الابن، ومعه الحياة (5: 12).
- الحياة الأبدية ثابتة (أي ساكنة) فينا (3: 15).
- نحن مولودون من الله (2: 29؛ 3: 9؛ 4: 4، 6-7؛ 5: 1، 3، 18-19؛ 3 يوحنا 11).
- نحن أولاد الله (3: 1).
- زرع الله فينا (3: 9).
- سنكون مثل ابن الله (3: 2).

- سنرى ابن الله كما هو (3: 2).
- قد انتقلنا من الموت إلى الحياة (3: 14).
- نحن فيه، وهو فينا (3: 24؛ 4: 4).
- لنا حياة بالابن (4: 9).
- لنا ثقة في يوم الدين (4: 17).
- الخوف قد نزع عنا بحبة الله الكاملة (4: 18).
- نحن نصلي بثقة وبحسب مشيئته (5: 14-15).
- نحن مختارون (2 يوحنا 13).
- الحق الإلهي ثابت (كروح الله أيضاً) فينا ومعنا إلى الأبد (2 يوحنا 2).

14.12 الخلاص بصيغة الأمر عند يوحنا

حيث توجد البركات والامتيازات، توجد أيضاً الواجبات والمسؤولية. وهذه المعرفة ليست جديدة، ولكن هذا الجمع يخاطبنا:

- أن نحفظ وصاياهم (2: 3-4؛ 3: 22؛ 5: 2-3؛ 2 يوحنا 5)
- أن نحفظ كلمته (2: 5)
- ينبغي أن نسلك كما سلك هو (2: 6؛ قارن 4: 17)
- أن نحب الأخ (2: 10؛ 3: 10، 14؛ 2 يوحنا 5)
- ألا نحب العالم (2: 15)
- أن نغلب العالم بالإيمان (4: 5)
- أن نعترف بالابن (2: 23)
- أن نثبت فيه (2: 28)
- أن نفعل البر (2: 29)
- أن نظهر أنفسنا كما أنه هو، ابن الله، طاهر (3: 3)
- ألا نفعل الخطية (3: 6، 9؛ 5: 18)
- أن نضع حياتنا لأجل الإخوة، وأن نفتتح لهم قلوبنا (3: 16-17)
- أن يحب بعضنا بعضاً بالعمل والحق (3: 18؛ 4: 4؛ 7؛ 4: 11)
- أن نثبت في المحبة (4: 16)

- أن نعمل المرضيات أمام الله (3: 22)
- نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً (4: 19).
- أن نسلك في الحق (2 يوحنا 4؛ 3 يوحنا 4)
- أن ننظر إلى أنفسنا لثلاث نضع ما عملناه (2 يوحنا 8)
- أن نثبت في تعليم المسيح (2 يوحنا 9)
- أن نتمسك بالحق (3 يوحنا 3)
- أن نضيف خدام الله (3 يوحنا 5-8)
- أن نفعل الخير ونتمثل بالخير (3 يوحنا 11).

14.13 الحياة الأبدية - نوعًا وكما

لحياة الجديدة بعدُ يطنى على كل ما كان من قبل، وعلى كل ما يظنه الناس ممكناً. فالحياة الأبدية ليست مجرد وجود بلا نهاية، فهذا الوجود لكل إنسان، حتى لغير المولود ثانيةً، بل بالولادة الثانية ننال بالأحرى وجوداً يجعلنا قادرين على أن نكون يوماً ما في السماء، أي هناك حيث «موطن» الحياة الأبدية، ولكن رسالة يوحنا تدور حول ملء هذه الحياة التي تطبعها السماء، والتي نملأها فيها لا عندئذ فقط، بل منذ الآن، ونحن لا نزال على الأرض. فملء هذه الحياة وغناها ومضمونها موجودة الآن فينا. وبذلك لم ينشأ مجرد وجود، بل إنسان جديد بكل ما يشكّل الإنسان: الإرادة، والمحبة، والمعرفة، وأمور أخرى كثيرة. وبهذه الحياة نلنا معرفة الآب (يوحنا 17: 3). لقد دخلنا في علاقة وشركة حياة وثيقة، تطبعها المحبة، مع الآب والابن. وما كان هذا ليكون ممكناً أبداً لو لم تكن لنا الحياة نفسها التي للآب والابن.

14.14 علامات الحياة

من استطاع أن يحضر ولادة أولاده يعرف ما أعنيه. فالجميع ينتظرون بترقب أول أصوات الطفل. فإذا صرخ، تكون معجزة الولادة قد تمت. وفي الحياة الروحية توجد أيضاً مثل هذه العلامات للحياة. فبعد قليل من حديثه عن الولادة الثانية (1 بطرس 1: 23) يقول بطرس إنه ينبغي لنا، كأطفال مولودين الآن، أن نشتهي اللبن العقلي العديم الغش، أي لبن كلمة الله (1 بطرس 2: 2). وبعبارة أخرى: الإنسان المولود ثانيةً عنده جوع إلى كلمة

الله، أو بالأحرى اهتمام بها. فلم يعد يستطيع أن يكون بدون كلمة الله، لأنها له كالطعام. ومن علامات الحياة الأخرى التي عدّناها من قبل تحت الخلاص بصيغة الأمر:

- المولود من الله يفعل البرّ (1 يوحنا 2: 29).
- المولود من الله يحبّ الله ويعرفه (1 يوحنا 4: 7).
- المولود من الله يؤمن أن يسوع هو المسيح (1 يوحنا 5: 1).
- المولود من الله يحبّ الإخوة والأخوات في الإيمان (1 يوحنا 5: 1).
- المولود من الله يغلب العالم (1 يوحنا 5: 4).

ونفحص علامة واحدة من علامات الحياة الجديدة بتفصيل أكبر (1 يوحنا 3: 6، 9؛ 5: 18):

«كل مَنْ يثبت فيه

لا يخطئ،

كل مَنْ يخطئ

لم يُبصره

ولا عرفه.»

«كل مَنْ هو مولود من الله

لا يفعل خطية،

لأن زرعته يثبت فيه؛

ولا يستطيع أن يخطئ،

لأنه مولود من الله.»

«نعلم

أن كل مَنْ

وُلد من الله

لا يخطئ.»

14.15 المولود من الله لا يخطئ

هذه علامة حياة تُحَيِّرنا للوهلة الأولى، وربما تُحزننا أيضاً. هل يريد يوحنا أن يقول إن المسيحي لا يستطيع أن يخطئ بعد الآن أبداً؟ لو قصد ذلك، لكان قد ناقض نفسه؛ فهو يكتب في الأصحاح 2: 1:

«يا أولادي، أكتب إليكم هذا

لكي لا تخطئوا؛

وإن أخطأ أحد -

فلنا شفيع عند الآب،

يسوع المسيح البار.»

وقبل ذلك أيضاً يقول:

«إن قلنا إنه ليس لنا خطية،

نُضَلِّ أنفسنا وليس الحق فينا.

إن اعترفنا بخطايانا،

فهو أمين وعادل،

حتى يغفر لنا خطايانا

ويطهرنا من كل إثم.»

1 يوحنا 1: 8-9

إن كان يوحنا يدعو إلى عدم الخطية، فمن الواضح أن هناك إمكانية أن يظل الشخص المعني قادراً على أن يخطئ، وأنه لم يصر بلا خطية. واختبارنا اليومي هو للأسف أيضاً برهان لا يُدحض على أن الأمر كذلك. ولكن معيار يوحنا أو مقياسه يقوم بوضوح على أنه ينبغي ألا نخطئ (على الإطلاق)؛ فهو لا يقول، كما كنا سنعتبر نحن على الأرجح: «حاول أن تخطئ أقل ما يمكن!» بل يستمد يوحنا معيار حياتنا مما قاله يسوع نفسه عن الله، وهو أن

«الله نور (قدّوس وبارّ قداسة وبراً مطلقين)، وليس فيه ظلمة (خطية) البتّة» (1 يوحنا 1: 5). وحين يقول في البداية: «إن أخطأ أحد...»، يتّضح أنه لا يتكلّم هنا عن القاعدة، بل عن الاستثناء. ولسنا بحاجة إلى ألعاب بهلوانية لكي نوقّق بين هذه الكلمات وبين الكلمات التي تقول إن المولود من الله لا يخطئ، أو (بصياغة أوضح) لا يستطيع أن يخطئ. فهذه الكلمات التي تبدو متناقضة جدّاً لا بدّ أن تكون متوافقة بعضها مع بعض.

يرانا يوحنا هنا بوصفنا الذين وُهبَت لهم قوة الحياة الجديدة وطبيعتها. ففي نظره نحن هنا الذين يملكون هذه الحياة التي نشأت بزرع الكلمة الإلهي. ولهذا بالضرورة النتيجة التالية: المسيحي لا يخطئ خطيةً دائمة (وهذه هي الصيغة النحوية للاستمرار) ولا عن عادة. إنه، إن تكلمنا بلغة بولس، مُحَرَّر من سلطان الخطية. «مع أن المؤمن يخطئ أحياناً، فإن المبدأ المسيطر على حياته ليس الخطية، بل عكس الخطية. نحن أولاد الله، والخطية أمر شاذّ وغير طبيعي بالنسبة إلينا»⁹⁴ المسيحي يحبّ الله ووصاياه. ومن صميم طبيعته أن يبغض الخطية. إنه يحيا ويسلك بالروح، لكي لا يكبل شهوة الجسد (غلاطية 5: 16، 25).

ويشرح بعضهم ذلك هكذا: يوحنا يقصد حصراً الحياة الجديدة (حياة المسيح فيه) التي لا تستطيع أن تخطئ. وهذا الشرح ليس صحيحاً إلا بقدر محدود. فبالطبع لا تستطيع هذه الحياة أن تخطئ. ولكن الأمر هنا لا يتعلّق بنشاطات الحياة الجديدة، بل بسلوك ذلك **الشخص** المولود من الله. فالحياة الجديدة في حدّ ذاتها لا **تفعل** شيئاً. بل الشخص المعنيّ هو الذي **يفعل** شيئاً بما يوافق حياته وطبيعته. فالشخص **يفعل** شيئاً بمسؤولية كاملة وبقرار ذاتي، بينما تحدّد حياته، أو بالأحرى طبيعته، مصدر الفعل - أي النبع الذي يستقي منه الشخص. فالزرع هو الذي به وُلِدَ كل شخص ثانية، وهذا الزرع هو في الوقت نفسه الحياة الجديدة. ويرى يوحنا الإنسان المولود ثانية الآن بوصفه من يعيش هذه الحياة، أو بالأحرى من تحدّد هذه الحياة وتسمّه. ولا مكان للخطية في هذه الحياة، فهي جسم غريب. «إن رسالة يوحنا تتضمن تناقضات حادة. وهي تتضمن فضلاً عن ذلك كثيراً من العبارات المجردة. وهكذا الأمر مع الخطية والبر. فيبرز دائماً ما هو مميز لأمر ما. وهكذا فالمؤمن بارّ بطبيعته: يفعل البرّ ولا يخطئ. وهذا يعني بالطبع أن طابع حياته صالح: يعيش بارّاً، وبالتالي لا يعيش خاطئاً. أما بالنسبة إلى غير المؤمن فيسري العكس»⁹⁵

94. ألفرد بلامر (Alfred Plummer)، عند جون ر. و. ستوت (John R. W. Stott)، The Letters of John، ص. 138.

95. المرجع نفسه، ص. 137.

لا يتكلم يوحنا عن مثال أعلى كما **يمكن** أن يكون، بل عن الأمر كما **هو**. وأحياناً قد يكون للمرء انطباع بأنه يتجاوز ببساطة الفصل بين **المقام والحالة** العملية (وهو وسيلة لتسهيل الفهم استعملناها خصوصاً في تعليم بولس عن الخلاص). لذلك فإن هذا القول ليس صحيحاً «نظرياً» فقط، أو من جهة المقام، أو موضوعياً، بل هو يصف فعلاً ما نحن عليه أيضاً عملياً في حياتنا اليومية (الخلاص بصيغة الأمر). وهو يتجاوز ما صرنا إليه بالنعمة في مقامنا (الخلاص بصيغة الخبر).

14.15.1 أربع مراحل في تاريخ الخلاص: الإنسان والخطية

في جداله مع بيلاجيوس (Pelagius)⁹⁶ وضع أوغسطينوس أسقف هيبو (Augustinus von Hippo) (430 – 354) التقسيم التالي بالاستناد إلى ثلاثة مفاهيم لاتينية: **posse** (بمعنى «يستطيع، يقدر، يكون في وسعه»، و**peccare** (بمعنى «يخطئ، يزلّ، يتعدّى»، و**non** (بمعنى «لا»).

14.15.2 ألا نخطئ بعد: ممكن أم مستحيل؟

الأمر واضح: يعرف يوحنا حقيقة أن المؤمن «يستطيع أن يخطئ». وهو لا يستبعدا. فالخطية ليست القاعدة في حياة المسيحي. والطبيعي هو أن المسيحي لا يخطئ، لأن قدرة الله قد وهبت له كل ما يخدم حياة في مخافة الله، بمعرفة الله (2 بطرس 1: 3). «المسيحي الحقيقي ليس شخصاً فقد القدرة على الخطية، بل فقد الإرادة والاستعداد لها».⁹⁷

لم يتكلم يوحنا عن أنه يمكن أن يكون هناك انعدام للخطية وكال تامّ (والا لكان يناقض نفسه بشكل لافت). فانعدام الخطية في حد ذاته غير ممكن أصلاً، لأن الخطية تسكن فينا، وهي متشابكة تشابكاً لا ينفصم مع جسمنا ومع وجودنا الأرضي. أما ألا نخطئ بعد، فهو اليوم أمر يستحق السعي إليه (قارن كلمات يوحنا: «... لكي لا تخطئوا»)، ولكنه لا يصير ممكناً إلا في المجد، حين نكون مثله، مثل ربنا، تماماً.

⁹⁶. راهب بريطاني، كان معاصراً لأوغسطينوس، رفض تعليمه عن النعمة، أو بالأحرى عن الخلاص، وأبرز بدلاً من ذلك حرية الإرادة الإنسانية.

⁹⁷. ولیم ماكدونالد (William MacDonald)، *Der vergessene Befehl – Seid heilig*، ص. 45.

1. الإنسان قبل السقوط
2. الإنسان الساقط
3. الإنسان المولود ثانيةً
4. الإنسان في الاكتمال

Posse non Non posse Posse
Non posse peccare peccare Non peccare

كان يستطيع أن

يخطئ (ولكنه لا يستطيع ألا يستطيع ألا يخطئ)
كان يستطيع يخطئ؛ إنه عاجز (ولكنه يستطيع أيضاً لم يعد يستطيع أن يخطئ).
أيضاً أن يتجنب عن عدم الخطية. أن يخطئ).
(ذلك).

من الناحية الروحية كانت الخطية والجسد، أي بفضل الإرادة إنه في الجسد، مبيع توجد فيه الحياة الطبيعية العتيقة، مرتبطين في الحرية كان كل فعل للإنسان الجديدة والحياة المسيحية بوجوده الأرضي الإنسان يستطيع كل فعل للإنسان القديمة. لقد انكسر البدني في الخليقة القديمة، أن يقرر أن الساقط خطية، إكراه الخطية. صار في وهذا الوجود ينتهي في يحترم وصية الله ولكنه لا يستطيع وسعه ألا يخطئ، الاكتمال، ويستبدل بجسد أو أن يكسرها. أن يعيش بلا ولكنه لا يزال يستطيع المجد والقرب الدائم من خطية. أن يخطئ. المسيح.

فهل يجب الآن أن نصاب بخيبة أمل بسبب اختبارنا - علمين أننا لن نستطيع أبداً أن نبلغ هذا الهدف؟ أم هل يوجد في الكتاب سبب يؤكّد لنا أننا لن ننجح في أن نكون بلا خطية؟ إن مثل هذا القول سيدهشنا كثيراً. فكيف يمكن أن يُشجع المسيحي من ناحية على ألا يخطئ، وأن يوضح له في الوقت نفسه أن هذا لن ينجح أبداً؟ هذا لا يتسق، وسيكون من الناحية التربوية غير حكيم إطلاقاً. فمقياس حياتنا هو دائماً كمال الله، ولا شيء أقل منه أبداً.

ولكن إن ظنّ أحد بكل جدية أنه بلغ حالة الكمال (حياة بلا خطية)، فلعله قد فقد النظرة إلى طبيعة الخطية والإحساس بها، وفقد النظرة إلى الواقع. فضميره لم يعد حساساً لذلك. فحتى في كثير من الخير الذي نفعله يرى في الغالب ظل للخطية. ومن يدعي أنه لم يعد يخطئ، فعليه أن يقدم البرهان وأن يأتي بـ«شهود» على انعدام خطيته: شريك حياته،

وأولاده، وغيرهم من الناس في محيطه المباشر. لا أعرف إلا واحداً يصدق عليه هذا: يسوع. وفي هذا الموضوع أضيف الجملة الكثيرة الاستعمال والصحيحة من كل ناحية: «المسيحيون يمكن أن يخيبوا الأمل، أما المسيح فأبداً»، وهي لا ينبغي أن تكون عذراً، بل تشجيعاً.

14.16 الكمال - ما هو؟

يتكلم العهد الجديد كثيراً عن الكمال، حتى حين يتعلّق الأمر بحياتنا الإيمانية. والمقصود بذلك ليس الكمال التام الخالي من كل عيب، أو انعدام الخطية. ومن المهم لفهمنا للتقديس أن نفهم هذا الكمال فهماً صحيحاً. ويمكننا أن نميز ثلاثة معانٍ على الأقل لهذا المفهوم في المواضع الكثيرة التي يرد فيها:

14.16.1 كمال مقامنا الخلاصي

«لأنه بقربان واحد قد أكمل إلى الأبد المقدسين» (عبرانيين 10: 14). بذبيحة يسوع الكاملة الكافية للجميع تحرّنا من خطايانا إلى الأبد. هذا خلاص لا يتغيّر، تام، وكامل من وجهة نظر الله. لقد اغتسلنا، وتقدّسنا، وتبرّرتنا (1 كورنثوس 6: 11). وفي خليقة الله الجديدة (2 كورنثوس 5: 17) نحن كاملون (1 كورنثوس 2: 6؛ فيلي 3: 15). وفي المسيح قد بلغنا الملء، أو بالأحرى صرنا كاملين (كولوسي 2: 10).

وهذا الكمال يشمل عطية نعمة وعمل الله الخلاصي. «لا يجوز الخلط بين هذا الكمال الموهوب وبين انعدام الخطية المطلق أو الكمال الأخلاقي، ولكن لا يوجد نموّ نحو الكمال الأدبي والنضج إن غاب الكمال الأساسي»⁹⁸

14.16.2 الكمال (النضج) في حياتنا: أن نصير بالغين

بينما يقصد المعنى الأول فعلاً كاملاً بلا عيب ولا يتغيّر، فإن العهد الجديد يستعمل هذا المفهوم أيضاً لأمرٍ نشأ وهو في طور النمو أو التقدّم. وهدفه الكمال (باليونانية: النضج)، أي نضج البلوغ الروحي. وهذا المعنى لكلمة **كامل** نجده في 1 كورنثوس 14: 20. فهناك يُقال

98. إريش ماورهورف (Erich Mauerhofer) «Der Kampf zwischen Fleisch und Geist bei Paulus»، ص. 124.

إن أهل كورنثوس في اجتماعاتهم لا ينبغي أن يكونوا أولاداً في أذهانهم، بل كاملين، أي بالغين، ناضجين. والكنيسة مجملها ينبغي أن تنتهي إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله، إلى إنسان بالغ (كامل أو ناضج)، إلى قياس قامة ملء المسيح (قارن أفسس 4: 13). وهكذا فإن الطعام القوي للتعليم الكتابي مخصص للبالغين (الكاملين، الناضجين)، الذين بسبب التمرن لهم الحواس مدربة - على التمييز بين الخير والشر (قارن عبرانيين 5: 14).

وحين يكلفنا يسوع بأن نصير كاملين كما أن أبانا السماوي أيضاً كامل (متى 5: 48)، فإن هذا يكشف أمرين: فهو يبين من ناحية كمال الله، ومن ناحية أخرى العملية الجارية في حياتنا لكي نصير مثل أبينا، لأننا متمثلون به.

14.16.3 الكمال الشامل في الاكتمال الآتي

لإيماننا هدف: أن نكون عند المسيح ومعه، وأن نكون مثله تماماً. فإذا يمكن أن يُسمى كاملاً أو مكتملاً غير ذلك، حين سنكون مثله؟ هذا الاتحاد الكامل بالمسيح، بل وفي قيامته، كان بولس يسعى إليه، ولكنه لم يكن قد بلغه بعد: «ليس أني قد نلت (القيامة من الأموات، وبالتالي فداء البدن أيضاً) أو صرت كاملاً (بلغت الكمال، أي وصلت إلى الهدف)» (فيلبي 3: 12). فيوم تغييرنا أو قيامتنا سيجعلنا كاملين (يبلغنا الهدف، ويكملنا) روحاً ونفساً وبدناً (قارن كولوسي 1: 28).

14.17 مسؤولون عن أفعالنا، لا عن كينونتنا

نقول أحياناً عن شخص ما: «لقد تصرف بحسب طبيعته». ونقصد بذلك أنه لم يقرر بنفسه هل يفعل وماذا يفعل، لأنه كان مدفوعاً بطبيعته. والناس في يوم الدينونة لا يدانون بحسب ما كانوا عليه بالطبيعة، بل بحسب ما فعلوه بمسؤوليتهم الذاتية وعن وعي تام (رومية 2). وهذا يسري أيضاً على المؤمن. فإذا أخطأ، لا يستطيع أن يعتذر عن ذلك بأن طبيعته العتيقة، أو «أناه» العتيق، أو الجسد، هو الذي فعل ذلك. سيكون علينا دائماً أن نقرر هل نريد أن نسلك بالروح أم بالجسد. ويمكن أن تكون الحياة من روح الله عادة مألوفاً لنا، وينبغي أن تكون كذلك. هذا هو قصد الله وهدفه معنا. ولا يجب أن يكون الأمر صراعاً دائماً متشنجاً منهنك، وقراراً دائماً لأجل الخير. ينبغي أن نقبل بالإيمان حقيقة أننا أناس جدد - بقلب جديد، وبحياة جديدة، وبروح متجدد. ويحق لنا أيضاً أن نعيش

في وعي هذا الوجود الجديد. فالفراشة كانت يوماً ما يرقة، إلى أن اختبرت بمعجزة التحول الكامل (الميتامورفوز) تغييراً شاملاً. ومع أنها الحشرة نفسها، فلا يوجد أي شبه بين هذين الشكلين من الوجود. فالفراشة تطير من زهرة إلى زهرة. فلو أنها لم «تكن ما صارت إليه»، وظلت تشعر كأنها يرقة، لكان ذلك مدهشاً جداً. فراشة تظن أنها يرقة! إنها مقارنة طريفة، ولكنها جادة في الوقت نفسه، لأن كثيرين من المسيحيين يعطون في حياتهم هذا الانطباع نفسه. فلا تتصرف كاليرقة التي تُختم نفسها بالأُمور «الأرضية»، بل كالفراشات التي تطير وتعيش من «البركة السماوية»! يحقّ لنا، بل ينبغي لنا، أن نعيش هويتنا الجديدة: أنا أحياء، ولكن لم أعد أنا! المسيح يحيا في (قارن غلاطية 2: 20).

14.18 الطبيعة الجديدة والطبيعة القديمة فينا في آن واحد

يبقى سرّاً بالنسبة إلينا، وسيظل كذلك، أن تكون فينا الطبيعة القديمة والطبيعة الجديدة في آن واحد، وأن يسكن فينا (بالتعبير الكافي) المسيح والخطية معاً. ولكن الكتاب المقدس يعلم هذه الحقيقة، واختبارنا يؤكدّها أيضاً. فما الذي يمكن أن يكون قصد الله من أن يترك الشر فينا إلى يوم الفداء؟ لا يُراد أن نعيش الشر، ولكن يُراد أن ندركه، لكي ندرك أكثر فأكثر، في هذا الزمن القصير، كيف هو الشر حقاً، وماذا عنى للمسيح أن يجعل خطية.

أما التعليم القائل إن للمسيحي طبيعة واحدة فقط (أي الجديدة وحدها)، فلا بدّ من رفضه صراحةً بعد دراسة الأقوال الكتابية المتعلقة بالموضوع. فبقدر ما نحن كاملون في المسيح، بقدر ما هو فاسد الجسد الذي لا يزال فينا. وهو مرتبط ارتباطاً لا ينفصم بوجودنا الجسداني (ومن هنا أيضاً تسميته «الجسد»)، إذ يستعمل المصطلح نفسه للدلالة على الوجود الأرضي في البدن، وكذلك على الكيان الخاطئ العتيق، أي الطبيعة القديمة التي تحيا في الجسم، أي في الجسد). ولا تأتي النهاية المطلقة للجسد الخاطئ عند المسيحي الفرد إلا بالموت الجسدي، أو بتغيير جميع المؤمنين عند الاختطاف.

14.19 خلاصة القول

إن الولادة من جديد ومن فوق حدث عظيم جداً، لأن كل حكمة الإنسان وتقنيته وقوته لا تستطيع أن تُحدثه، كما لا تستطيع أن تُحدث التغيير الذي يحدث بعده على نحو منظور.

السماء تتحرك فرحاً حين يتوب خاطئ واحد، كما يحدث مع الأم والأب حين يولد الطفل و«يسمع» منه أول علامات الحياة. يحتاج الرضيع إلى رعاية وعناية كثيرتين حتى يصير مستقلاً. وهذا ينطبق بطريقة مشابهة على الحياة الروحية أيضاً. فالخلقة كثيراً ما تكون صورة لحقائق روحية، وهي بدورها تساعدنا على فهم الحقائق الروحية فهماً أفضل. فالأولاد يصيرون أحداثاً، ويكبرون يوماً ما ليصيروا آباءً في المسيح (1 يوحنا 2: 13-14).

وحين نتكلم اليوم عن «الطبيعة الجديدة»، فإن المقصود بها في الحقيقة هو «الحياة الأبدية الجديدة، أي التي وهبها الله»، والتي يجسدها الرب يسوع نفسه في شخصه في الوقت ذاته. ولهذا الحياة بالضرورة نوع معين، ويكون معين، أي طبيعة محددة. وهذا يعني أن هذه الحياة لا تصف وجوداً فحسب (أي الكينونة)، بل تشهد أيضاً لمن صاحب الخط الذي يميزها، وبأي طريقة تُعبر عن نفسها من الناحية الأخلاقية. ومرة أخرى أُنبه: إن عبارة «الطبيعة الإلهية» لا ترد في العهد الجديد إلا مرة واحدة، وهي تشير إلى الطريقة التي بها يتجلى كيان الله وصفاته فينا ويظهران في حياتنا.

وها نحن الآن، بعد أن بدأنا مع بولس، قد تسلقنا كل الجبال مع يوحنا وبطرس، وكذلك مع يعقوب. وكانت هناك مناظر ونظرات كثيرة مدهشة أظهرت لنا عظمة الله في كيانه وفي خلاصه. ومعرفة الله، ومعرفة كيانه وعمله، تريد أن تملأ قلوبنا.

حياة المولودين ثانية ليست مجرد وجود، ولا مجرد كينونة وانتظار للسماء، بل هي قبل كل شيء حياة من الملء. الله يعطي بسرور وبسخاء، ولا ينبغي أن ننتظر حتى نصير في السماء لكي ندرك ذلك.

15. المزاج والطبع

تبدأ المسيحية الحقيقية بتجديد جذري، يتبعه على أساسه تغيير مستمر نحو التشبه بالمسيح. فما تأثير المزاج على حياتي الإيمانية وحياة الغلبة عندي؟

تعطي ويكيبيديا (Wikipedia)، الموسوعة الحرة على الإنترنت، الشرح الموجز التالي: «يصف المزاج الطريقة التي يتصرف بها كائن حي ويستجيب، أي أسلوبه في السلوك. وهذا الأسلوب متجذر بعمق، ويتكوّن من استجابات عاطفية وحركية ومتعلقة بالانتباه، ومن التنظيم الذاتي. ويصف المصطلح سمات سلوكية ثابتة نسبياً، ومن ثمّ نموذجية، مثل المثابرة، وعتبة الإثارة، والحالة المزاجية، والإيقاع.»⁹⁹

«إن نظرية الأمزجة التي يقارب عمرها 2500 سنة تصنّف الناس بحسب طبيعتهم الأساسية، وهي اليوم من الناحية العلمية نظرية متجاوزة ... وهي ترجع إلى علم الأخلاط (نظرية الأخلاط الأربعة) الذي يُنسب إلى أبقرات من كوس (Hippokrates von Kós) (طبيب يوناني، 460 - 375 ق.م). ... أما الربط بين نظرية الأخلاط الأربعة وتعليم الأمزجة الأربعة فقد قام به جالينوس من برغامس (Galenus von Pergamon)، الذي نسب إلى كل واحد من سوائل الجسم الأربعة («humores») مزاجاً خاصاً. وبحسب غلبة أحد هذه السوائل الأربعة يبرز المزاج المرتبط به بروزاً خاصاً : ...

- الدم («Sanguis»): الدموي (بشوش، نشيط)
- البلغم («Phlegma»): البلغمي (سليبي، متثاقل)
- السوداء («Melas Cholé»): السوداءي (حزين، متأمل)
- الصفراء («Cholé»): الصفراوي (سريع الانفعال والاستثارة).¹⁰⁰

99. متاح على الإنترنت على الرابط <http://de.wikipedia.org/wiki/Temperament>
 100. متاح على الإنترنت على الرابط <http://de.wikipedia.org/wiki/Temperamentenlehre>

15.1 الكتاب المقدس ونظرية الأمزجة

من جهة، لا بدّ من التقرير بأن نظرية الأمزجة وثنية الأصل. ومن جهة أخرى، فمن الحقائق الثابتة أنها متجاوزة علمياً. ويرتبط هذان التقريران بحقيقة أن هذه النظرية لا ترد في الكتاب المقدس، ولا يمكن استنتاجها منه. فالكتاب المقدس يتجاهل ببساطة هذه النظرية التي كانت موجودة في زمن تدوين قسمه الثاني (العهد الجديد).

ومع ذلك لا نريد أن نرمي الطفل مع ماء الحمام. فالأمزجة حقيقة واقعة، ولذلك قد تكون نظرة إلى المزاج (الخاص بنا) مفيدة. وحتى لو كانت هذه النظرية متجاوزة، فلكل إنسان مزاج يوافق في الغالب، بدرجة أكبر أو أقل، واحداً من الأمزجة الأربعة المذكورة، أو مزيجاً منها.

وأنا أبقى بعد ولادتي الثانية الشخص نفسه الذي كنته من قبل، ولكنني وهبت حياة روحية جديدة لها طبيعة المسيح وكيانه. وهذه الحياة ينبغي أن تطبع شخصيتي بطابعها. وحتى ما يُسمى الجوانب القوية في مزاجي لا قيمة لها من دون المسيح. فالشخصيات الممتلئة منه وحدها توافق مقياس الله للحياة الجديدة: فالمسيح هو القاعدة والمقياس للخليقة الجديدة التي صرناها. ويكون المسيح بدوره يجد تعبيره في ثمر الروح. هذا هو معيارنا لتكوين شخصيتنا. ودراسة الأمزجة لها ما يبررها ما دامت خاضعة للهدف الحقيقي من كوننا مسيحيين.

من المفيد أن ننظر إلى نقاط القوة ونقاط الضعف في الأمزجة. فنحن نتعامل معها كل يوم، وهي جزء من حياتنا، ومن ثمّ هي جزء من حياتنا الإيمانية أيضاً. ونحن نعلم أننا لا نستطيع ببساطة أن نغيّر البنية (أي ما ورثناه من والدينا). ومعرفة الكيفية التي بنينا عليها مفيدة جداً، إذ تكشف بهذه الطريقة أيضاً أمور سلبية وأنماط سلوك يمكن أن تعيق نمونا نحو التشبه بالمسيح وتعطّله. فالسلوك المتكاسل عند البلغمي هو في الغالب عائق أمام حياة إيمانية نشيطة. والأمر نفسه ينطبق على تسرع الصفراوي في الفعل والحكم. فينبغي أن نعي مثل هذه الجوانب السلبية لكي نستطيع أن نواجهها. وقد يكون الاختبار (الاستبيان) لهذا الغرض مفيداً فعلاً.

أما الانشغال المفرط بالأمزجة فيما يتعلق بحياتنا الروحية ومواهنا، فإنه يوجّه الانتباه بقوة إلى أنفسنا. توجد بعض الدعوات إلى أن نمتحن أنفسنا وعملنا، ولكن الشعار في كل الأحوال تقريباً هو أن ننظر إلى المسيح. فهذا يحدث التغيير الذي نشارك فيه طبعاً.

يقول ويليم أوفينيل (W. J. Ouwenel): «لقد بينا (أوله هاليسي [Ole Hallesby]، وتيم لاهاي [Tim LaHaye]، وهنري براندت [Henry Brandt]) كيف تبدو الحياة عند الأمزجة الأربعة حين يكون القلب مبتعداً عن الله ومستسلماً للخطية؛ فعندئذٍ تغلب الجوانب السيئة في الأمزجة. ولكن حين يكون القلب متّجهاً إلى الله ومستلماً نفسه لقيادة الروح القدس، يمكن أن تنمو الجوانب القوية في الشخصية، ويتخذ المسيح صورةً في ودّ الدموي وصدقه وحيويته ولطفه وتفاؤله، وفي قيادة الصفراوي وحزمه وروح الفريق عنده وعزمه وإقدامه، وفي الصداقة الأمانة عند السوداوي وإبداعه واستعداده للتضحية، وفي هدوء البلغمي وبشاشته واستعداده للإصغاء ونظامه وترويه ...

وعلى الرغم من كل دراسات البنى الحيوية والنفسية و... الأمزجة وأنماط الشخصية، فليس الإنسان رجلاً آلياً مبرمجاً مسبقاً، معرضاً تعرضاً كاملاً للجوانب الرديئة من طبعه. وهنا أيضاً يعلمنا الكتاب المقدس، كما تعلّنا الممارسة الرعوية، أن كل شيء يتوقّف على اتجاه القلب. والواقع أن مزاج الإنسان محدّد بتكوينه الوراثي؛ ولذلك فهو يكاد لا يتغيّر (وإن كانت قد تطرأ عليه في أثناء الحياة تعديلات صغيرة، ولكن ليس للإنسان تأثير فيها). ولكن يجب أن نتميّز جيداً بين المزاج والطبع. فالطبع هو حصيلة الخصائص السلوكية للإنسان، وهذه لا يحددها المزاج وحده، بل ... يحددها القلب قبل كل شيء.

حين يأتي إنسان إلى الإيمان بالمسيح، ويولد بذلك ثانيةً، لا ينال مزاجاً جديداً (كما أنه لا ينال جسماً آخر)، ولكنه ينال «قلباً جديداً»: توجّهاً جديداً جذرياً للقلب، وموقفاً جديداً تماماً، ونظرة جديدة، ومفهوماً جديداً للحياة. فتبدأ عوامل فاعلة ودافعية مختلفة كل الاختلاف تؤدي دوراً في حياته، وكذلك معرفة جديدة وتفكير جديد (أي إدراك جديد)، وإرادة موجّهة توجيهاً جديداً (العامل النزوعي¹⁰¹). وهكذا يستطيع الإنسان المتجدّد، داخل الحدود التكوينية (الواسعة!) لمزاجه، أن ينمي طبعاً جديداً تماماً، يتخذ فيه

101. «نزوعي» (Konativ) معناه «دافعي» أو «ساع نحو».

المسيح صورةً، كما قيل، بطريقة فريدة تماماً»¹⁰²

المزاج، أي الاستعداد والنزعة الموروثة، يتقدّس عند المؤمن ويصير هكذا نافعاً لله. فلفظ الدموي مثلاً نافع لله. بل إنه يصير، بسكنى الروح وقيادته، ثمرًا لله. وهذا ينطبق على كل الجوانب «الجيدة» في كل مزاج، علماً بأن الجانب الفطري أو المزاجي من الإنسانية ينتمي إلى خليقة الله الأولى، ومن ثمّ كان يميّز آدم قبل السقوط. وللأسف، فقد أخضعت الخطية المزاج أيضاً لأضرار، والمطلوب أن نزيلها بثبات.

15.2 الطبع وتغيّره

الطبع هو السمة الظاهرة للشخص. ونحن نعرف هذا المفهوم معرفة جيدة إلى حدّ ما. وفي الغالب يربط بالصفات الإنسانية الجيدة والمرغوب فيها، أي بما ينقص المجتمع، وفي الآونة الأخيرة ينقص عالم المال خاصة. فالجشع الجامح وحبّ الذات والأنانية تعطينا لمحة مسبقة عمّا سيأتي. والمجتمع يشعر بأن طبعاً جيداً وثابتاً، يقاوم التجربة أيضاً، يمكن أن يبطل الانحدار الأخلاقي، إن لم يكن أن يوقفه.

ولكن لننظر إلى حياتنا نحن. فكلمة *Charakter* (الطبع) مشتقة من ختم السكّ الذي كان يعطي العملة المعدنية أو الختم شكله. فما الذي يطبعنا بطابعه، وما الذي يلاحظه الآخرون فينا؟ والسؤال الأهم هو: من نحن وكيف نحن في طبعنا حين لا يرانا أحد؟ يقول مثل: «وجه الإنسان تعرفه في النور، وطبعه في الظلام».

إن ما يحتاج إليه العالم قد صار حقيقة في يسوع. ويمكن أن يصير كيانه حقيقة فينا. فالطبع الجيد يطبعه ثمر الروح القدس، ومن ثمّ يطبعه يسوع. ولكنه لا يهبط علينا من السماء ببساطة. ولا يضعه الله في قلبنا بطريقة سحرية متجاوزاً إرادتنا. بل يعطينا كل شيء لكي نتميه تحت قيادته، وبقوته ونعمته. علينا أن ندرّب الطبع، وأن نقويه بذلك. وفي هذا تكمن مسؤوليتنا. فثمر الروح، أي المحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللفظ والصلاح والأمانة والوداعة والتعفف، علينا أن نتعلّمه كما نتعلّم لغة جديدة أو ثانية، إلى أن نتكلّمها بحكم العادة بفضل التعلّم والتمرين. ينبغي أن يصير الطبع الروحي أمراً عادياً في حياتنا.

102. W. J. Ouweeneel, *Psychologie*, Ein bibelorientiert-wissenschaftlicher Entwurf. 168 (التشديد مضاف).

يظهر الطبع حين يكون الأمر حاسماً، وحين نكون تحت الضغط أو في التجربة. ولذلك يقول بولس أيضاً إننا لا ينبغي أن نصنع تديراً للجسد، بل أن نلبس الرب يسوع المسيح (رومية 13: 14). فالطبع الراسخ (أي الطبع المدرب الذي يسعى إليه بمثابة) يستطيع أن يقاوم تجربة التخلي، في المواقف القصوى، عن المبادئ الروحية التي تعلّمها منذ ولادته الثانية، والتي يقدّرها بوصفها طريق الله.

كيف ندرب الطبع؟ بالتعلّم والتطبيق. فلا بدّ من التعلّم لفهم طبيعة هذا «الطبع الروحي». فهو يوصّف لي، إن صحّ التعبير، لكي أستوعبه في داخلي. وبخطوات صغيرة نطبّق هذه الصفات أكثر فأكثر، لأننا نريد ذلك.

وبينما يبقى المزاج طوال الحياة شبه ثابت، يختبر الطبع تغييراً، نحو الأفضل ونحو الأسوأ على السواء. وأساس الطبع هو الإرادة وقوّتها على أن تفرض نفسها. لنا قلب جديد وإرادة متجددة. وهذا هو الانطلاق في حياة جديدة ينبغي أن ترافقها إرادة التغيّر حتى بلوغ الهدف.

وكما في نظرية الأمزجة، لا توجد كلمة **الطبع** في الكتاب المقدس. وأقرب ما يكون إليها هو المفهوم الكلاسيكي للفضيلة (فيلبي 4: 8، 1 بطرس 2: 9 [صفة الله]، 2 بطرس 1: 3، 5). والكتاب المقدس لا يتبع تعليم الفضيلة عند فلاسفة زمانه. ويمكن التوافق جزئياً في ما تميّز به الفضيلة، وجزئياً في أنها تمارَس وتُدرب. ومن منظور كلاسيكي، فإن الفضيلة أو الطبع وتغيّره نحو التشبه بالمسيح هدفهما الله نفسه وملكوته. ليس الإنجاز الذاتي غايةً في ذاته، بل قوة الإرادة التي جددها الروح القدس، وما ينبع منها من تطبيق لمجد الله ولنفع الآخرين، هو ما يوافق الصورة الكلاسيكية والهدف الكلاسيكي لتغييرنا، الذي سيصبّ في الهدف النهائي، أي عالم الله الجديد.

«انتبه لأفكارك، لأنها تصير كلمات.

انتبه لكلماتك، لأنها تصير أفعالاً.

انتبه لأفعالك، لأنها تصير عادات.

انتبه لعاداتك، لأنها تصير طبعك.

انتبه لطبعك، لأنه يصير مصيرك.»

16. كلمة ختامية

هناك أوقات تفوق فيها الأمور طاقتنا، فلا نعود نعرف ما ينبغي أن نفعله وما ينبغي أن نتركه. وأحياناً ينفجر الجسد، فنندesh من أنفسنا ونرتعب. وأحياناً نرتعب بالقدر نفسه من لامبالاتنا. كل هذا سيصادفنا ويرافقنا ما دمنا في وجودنا الأرضي على الطريق إلى الكمال. وهذا التقرير لا يريد أن يبرر شيئاً. ولكننا نريد أيضاً أن نبقي صادقين حين يتعلق الأمر بمقدار ما يتفتح من الحق الروحي في حياتنا.

فلنتشجع ولا نستسلم! وحتى لو شعرنا في داخلنا برغبة في الاستسلام، فهذا هو أسوأ الحلول. فاليأس والاستسلام مصدرهما الجسد وإبليس!

الآب يساعدنا في كل خطوة، بغض النظر عن صغرها أو كبرها. ينبغي أن نتقدم على الطريق نحو الهدف. وحتى إن مررنا بأوقات نبتعد فيها عنه، فهو قريب منا، وتكفي دائماً خطوة واحدة للعودة إلى ذراعيه.

ربما كانت جولات السير في الجبال طويلة ومتعبة إلى حد أنكم الآن لم تعودوا ترون الغابة من كثرة الأشجار. لا شك أننا إذا جمعنا كل النصوص الكتابية المتعلقة بهذا الموضوع، فإنها مادة واسعة حقاً. ولكننا نختبر نمواً في الفهم الروحي يصنعه الله. وهذا يحتاج ببساطة إلى وقت أيضاً. لا نستطيع أن نفرضه، ولا أن نختصره. الله يسير طريقه معنا. هو لنا، ونحن في رعايته. لا يقف خلفنا كسائق عبيد لا يهتم إلا بأخطائنا وإخفاقاتنا. بل على العكس: لقد قبلنا أبناءً له، أي أولاداً، ويضع بين أيدينا كل شيء لكي نستطيع أن نعيش لمجده.

حتى بولس يقول لنا، تعزيةً لنا، إنه في طريقه إلى المجد لم يبلغ بعد هذا الهدف عينه، ولم يصير بعد كاملاً. ولكن اتجاهه صحيح، فهو يسعى نحو الغرض، لأنه قد أدرك وأمسك به من قبله، أي من قبل المسيح. هذا هو سرّه.

إن تغيير الجانب، وكل البذل، وكل التكريس، وكل التعب، وكل التخلي، وكل الحزم، كل ذلك سيكون له أجره. ففي المجد لن تكون لنا هذه الفرصة الفريدة بعد. ولذلك فإن زمننا «في البدن» (2 كورنثوس 5: 10)، أي في وجودنا الأرضي، ثمين ثمناً استثنائياً. فهو لا يتكرر، ولن تعرض علينا مرة أخرى الفرص التي فيه.

«الله لم يعطنا روح الفشل

(الجبّ، الخوف)

بل (روح)

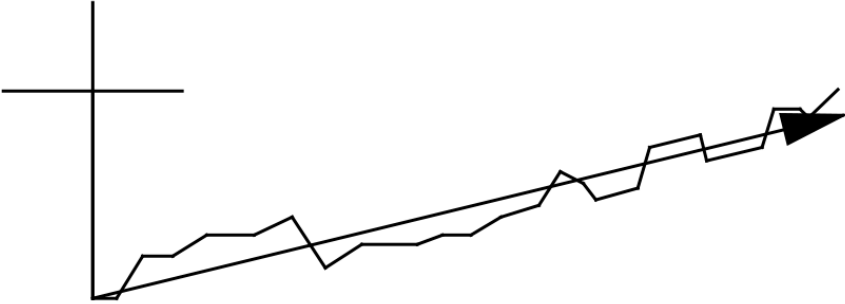
القوة،

والمحبة

والنصح

(الانضباط، ضبط النفس، الاتّزان)»

2 تيموثاوس 1: 7



ليس طريقنا إلى الهدف صعوداً متواصلاً في النمو الروحي وفي القداسة. فهناك انحدار، وهناك توقّف وركود، ولكن هناك أيضاً صعود. لا بدّ أن يكون الاتجاه صحيحاً، والهدف نفسه يجذبنا - ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكّله يسوع!

17. ثبت المراجع¹⁰³

- Adams, Jay E., *Grundlagen biblischer Seelsorge*, Gießen, 1983.
- Anderson, Neil T., *Neues Leben – neue Identität*, Lage, 1994.
- Anderson, Neil T., *Restored, Experience Life with Jesus*, Franklin, USA, 2007.
- Anderson, Neil T., *Spiritual Warfare*, Ventura, California, USA, 2000.
- Anderson, Neil T., *Steps to Freedom in Christ*, Oxford, 2000.
- Anderson, Neil T., *Winning the Battle within*, Eugene, Oregon, USA, 2004.
- Barclay, William, *Geist oder Fleisch*, Augsburg, 1967.
- Binde, Fritz, *Vom Geheimnis des Glaubens*, Wuppertal, 1979.
- Bullinger, Dr. E. W., *Die zwei Naturen in dem Kind Gottes*, Düsseldorf, 1907.
- Burkhardt, Helmut, *Christ werden, Bekehrung und Wiedergeburt*, Gießen, 1999.
- Custance, Arthur C., *Man in Adam and in Christ*, Grand Rapids, 1975.
- Edman, V. Raymond, *Das ausgetauschte Leben*, Kassel, 1963.
- Eldredge, John, *Der ungezähmte Christ*, Gießen, 2005.
- Gahan, M. C., *The Soul's Transfer from Adam to Christ*, Michigan, 1957.

¹⁰³. لقد استعنت بالمراجع المذكورة واقتبست منها جزئياً أيضاً. ولكن إدراجها في القائمة لا يعني بأيّ حال أنني موافق على كل ما ورد في الكتب المذكورة.

- Gibson, Jean, *Training im Christentum 3*, Bielefeld, 1990.
- Heijkoop, H. L., *Der Heilige Geist*, Zürich, 1955.
- Hession, Roy, *Nicht ich – sondern Christus*, Bad Liebenzell, 1980.
- Hille, Rolf (Hg.), *Ein Mensch, was ist das?*, Wuppertal, 2004.
- Hole, F. B., *Das große Heil Gottes*, Zürich, 1979.
- Ironside, Henry Allen, *Heiligung – Zerrbild und Wirklichkeit*, Bielefeld, 1989.
- Käser, Ernst, *Rechtfertigung des Lebens*, Herblingen, 1989.
- Kelly, William, *Die Lehre des NT über den Heiligen Geist*, Neustadt, 1975 (1880).
- Kettling, Siegfried, *Wer bist du, Adam?*, Wuppertal, 1978.
- Lutzer, Erwin W., *Das widerspenstige Ich*, Bielefeld, 2011.
- MacDonald, William, *Der vergessene Befehl: Seid heilig!*, Bielefeld, 1988.
- «Das موقف نقدي من كتاب (Watchman Nee) normale Christenleben»
Markmann, Otto, *Weiter zu etwas Höherem*
- Mauerhofer, Erich, *Der Kampf zwischen Fleisch und Geist bei Paulus*, Frutigen, 1980.
- Medema, H. P., *Romeinen 7; Het normale en het abnormale christlijke leven*, Vaassen, 1998.
- Modersohn, Ernst, *Die herrliche Freiheit der Kinder Gottes*, Bielefeld, 2008.
- Nee, Watchman, *Befreiung*, Stuttgart, 1978.

- Nee, Watchman, *Das normale Christenleben*, Wuppertal, 1972.
- Heerbrugg, 3 - 1 المجلدات، Nee, Watchman, *Der geistliche Christ*.1975
- Nee, Watchman, *Freiheit für den Geist*, Winterthur, 1969.
- Nee, Watchman, *Geistliche Erkenntnis*, Berneck, 1978.
- Nitsche, Walter / Peters, Benedikt, *Dämonische Verstrickungen – Biblische Befreiung*, Berneck, 1989.
- Nitsche, Walter, *Versagen und innere Zerrissenheit*, Berneck, 1989.
- Ouweneel, Willem J., *Geestelijke Strijd*, Vaassen, 1998.
- Ouweneel, Willem J., *Geloofs-Zekerheid*, Vaassen, 1996.
- Ouweneel, Willem J., *Hoe lief heb ik uw Wet!*, Vaassen, 2001.
- Paxson, Ruth, *Life on the Highest Plane, God's Plan for spiritual Maturity*, Grand Rapids, 1983.
- Pink, Arthur, *Practical Christianity*, Michigan, 1974.
- Ryrie, Charles C., *Ausgewogen statt abgehoben*, Dillenburg, 1994.
- Ryrie, Charles C., *Hauptsache gerettet?*, Dillenburg, 1998.
- Ryrie, Charles C., *Ihr werdet Kraft empfangen*, Dillenburg, 2003 (1965).
- Das Gesetz der Liebe*, Nürnberg, المجلد 1، Schirmacher, Thomas, *Ethik*.2001
- Steidl, Grant, *Konflikt!, Der Christ im Widerstreit*, Hückeswagen, 1992.

Steinberger, Georg, Das Geheimnis eines siegreichen Lebens, Stuttgart, 1983.

Stott, J. R. W., Men Made New, London, 1966.

Thomas, Major W. Ian, Christus in euch – Dynamik des Lebens, Holzgerlingen, 2008.

Thomas, Major W. Ian, The Indwelling Life of Christ, Colorado Springs, 2006.

Thomas, Major W. Ian, The Saving Life of Christ, Grand Rapids, 1961.

Thomas, Major W. Ian, Tote können nicht sterben, Neuhausen-Stuttgart, 1973.

Trumbull, Charles G., Befreiung von der Macht der Sünde, Basel, 1986.

Renovation of the (العنوان الأصلي: Willard, Dallas, Aus dem Herzen leben .Gießen, 2004 ,(Heart

Willard, Dallas, The Divine Conspiracy, Rediscovering our hidden Life in God, New York, 1997.

كتبيات ومقالات وأبحاث في الموضوع

Blackburn, John S., Die Befreiung im Römerbrief.

Böhm, Heinz, Die geleugnete Wirklichkeit, Berneck, 1993.

Cutting, George, Die beiden Naturen, Zürich.

Cutting, George, Freedom from Sin: What is it?

Ebertshäuser, Rudolf, Mit Christus gekreuzigt und auferweckt, Leonberg, 2009.

Glassford, Greg, Hey, Fleisch! Hier spricht dein Geist!, Hamburg, 2004.

Grant, F. W., Deliverance: What is it?

Grant, F. W., Life in Christ and sealing with the Spirit, Bedford.

Grant, F. W., Some Themes on the second Part of Romans, Bedford.

Grant, F. W., The two Natures and what they imply, Bedford.

H. E. C., The Believer's two Natures.

Herrick, Greg, Old Man and New Man in Paul, 1999.

John MacArthur's One Nature Teaching,
<http://www.middletownbiblechurch.org/doctrine/1natjm01.htm>

Lüscher, Albert, Der alte und neue Mensch, Langenthal, 1971.

Lüscher, Albert, Euer Leben ist verborgen, Langenthal.

Pink, Arthur W., The Christian in Romans 7.

Scofield, C. I., The two Natures.

Trachsel, Walter, Ein reines Herz?, Frutigen.

Trachsel, Walter, Gibt es ein Leben im Sieg, Frutigen, 2003.

Trachsel, Walter, Heilig sein oder heilig werden?, Frutigen, 2009.

Trachsel-Pauli, Ernst, Heiligung nach Geist, Seele und Leib, Frutigen, 2000.

Wallis, Reginald, The new Life, Talks with Christians about Practical Victory, New Jersey, 1932.

مواقع إلكترونية

<http://www.bibelkommentare.de;>

[http://www.biblecentre.org/;](http://www.biblecentre.org/)

<http://www.bodedesheils.nl/>

<http://www.soundwords.de/>

Mailingliste- القائمة البريدية :/http://www.streitenberger.com
Bibelgriechisch (دخول حرّ، تبادل بين العارفين باليونانية؛ إمكانية طرح أسئلة لغوية
عن نص الكتاب المقدس والحصول على أجوبة).

التفاسير

Brockhaus-Kommentar zur Bibel, Wuppertal, 1985.

Calvin, Johannes, Auslegung der kleinen paulinischen Briefe, Neukirchen, 1963.

Cecil, A. P., A Summary of the Epistle to the Romans.

Coates, C. A., Ein Überblick über den Brief an die Römer, Leipzig.

Cousar, Charles B., Galatians, A Commentary for Teaching and Preaching, Atlanta, 1982.

Darby, J. N., The Collected Writings, Winschoten, 1972 (إعادة طبع).

Ellicott, Charles John, Bible Commentary, London, 2004 (إعادة طبع).

Grant, F. W., The Numerical Bible, New Jersey, 1901.

Greijdanus, Dr. S., Korte Verklaringen, Kampen, 1932.

Hoehner, Harold W., Ephesians, An exegetical Commentary, Michigan, 2002.

- Jantzen, Herbert, Vorträge zu Röm 6 – 8, 1997.
- Kelly, William, Lectures Introductory, 1869.
- Kelly, William, Lectures on the Epistle to the Ephesians, Oak Park.
- Kelly, William, Notes on the Epistle to the Romans, Sunbury, 1981 (1873).
- Kelly, William, The Bible Treasury, Winschoten.
- Kelly, William, The Epistles of Peter, London, 1904.
- Kramer, G. H., Christus ons leven, Vaassen, 1994.
- Lee, Witness, Der Brief des Paulus an die Epheser, Stuttgart, 1980.
- Lincoln, William, Assembly Writer Library, Glasgow, 1980.
- .Bielefeld, 1992، المجلد 1، MacDonald, William, Kommentar zum NT
- Medema, H. P., De nieuwe Mens, Vaassen, 1991.
- Medema, H. P., Der Brief an die Römer, Bielefeld, 1992.
- Medema, H. P., Het leven is geopenbaard, De Eerste Brief van Johannes, Vaassen, 1993.
- Waugh, G. P., Was die Bibel lehrt, 1. und 2. و ., Nicholson, J. B .Petrusbrief, Dillenburg, 1991
- Ouweneel, W. J., De vrijheid van de Geest, Vaassen, 1997.
- Ouweneel, W. J., Christus unser Leben, Schwelm, 1984.
- Remmers, Arend, In Christus gesegnet, Hückeswagen, 2004.
- Schaeffer, F., Allein durch Christus, Die zentralen acht Kapitel des Römerbriefs, Holzgerlingen, 1999.

- Smith, Hamilton, *The Epistle to the Ephesians*, Edinburgh.
- Smith, Hamilton, *The Epistles of Peter, An Expository Outline*, Edinburgh.
- Stadelmann, Helge, *Der Epheserbrief*, Neuhausen-Stuttgart, 1993.
- Stallan, Fred, *Was die Bibel lehrt, Römerbrief*, Dillenburg, 2001.
- Stanley, Charles, *On the Epistle to the Romans*, London, 1885.
- Stott, John R. W., *Die Botschaft des Epheserbriefes*, Nürnberg, 2001.
- Stott, John R. W., *The Letters of John, Tyndale New Testament Commentaries*, Nottingham, 1964, 1988.
- Wasserzug, Gertrud, *Der Römerbrief*, Böblingen, 1984.
- Witmer, John A., *Romans, The Bible Knowledge Commentary*, 1983.
- Wolston, W. T. P., *Simon Peter, His Life and Letters*, Edinburgh, 1892.
- Wuest, Kenneth S., *Romans in the Greek New Testament*, Michigan, 1955.

اختصارات استعملت لترجمات أخرى للكتاب المقدس

- Elb Elberfelder Übersetzung, nicht revidiert, Berlin, 1961.
- ER Elberfelder Übersetzung, revidierte Fassung, R. Brockhaus Verlag
Wuppertal، الطبعة 8، 2001.
- Luther 1912 *Die Heilige Schrift nach der deutschen Übersetzung Martin Luthers*, Stuttgart, 1912.
- Dr. H. Menge، ترجمة، *Die Heilige Schrift Alten und Neuen Testaments*
Menge، Berlin, 1960.

Karl-) فانهايدن (NeÜ Neue evangelistische Übersetzung، لكارل-هاينتس
Dillenburger, 2010، (Heinz Vanheiden
Schl 2000 Die Bibel, übersetzt von F. E. Schlachter (Version 2000),
Genf، الطبعة 1، 2003.
Schlachter Die Heilige Schrift des Alten und Neuen Testaments، ترجمة
F. E. Schlachter، Genf, 1990

عن المؤلف

وُلد Hans-Jörg Ronsdorf سنة 1964، وهو متزوج من زوجته كريستينه (Christine). لهما 5 أولاد، ويعيشان في منطقة ألغوي (Allgäu) في بافاريا. وبعد تدريبه مهنيًا صانعًا للعدد والقوالب عمل في قطاعات مختلفة، ويعمل منذ أكثر من 10 سنوات عملاً مستقلاً مستشاراً ومورداً في قطاع الطلاب. وهو أحد شيوخ الكنيسة المسيحية في كمبتن (Kempten)، ويخدم في الكرازة وفي خدمة التعليم الكتابي.

Hans-Jörg Ronsdorf

ومع ذلك فالأموات أحياء (Und die Toten leben doch)



خلود النفس

240 صفحة، غلاف ورقي

ISBN 978-3-89397-227-2

هل الأموات أحياء - أم أن الموت نهاية كل وجود؟ هل يقع الإنسان في نوم للنفس - أم أن له وعياً فيما وراء الموت؟ أسئلة تشغل كل إنسان. والهدف من هذا الكتاب أن يجيب عن هذه الأسئلة، وأن يمنح الرجاء أيضاً، وتشكل مسألة خلود النفس موضوعه المحوري. أموات أحياء - الكتاب المقدس يحلّ هذه المفارقة: الموت ليس النهاية، بل بداية حياة لا تنتهي أبداً. وصدق هذا القول يضمّنه شخص مات وقام - يسوع المسيح، الذي عاد من مملكة الموت وفتح الطريق الذي يقود إلى الحياة.